عدد مزدوج

ملف
الاحتفالية

خريف وشتاء ٢٠٠٦




فصلية تُعنى بشؤون التراث والفِكر تصدرها جمعية العاديّات

# حلب تتألّق باحتفالاتها

- الغزو المغولي لحلب
- حلب وضيفة خاتون
- إلى أين تذهب حين تبكي؟
- آداب الاستماع في التراث الحلبي
- الشواهد والأوابد الأرمنية في سورية



فصلية تعنى بشؤون التراث والفكر



تصدرها في حلب جمعية العاديات السورية

بموجب الترخيص رقم ٧٨٧٢/٢٠٠٢





الاشتراك السنوي

سورية: ٣٠٠ ل. س "بدون أجور بريد" - ٤٠٠ ل. س مع أجور البريد

الدوائر الرسمية والمؤسسات والهيئات العامة: ١٠٠٠ ل.س

خارج سورية: ٥٠ دولاراً أمريكياً

للمؤسسات ١٥٠ دولارًا أمريكيًا

ثمن النسخة في سورية: ٧٥ ل.س

العدد المزدوج: ١٥٠ ل.س



**مجلة العاديات:**

- ص. ب ٦٤٧٤
- هاتف وفاكس: ٢٢٦٧٦٧٤ _ ٢٢٨٥٧٣٠
- الموقع على الإنترنت: www.adyatsyria.com
- البريد الإلكتروني: Email: adyat@scs-net.org

# شروط النشر في المجلة

**يسرّ أسرة تحرير مجلة العاديات أن تستقبل مساهمات أصحاب القلم من الكتاب والمثقفين والباحثين في التراث والفكر.**

**وترى أسرة التحرير أن تكون المواد المرسلة وفق الشروط الآتية:**

- أن تراعي المادة المرسلة قواعد البحث العلمي من حيث الموضوعية والمنهجية وذكر المصادر والمراجع.
- تراجع المواد المرسلة من قبل أسرة التحرير، ولا تعاد المادة إلى صاحبها في حال عدم نشرها.
- تفتح المجلة أبوابها للحوار حول الموضوعات المنشورة.
- ترتيب المواد يخضع لاعتبارات فنية.
- ألا تتجاوز المادة المقدمة للنشر عشرين صفحة، و أن تكون مرفقة بالصور والمخططات الموضحة للموضوع.
- الآراء الواردة في المجلة تمثل وجهة نظر أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير.
- يحصل المساهم في المجلة على نسختين مجانيتين من العدد الذي ساهم فيه.
- توجه المراسلات باسم مدير التحرير.

**ترسل المواد إلى المجلة عن طريق بريدها الإلكتروني أو على قرص مرن مرفق بنسخة مطبوعة على الورق.**

**العنوان البريدي: ص. ب ٦٤٧٤ حلب، سورية**

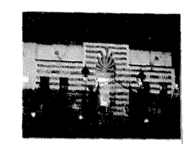
**أو تسلم باليد في جمعية العاديات، شارع اسكندرون، جانب صالة معاوية**

**ننتظر مساهمتكم في تحرير هذه المجلة سواء بالكتابة فيها أو تقديم أي اقتراح يفيد في تحسين أدائها، وجعلها لائقة بجمعيتنا العريقة.**

**التحرير**



# محتويات العدد

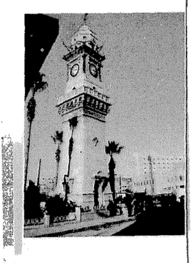


## يوميات احتفاليّة

## حلب.. عاصمة الثقافة الإسلاميّة



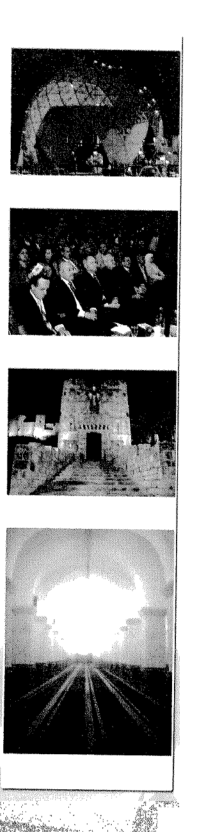






# خريف وشتاء ٢٠٠٦





الغلاف الأمامي: رقصة المولوية.
الغلاف الخلفي: حارة صنليبا - حلب القديمة.
التصميم والإخراج: محمد أبو الخيل







* المركز الإعلامي لحلب عاصمة الثقافة الإسلامية.

# إلى أين تذهب حين تبكي؟

مدير التحرير

إلى أين تذهب حين تبكي؟ قد لا يكون في العالم الرحب، على اتّساعه، مكان خاص بك تستطيع أن تطلق فيه العنان لنفسك، كي تعاود تجديد النشاط بعد لوم مترامي الأطراف لم يبق شخص تعرفه لم يوجهه إليك: ما شأنك وهدر عام كامل بحلب عاصمة الثقافة الإسلامية؟؟ وما الذي تجنيه من العمل ساعات طويلة ولا نكاد نسأل عنك في الليل أو في النهار حتى نجدك تواصل العمل في المركز الإعلامي، حتى بدأنا نشك بأنك تهرب من العائلة؟

إلى أين تذهب حين تبكي؟ قلت في نفسي: إن الحديقة في الصباح الباكر مكان آمن للبكاء.

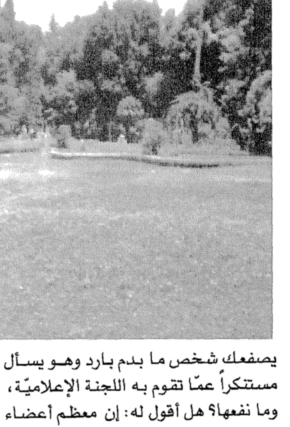
حين داهمني جمع من كبار الشباب من أعضاء جمعية العاديات يمارسون رياضة المشي في الحديقة لم أدر هل أبكي لأنني، أيضاً، لم أجد في الحديقة وذات صباح بارد خصوصية أبحث عنها، أم أغتبط لأنهم عرفوني - من بعيد- والشهرة نعمة من الله يمنحها لمن يشاء؟

إلى أين تذهب حين تبكي؟

حين تشكلت اللجنة الإعلامية، بدأت الحرب عليها وراح بعض المتفزلكين يتساءلون: من هؤلاء الذين تتشكل منهم اللجنة الإعلامية لحلب عاصمة الثقافة الإسلامية؟ وهي حرب لم تنفرد بنا وحسب، بل طالت جميع اللجان التي شُكّلت، وبدأ التشكيك بقدراتها، حتى قبل أن تبدأ.

إلى أين تذهب حين تبكي؟

إلى أين تذهب حين تبكي عندما



يصفعك شخص ما بدم بارد وهو يسأل مستنكراً عمّا تقوم به اللجنة الإعلاميّة، وما نفعها؟ هل أقول له: إن معظم أعضاء اللجنة يكادون ينامون في المركز الإعلامي وهم يواصلون أعمالهم بمحبة، لأنهم وجدوا تآخياً غير معتاد في دوائر الدولة، وتتاح لهم فرصة التعبير عن أنفسهم بحرية نفتقر إليها في كثير من الأعمال التي تُسند إلينا؟ هل أقول له إن كل ما يصله من أخبار عن احتفالية حلب، يصله عن طريق اللجنة وبتنسيق متآلف مع وسائل الإعلام المختلفة داخل القطر وخارجه؟ هل أقول له إننا طبعنا (بروشورات) تعرّف ببعض معالم المدينة القديمة ومساجدها وخاناتها وأبوابها، وقد بلغت حتى الآن سبعة (بروشورات) فضلاً عن نشرات متنوعة تتعلق بالبرامج والندوات؟ كما أن اللجنة الإعلامية أعدّت أفلاماً وثائقية تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وقامت بعرضها في مناسبات كثيرة.

هل أقول له إننا نجمع كل ما يتعلق بالاحتفالية ونوثّقه ونحضّر لطباعته في نشرة شهرية توثّق لكل شهر، كما أننا نعمل على إصدار نشرة لكل ندوة أقيمت خلال الشهور الماضية، وبحكم علاقاتنا فقد وصلت أخبار الاحتفالية إلى أقاصي الأرض عبر أهم مواقع الإنترنت وكبرى الصحف العربية والأجنبية، ولقد تحدثنا غير مرة عبر إذاعة لندن عن حلب واحتفاليتها وما تقوم به. ولكن ماذا نقول للمشككين؟ ألم تبلغ بهم البجاحة إلى التشكيك باللجنة العليا للاحتفالية؟ ألم يشككوا بالنشاطات الكبيرة التي تتم في حلب مدّعين بأنها نشاطات هزيلة ولا يسمعون بها؟

ربما يكون موقع الاحتفالية على شبكة الإنترنت قد تعثّر قليلاً بسبب المخدّم أو المستضيف أو لأسباب فنية أخرى، غير أنه انطلق من جديد، واللجنة الإعلامية منذ اليوم الأول من رمضان المبارك أطلقت مسابقة يومية عبر موقع الاحتفالية الإلكتروني، وقد وزعت جوائز الفائزين في حفل أنيق بعد أن تمّ فرز النتائج بأمانة وموضوعيّة. كما أن مواقع أخرى أطلقت مسابقات من حلب وعنها وستمنح جوائز الفائزين في حفل يُقام في المركز الإعلامي الذي لم يدرك بعض الناس طبيعة عمله حتى الآن. وسأذيع لكم سرّاً بأن المركز الإعلامي تخطى خطته الأولى التي وضعها أثناء إنشائه، وذلك لأن أعضاء اللجنة الإعلامية ما ينفك كلّ واحد منهم يخترع مهمة جديدة لنقوم بها ونساند فكرته عندما نجد أنها تخدم المجال الإعلامي لحلب في عام عرسها، ومن ذلك مساهمة المركز بشكل أساسي في إقامة ندوتين دوليتين أضيفتا على الاحتفالية، هما ندوة المكتبات والتوثيق وندوة الكواكبي، وفي الندوتين كلتيهما سعى أعضاء اللجنة الإعلامية للحصول على تمويل لكل ندوة وعلى إنفاق للمطبوعات والمنشورات ورسائل البريد الإلكتروني ورسائل الموبايل من غير أن يمس الأموال المخصصة للاحتفالية.

إلى أين تذهب حين تبكي؟ يرى معظم الناس أن العمل الطوعي المجاني جنون، وهو ما تقوم عليه الجمعيات الأهلية، غير أن قليلين يجدون أنفسهم في خدمة المجتمع، ولهذا يتطوّعون. والذين يعملون لتأكيد ذواتهم، وبلا مقابل مالي، أو بمقابل الكلفة البسيطة، وحدهم يعلمون متعة أن تعمل بلا أجر، بحيث تقوم بالعمل لأنك تحبه، وليس لأنه مفروض عليك. فيه تدرك أنك سيّد نفسك التي لا تحتاج إلى أحد سواك يحثّها على العمل المتواصل الدؤوب.

إلى أين تذهب حين تبكي؟

إلى أين تذهب حين تبكي؟إذا كنت قد كرّست نفسك لحلب وأهلها، بشكل مكثّف خلال عام كامل، واجهت -خلاله- صعوبات في إقناع الآخرين بأنك قد ندبت لعمل أكثر صعوبة ويحتاج إلى جهد أكبر مما كنت تقوم به في محيطك السابق، وتخليت عن أعمالك البحثية، وعمّا يأتيك من مكافآت عما تنشره في الصحف والمجلات المحلية والعربية، حتى بات الآخرون يظنون أن قلمك قد أصابه الجفاف، بل لقد بتّ أنت نفسك تشكك في مقدرتك الكتابية بعد أن استغرقتك متاعب إدارة العمل الجديد بما فيه من متعة ومن ألم.

إلى أين تذهب حين تبكي؟

إلى أين تذهب حين تبكي؟

إلى أين تذهب حين تبكي؟

أيها المصاب بنعمة الحياة حتى يأتيك الأجل فتصرخ، مع من سبقوك: عمّا يتساءلون؟؟؟

## الاحتفالية تُكمِل دورتها

في هذا الملف الجديد عن تكريم حلب ونشاطاتها المختلفة يتّضح الجهد الكبير الذي بذلته الأمانة العامّة للاحتفالية من أجل إبراز وجه حلب الشهباء الحقيقي، وهو وجهٌ مشرقٌ أبداً بمحبيها المخلصين، ولقد صرّح وزير الثقافة الدكتور رياض نعسان آغا غير مرّة بأهمية ما تقوم به حلب وأثنى على الجهود التي تبذلها الأمانة العامة التي استطاعت أن تتفوق على العواصم الأخرى بمخصصات مالية أقل بكثير مما هو متاح أمام العواصم الأخرى العربية والإسلامية.

ولم تثر دهشتي تصريحات السيد محافظ حلب الدكتور المهندس تامر الحجة رئيس الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، وإنما زادت إعجابي به نظراً لقاسم مشترك بيننا هو حب حلب.

تسمرت خلال نصف ساعة أمام المذياع لأستمع إلى حوار أجراه مدير الإذاعة الأستاذ عبد الخالق قلعه جي مع السيد المحافظ.

على مدى نصف ساعة بدا خلالها الصدق في نبرات صوت السيد المحافظ وهو يتحدث عن شوارع حلب وأزقتها القديمة والمدينة القديمة التي استهوته حتى إن زياراته إلى المدينة الأم -حمص بدأت تخف مع مرور الزمن نتيجة تعلق قلبه بحلب الشهباء.

تحدث عن الاهتمام بشوارع حلب ونظافتها وحركة المرور فيها، وتمنى على أهالي حلب مساعدة المحافظة ومجلس المدينة لإبراز الوجه المشرق لحلب، ودعا القطاع الخاص للمساهمة في حل أزمة المرور و المواصلات. كما تحدث عن زيارته إلى هولندا في سياق تبادل الخبرات مع الدول الصديقة لنستفيد من تجارب الآخرين في تنظيم شؤوننا بما يتوافق والعصر.

وحول سؤاله عن الاحتفالية أبدى إعجابه بالنشاطات الكبيرة التي جرت حتى الآن، وأكد -مع كل الطامحين- أن رضاءً تاماً لا يمكن أن يكون ما دمنا نمتلك أحلاماً كبيرة ونحاول أن نجسدها ونحن نمتلك سقفاً عالياً لما نريد أن يصير. وفي سياق دعوته أهل حلب للمساهمة الواسعة في نشاطات عاصمة الثقافة صرح أن حفل الختام الكبير سيقام في آذار من العام المقبل وهذا يعني أن الاحتفالية مستمرة لتتم عاماً كاملاً مما يتطلب منا مزيداً من الجهد لتنظيم نشاطات ثقافية وفنية إضافية، وتوسيع مواكبتها الإعلامية. ولا شك أن فترة تمديد الاحتفالية تمنحنا مزيداً من الوقت لتوثيق مجرياتها، وتمنح فرصة للذين ما يزالون يفكرون بالمساهمة في فعاليات المدينة التي ترعاهم بما عرف عنها من سعة صدر تشمل كل أطيافها الاجتماعية المتنوعة.

# فعاليات حلب عاصمة الثقافة الإسلامية

## الأربعاء ٢٠٠٦/٧/٥

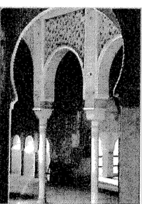
### افتتاح ندوة "دور المكتبات والتوثيق في الثقافة الإسلامية"



برعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب في إطار احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، وبالتعاون بين الأمانة العامة للاحتفالية وجمعية العاديات السورية وجمعية المكتبات والمعلومات الأردنية والجمعية السورية للمكتبات والوثائق ومديرية الثقافة بحلب أقام المكتب الدائم لاتحاد جمعيات المكتبات في بلاد الشام الندوة الحادية عشرة - ندوة الدكتورة الراحلة دعد الحكيم بعنوان "دور المكتبات والتوثيق في الثقافة الإسلامية" التي أقيمت في مديرية الثقافة يومي الأربعاء والخميس الخامس والسادس من تموز.

## السبت ٢٠٠٦/٧/٨

### فرقة قصيدة أندلسية

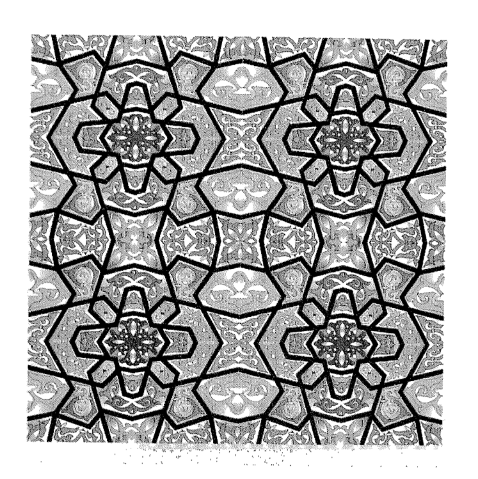


برعاية وزارة السياحة وضمن فعاليات المهرجان السادس للموسيقا العربية الأندلسية وفي إطار احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية قدمت فرقة قصيدة أندلسية في خان الشونة مجموعة من المقطوعات الموسيقية الأندلسية الجميلة التي تناغمت فيها ألحان الغيتار والعود والقيثارة لتقدم موروثا موسيقيا أندلسيا نال إعجاب الجمهور.

يذكر أن فرقة قصيدة أندلسية هي فرقة تنتمي إلى جيل الشباب في الموسيقا العربية الأندلسية المشتركة يرأسها ويديرها الموسيقي سهيل سرغيني الذي شارك في مجموعات مختلفة ومتنوعة مؤلفة من مغنين شباب عرب وأسبان. في قصيدة أندلسية هناك التقاء زمنين: زمن الأندلس مجسدا بالموسيقى الأندلسية وزمن القرن العشرين ممثلا بالفلامنكو وبعدد لا يحصى من أنواع الموسيقى العالمية التي نتأثر بها حاليا فتمتزج الموسيقا الاسبانية بالأوربية بالعربية.

## ملامح الخصوصية في نماذج من الفن العربي الإسلامي





ألقى الفنان التشكيلي "صفوان الجندي"* محاضرة حول "ملامح الخصوصية في نماذج من الفن العربي الإسلامي" وذلك في صالة الأسد للفنون الجميلة حضرها السيد عادل عيسى رئيس فرع النقابة وبعض من أعضاء النقابة وثلة من الحضور والمثقفين.

و تحدث فيها عن أبرز الملامح الحضارية الباقية من مختلف العصور متطرقا إلى الحديث عن المعابد الوثنية القديمة ثم عن الفن الروماني التقليدي إضافة إلى الأشكال الجديدة التي اتخذت من الفن الكلاسيكي مواضيعها. كما أشار إلى الفن العربي الإسلامي الذي تجسد بعض ملامحه في إنتاج الزخارف التزيينية المجردة وتكرار الوحدات الزخرفية الذي تمثل في تكرار وحدات فنية بغير نهاية.

* مما يجدر ذكره أن الفنان صفوان الجندي قد وافته المنية أواخر الشهر العاشر ٢٠٠٦.

الثلاثاء ٢٠٠٦/٧/١١

## افتتاح ندوة "دور وسائل الإعلام في إبراز صورة الإسلام في العالم ومعالجة ظاهرة الخوف من الإسلام" (الإسلاموفوبيا)



كيف نشأت ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)؟؟

وإلى أي مدى يستطيع المسلمون اليوم معالجة هذه الظاهرة بعد أن أصبحت أمراً واقعاً في العالم الغربي خصوصاً بعد أحداث ١١ أيلول ؟!

ما هو دور وسائل الإعلام في إبراز صورة الإسلام الحقيقية ؟! وهل استطعنا استخدام التقنيات الحديثة في إبراز الصورة السمحة للإسلام ؟!

أسئلة كثيرة تطرح في هذا السياق، ربما توجد لها الكثير من الإجابات في الندوة العلمية /دور وسائل الإعلام في إبراز صورة الإسلام ومعالجة ظاهرة الخوف من الإسلام/ (الإسلاموفوبيا) التي عقدت في مديرية الثقافة بحلب وتنظمها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والتي يشارك فيها باحثون من: الكويت - الامارات - قطر - البحرين - تونس - السودان - المغرب - مصر - ليبيا - فلسطين - ايران - سورية. وذلك ما بين ١١-١٣ من شهر تموز ٢٠٠٦، تجدون تفاصيل الندوة في ملف ندوات الاحتفالية.

الأربعاء ١٢/٧/٢٠٠٦

## تدشين افتتاح مشروع الحديقة الأندلسية وافتتاح معرض (الحدائق الأندلسية) في مدرسة الشيباني



قام محافظ حلب الدكتور المهندس تامر الحجة بوضع حجر الأساس لمشروع الحديقة الأندلسية الذي أقيم برعاية محافظة حلب ومجلس مدينة حلب بالتعاون مع مؤسسة الثقافة الإسلامية وبالتنسيق مع شركة FFDS للمشاريع الثقافية. ورافق افتتاح هذا المشروع معرض الحدائق الأندلسية/ منى وغياط وجنان/ في مدرسة الشيباني الذي تضمن العديد من النباتات الأندلسية التي نقلها العرب إلى أسبانيا خلال ٨٠٠ سنة




إضافة إلى النباتات الأخرى التي لها استخدامات طبية وتزيينية كالسوسن والنيلوفر الأبيض والأصفر وأزهار الخيري والزنبق والنرجس والخزامى والياسمين العطري وشجرة الطوبى.

وتضمن المعرض أيضاً شرحاً عن أسماء الشعراء الأندلسيين الذين تغنوا بالطبيعة وبعض المقطوعات الشعرية الأندلسية إضافة إلى مقتطفات عن الحدائق والنواعير المائية ونظم توزيع المياه والسواقي والجنينات الأرضية والأندلسية والصوفية والنباتات الأصلية السابقة على الفترة الإسلامية وغيرها.

وتخلل المعرض فيلم وثائقي عن الحياة في الأندلس والتنظيم العمراني واشتهارها بالحدائق المتميزة. واستمر المعرض حتى ١٥ / ٨ / ٢٠٠٦.

الاثنين ٢٠٠٦/٧/١٧

## فيلم عن حلب عاصمة الثقافة الإسلامية بمهرجان صيف صنعاء

بدأت في هذا اليوم في العاصمة اليمنية صنعاء فعاليات مهرجان صيف صنعاء السياحي بمشاركة سورية وتضمن المهرجان الذي استمر ثلاثين يوما العديد من الفعاليات الثقافية والفنية وقد تضمن الجناح السوري المشارك معروضات سياحية عن سورية وملصقات جداريه وتم لاحقاً عرض فيلم بعنوان: حلب عاصمة الثقافة الإسلامية.




٢٠٠٦/٧/٢٠

## بيان اللجنة الإعلامية حول الحرب في لبنان

اللجنة الإعلامية لحلب عاصمة الثقافة الإسلامية أصدرت بياناً حول الأوضاع في لبنان ناشدت فيه المجتمع الدولي للتدخل السريع من أجل وقف العدوان الصهيوني على أهلنا في لبنان وفي فلسطين.

وحيّت المقاومة الشعبية في فلسطين ولبنان تلك المقاومة التي ما تزال تواجه العدوان الذي بدأ منذ ١٢ تموز في حرب مدمرة ووحشية تشنها آلة الحرب العدوانية للكيان الصهيوني ضد الشعب اللبناني بدعم من الإمبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي تمد القوة التي تعمل على تدمير البنية التحتية والقتل والدمار في أوساط المدنيين وارتكاب المجازر بحق العزل من الأطفال والشيوخ والنساء. في الوقت الذي تستمر فيه الصهيونية في تدمير قطاع غزة وقتل المدنيين الأبرياء فيها. ويحصل هذا العدوان الإجرامي في جو من الصمت المريب والتواطؤ العلني من الدول الإمبريالية مع تخاذل ومباركة جوقة الدول العميلة لها، وإعلان إفلاس هيئة الأمم المتحدة باعتبارها رهينة لإرادة الدول الإمبريالية ومصالحها. لكن المقاومة الشعبية تستمر ببسالة مثيرة للإعجاب بتوجيه ضربات موجعة للعدو، لتؤكد حقيقة أن المقاومة الشعبية الجماهيرية هي الطريق الحقيقي لاسترداد الحقوق المشروعة.

## (مولانا) عرض مسرحي تركي في عاصمة الثقافة الإسلامية حلب





قدمت فرقة (فرقة مسرح اسطنبول) عرضاً مسرحياً تركياً بعنوان (مولانا) على مسرح مديرية الثقافة في السبع بحرات، ورغم أن العرض باللغة التركية فإن الحضور كان كثيفاً وقد وزعت نشرات تشرح النص المسرحي والسبب أن الحدث يدور حول شخصية الشاعر المتصوف "مولانا محمد جلال الدين الرومي" والذي تخصه أدبياتنا العربية بالكثير من الإكبار لأشعاره الصوفية وتجلياته الإلهية بالغة الرقة والشفافية.

/مولانا/ بحث في فلسفة التصوف "مولانا" أو (خدا وندكار) أي شيخنا، هو الاسم الأكثر شيوعاً لجلال الدين الرومي (١٢٠٧-١٢٧٣) مبتكر رقصة "المولوية"، الذي زار مكة وأُوفد إلى حلب للدراسة فيها. ومن ثم ذهب إلى دمشق وأقام فيها عدة سنوات أمضى جُلها مع الشيخ محيي الدين بن عربي الذي كان قد لقيه من قبل عندما وصل إليها وهو طفل صغير بصحبة أبيه "بهاء الدين" سلطان العلماء.



في ظلمة الليل العربي الحالكة.. يعود الكواكبي إلى حلب من جديد ليضيء بفكره النهضوي فضاءات عاصمة الثقافة الإسلامية ويوقد شمعة نور وأمل.. ها هي حلب تحتضن ابنها البار وهي تتوج عاصمة للثقافة الإسلامية.. تحتضنه في ندوة دولية شارك فيها أكثر من خمسة وثلاثين باحثاً من إيران -مصر - الأردن - العراق - لبنان وسورية خلال أيام ٢٧/٢٦/٢٥/ من شهر تموز ٢٠٠٦ استحضروا خلالها الكثير من أنوار الكواكبي وأفكاره التي ما زالت تهز هذا الواقع البائس فتصلح للزمان والمكان.

الندوة جاءت برعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب وجمعية الشهباء - أقيمت على مدرج مديرية الثقافة بحلب.

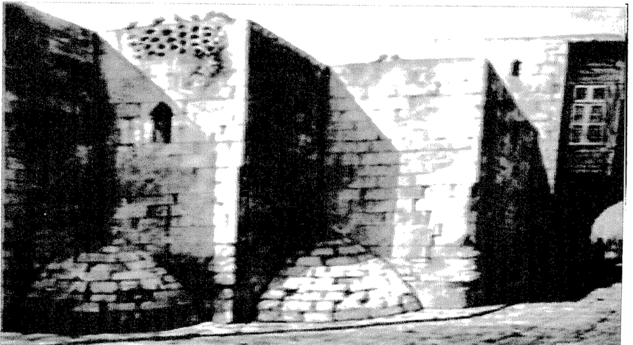


## معرض "حلب أريج الماضي والحاضر"



افتتح معرض "حلب أريج الماضي والحاضر" للفنان منذر شرابة في صالة الخانجي. حلب بكل تفاصيلها كانت حاضرة ومن خلال لوحات جاءت بأداء فني قوي سطعت الشمس على حجارة الحارات القديمة فانعكست عشقا لذاكرة وأصالة لا تزال حاضرة وشاهدة على عصور كثيرة.

ضم المعرض ٤٣ لوحة زيتية حضرت فيها حلب بماضيها وحاضرها وقبابها وحاراتها وقناطرها وكأن الفنان شرابة يتعهد في معرضه أن يكون ذاكرة لحلب وبلمسات واضحة المعالم وقوية الأداء يجسد في لوحاته عبق حلب القديمة باعثا في ذاكرتنا دفء وأصالة الموروث الحضاري المتغلغل في ذواتنا.



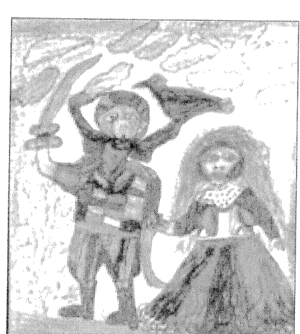
## معرض وحفل تأبين للفنانة عائشة عجم



افتتحت نقابة الفنون الجميلة فرع حلب -برعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب وبالتعاون مع مديرية الثقافة- معرض الفنانة عائشة عجم في صالة الأسد للفنون الجميلة وتم في نفس المكان حفل تأبين للفنانة بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيلها، واستمر المعرض حتى ٢٠٠٦/٨/٦

والفنانة عائشة عجم من مواليد عام ١٩١٦ م، لم تكن فنانة عادية، فهي لم تدرس فنون الرسم في حياتها، وهي أصلاً لم ترسم في صغرها ولا في شبابها، بداية مشوارها الفني جاءت متأخرة، لكن تجربتها الفنية كانت غنية، دافئة، بسيطة، فطرية. بدأت الرسم صدفة، دفعها لذلك مللها، بعد أن وجدت نفسها وحيدة في منزلها في حلب، فقد ودعت الزوج، وغادرها الأولاد كلٌّ إلى عمله.

كانت في الخامسة والثمانين، امرأة عجوزاً بعدّ السنين، ولكنها مليئة بالحيوية والنشاط، بدأت الرسم لتمضية وقتها، أبحرت في الماضي الرحب، تذكرت عنتر وعبلة، تذكرت الزير سالم، حنّت لأبي زيد الهلالي، رسمت ورسمت ثم قررت قرارها، لا بد من عرض هذه اللوحات.



ظهرت عائشة عجم أمام الجمهور لأول مرة خلال شهر أيار عام ٢٠٠٠م، وكانت ترسم أمام الناس بشكل مباشر، ثم أقامت معرضها الخاص الأول في المركز الثقافي الفرنسي في دمشق، كان ذلك في ١٣ شباط عام ٢٠٠١م. ثم توالت معارضها الخاصة، فكان الثاني في حلب مدينتها في أيار من نفس العام، والثالث في معهد غوته عام ٢٠٠٢م، وشاركت في نشاطات ومهرجانات أخرى عديدة ومتنوعة.

حازت عائشة عجم على إعجاب النقاد والفنانين، فهي ترسم فناً بكراً فطرياً، لا تعرف قواعد، ولم تسمع عن مدارس الفن، تستقي أفكارها من قصص التراث الشعبية، ومن حكايا الجدات.

الأربعاء ٢/٨/٢٠٠٦

## المعرض التخصصي التعليمي للجامعات والمعاهد



أقامت جامعة حلب بالتعاون مع رابطة العمال في دبي فعاليات المعرض التخصصي التعليمي للجامعات والمعاهد في الفترة ما بين السادس والعاشر من الشهر الثامن وذلك ضمن احتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية.

وقد شارك في المعرض الجامعات السورية الحكومية والخاصة والمعاهد التعليمية للغات والحاسوب ودور النشر المعنية بالمراجع التعليمية والعلمية وكتب تعليم اللغات الأجنبية.

ويذكر أن إقامة المعرض قد تزامن مع الفترة التي يتقدم خلالها الطلاب الناجحون في الشهادة الثانوية إلي المفاضلة العامة للقبول في الجامعات مما وفر الفرصة أمام الطلاب للاطلاع على الاختصاصات العلمية التي تدرس في الجامعات من خلال إيجاد الوسيلة المباشرة للاتصال بين الطالب الراغب في الانتساب إلى التعليم الجامعي لمرحلتي الدراسة الجامعية الأولى والدراسات العليا والجامعات المشاركة في المعرض التي عرضت في أجنحتها كل ما يتعلق بالعملية التعليمية والتسهيلات التي تقدمها للطلاب والراغبين في الدراسة فيها.

الجمعة ٤/٨/٢٠٠٦

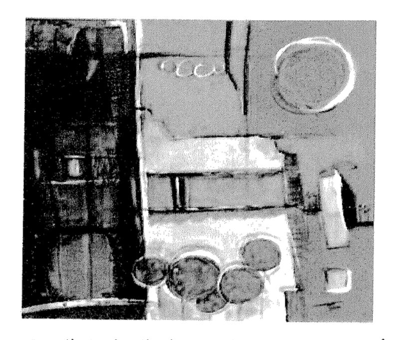
## فيلم "أطياف" في صالة مديرية الثقافة

برعاية الدكتور رياض نعسان آغا وزير الثقافة وضمن فعاليات حلب عاصمة للثقافة الإسلامية عرض في مديرية الثقافة بحلب الفيلم السينمائي /أطياف/ للمخرج محمد قارصلي في صالة مديرية الثقافة في السبع بحرات.

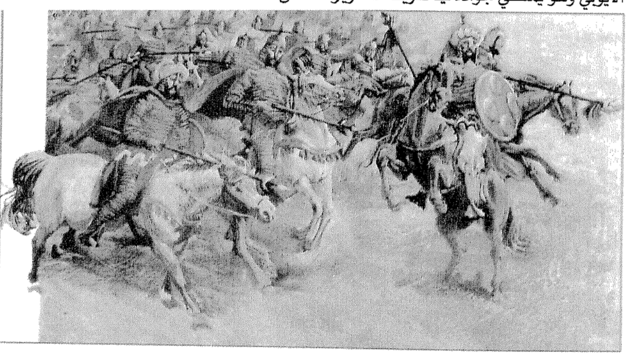


الاثنين ٧/٨/٢٠٠٦

## افتتاح معرض الفنان (بشير العباسي)
## وصور ملؤها الجهد والدقة في العمل



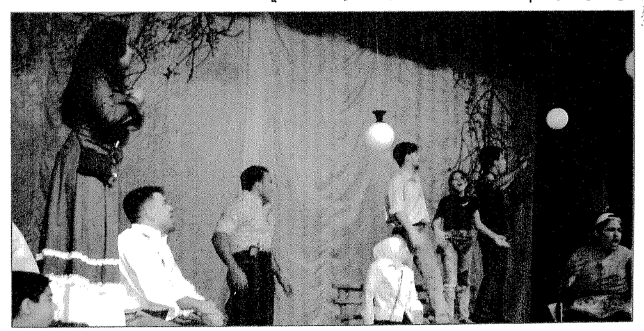
أقامت نقابة الفنون الجميلة فرع حلب، /معرض الفنان الراحل بشير العباسي/ في صالة الأسد للفنون الجميلة، وقد عرضت عشرات اللوحات التي كان قد اشتغل عليها الفنان العباسي في مسيرته الفنية، تلك اللوحات التي صنعت على طريقة الرسم بالطوابع البريدية المقصوصة لتشكل المنظر العام للوحات، وقد ركز الفنان جهده على المعالم الإسلامية والعربية والعالمية إلى جانب المناظر الطبيعية وصور الحيوانات والأزهار وصور لكثير من الشخصيات السياسية والعربية، فكانت أولى لوحاته صورة لمدخل قلعة حلب عام ١٩٣٧ وآخرها صورة للبطل صلاح الدين الأيوبي وهو يمتطي جواده في طريقه لتحرير القدس.



## افتتاح أسبوع المنتدى الثقافي لذوي الاحتياجات الخاصة



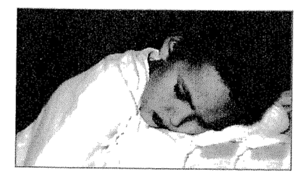
تحت رعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب دعت الأمانة العامة للاحتفال بحلب عاصمة للثقافة الإسلامية وبالتعاون مع مديرية الثقافة والمنتدى الثقافي لذوي الاحتياجات الخاصة لحضور فعاليات أسبوع المنتدى الثقافي لذوي الاحتياجات الخاصة الذي أقيم في مبنى مديرية الثقافة وقد تضمن افتتاح المعرض التشكيلي وافتتاح الأسبوع الثقافي وإلقاء الكلمات إضافة إلى العرض المسرحي "لعبة زواج" وتابع فعالياته خلال أسبوع كامل تضمن العديد من النشاطات الفنية، والجدير ذكره انه قد تم ترجمة المسرحيات والندوات وفيلم "مشاهدات حياة" إلى لغة الإشارة لذوي الاحتياجات الخاصة.



## السبت ٢٠٠٦/٨/١١

### أحزان طفل.. على خشبة مسرح مديرية الثقافة

أقامت مديرية الثقافة في حلب بالتعاون مع جمعية رعاية المسجونين وأسرهم عرضاً مسرحياً بعنوان "أحزان طفل يصنع المستقبل". تأليف ياسر المحيو وإخراج محمود درويش على مسرح مديرية الثقافة وعرض على يومين.



## الاثنين ٢٠٠٦/٨/١٤

### اجتماع تقييمي للأمانة العامة.. واقتراحات هامة لما تبقى..

إلى أين وصلت احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية والى أي مدى حققت ما كان يطمح إليه الحلبيون من هذه الاحتفالية؟

ما هي البرامج التي نفذت خلال الفترة الماضية؟ وهل كانت بالمستوى المطلوب؟

ما هي الأخطاء والنواقص التي بدت في يوميات الاحتفالية؟

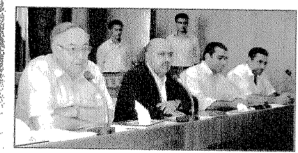
وهل هناك فرصة لتلافيها خلال ما تبقى من وقت؟

كيف تفاعل أهل حلب مع احتفاليتهم؟

والى أي مدى كان دورهم في إنجاحها؟

ما هو المطلوب للوصول إلى افضل مستوى؟ وما هي الاقتراحات التي تضمن إقامة الفعاليات الثقافية والفنية والجماهيرية التي تغني الاحتفالية؟

وما هو دور المثقفين والمعنيين في



هذا الأمر؟ وهل كان ثمة تقصير في جوانب العمل المختلفة؟

هذه جملة من الأسئلة الكثيرة كان لها إجابات وإيضاحات خلال الاجتماع الموسع الذي ترأسه الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب - للأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية في دار الحكومة.

وذلك بعد مرور نصف زمن الاحتفالية بهدف تقييم العمل والاستماع من اللجان والمعنيين والمثقفين إلى آرائهم ومقترحاتهم. ■

## الاثنين ١٤/٨/٢٠٠٦

## زين العابدين.. صناعيا ومبدعا

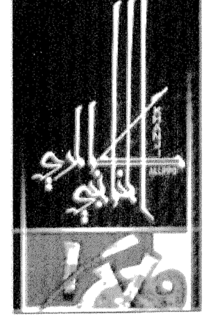


دعت مديرية الثقافة في حلب للاستماع إلى ندوة بعنوان: "الشيخ عبد الرحمن زين العابدين.. صناعياً مبدعاً وعالماً موسوعياً".

شارك فيها الدكتور بكري الشيخ أمين والصيدلاني أحمد منصور في قاعة المحاضرات في مبنى مديرية الثقافة.▣

## السبت ٢٠/٨/٢٠٠٦

## "ذاكرة"
## معرض للفنان العراقي فاضل حسين



ضمن فعاليات احتفالية "حلب عاصمة الثقافة الإسلامية"، افتتح معرض الفنان العراقي فاضل حسين بعنوان: "ذاكرة" في صالة الخانجي للفنون الجميلة واستمر المعرض لمدة عشرة أيام.▣

في الاحتفالية

الأحد ٢٠٠٦/٨/٣١

## افتتاح "الملتقى الرابع للقصة القصيرة جداً"



تحت عنوان: "حلب في القصة القصيرة -سيرة مدينة ومقاومة" انطوى الملتقى الرابع للقصة القصيرة جداً الذي افتتح في ثقافي العزيزية وجاء برعاية السيد عبد القادر المصري أمين فرع حلب لحزب البعث العربي الاشتراكي، والأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية وبالتعاون مع مجلس مدينة حلب ومديرية الثقافة ولجنة ملتقى القصة.

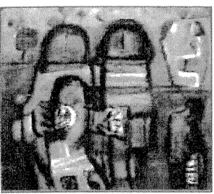
وكما أوضح منسق الملتقى د. محمد جمال طحان في كلمة الافتتاح أن الجديد في هذا الملتقى تزامنه مع حدثين مهمين الأول الاحتفال بحلب عاصمة للثقافة الإسلامية والثاني مع النصر الذي حققته المقاومة اللبنانية ولذلك سعينا لأن يكون لهذا الملتقى وجهان: وجه موغل في الحضارة والعراقة ووجه آخر مقاوم فجاء الملتقى "سيرة مدينة ومقاومة".

ثم عرض فيلم وثائقي عن الملتقى السابق وما تم إنجازه وما سيجري من فعاليات في الملتقى الحالي.

وبحضور ملفت جاء الملتقى الرابع للقصة القصيرة جداً وتميز هذه السنة بمشاركات سورية متميزة واستمر ثلاثة أيام ونقل في اليوم الثاني إلى مسرح مديرية الثقافة في السبع بحرات وجاءت المشاركة فيه على مستوى المناسبة.

## الاثنين ٢٠٠٦/٨/٢٨

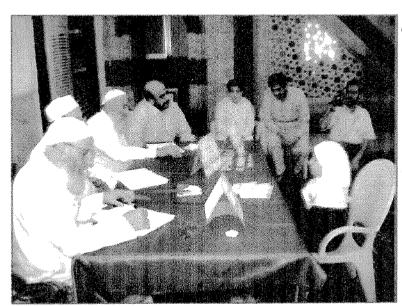
### معرض الفنان قره دامور



برعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب وبالتعاون بين مديرية الثقافة ونقابة الفنون الجميلة تم افتتاح معرض الفنان التشكيلي "محمد قره دامور" في مبنى مديرية الثقافة بحلب، السبع بحرات. و استمر المعرض لمدة أسبوع.

## الثلاثاء ٢٠٠٦/٨/٢٩

### انطلاق مسابقة القرآن الكريم بالثانوية الشرعية



برعاية وزارة الأوقاف انطلقت بالثانوية الشرعية الخسروية مسابقة القرآن الكريم التي تقيمها مديرية الأوقاف بالتعاون مع إدارة الإفتاء الديني بحلب.

وضمت المسابقة خمس فئات هي فئة حفظ عشرة أجزاء لمن أعمارهم ١٠ سنوات فما دون ذكوراً وإناثا وفئة حفظ عشرين جزءاً لمن أعمارهم دون العشرين سنة ذكوراً وإناثا وفئة الحفظ الكامل للقرآن الكريم لمن أعمارهم دون الثلاثين سنة ذكوراً وإناثا أما الفئة الرابعة فهي تتميز على مستوى العالم الإسلامي فللمرة الأولى تجري مسابقات عن القراءات القرآنية عن طريق الطيبة وطريق الشاطبية والدرة وهذه الفئة مفتوحة لكل الأعمار.. أما الفئة الخامسة فهي للصوت الحسن.. وقد قامت خمس لجان بامتحان المشاركين ثلاثة منها للحفظ الكامل حيث العدد الأكبر من المشاركين فيه ولجنة للعشرة أجزاء ولجنة للعشرين جزءاً.

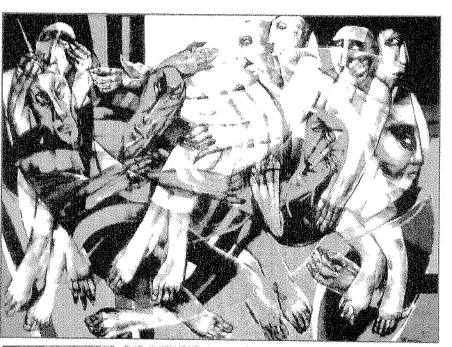
الثلاثاء ٢٠٠٦/٨/٢٩

## "أيام الشعر في حلب"

برعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب أقامت الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية وبالتعاون مع مديرية الثقافة ندوة بعنوان: "أيام الشعر في حلب" على مدرج مديرية الثقافة شارك فيها: الدكاترة: أحمد قدور - فايز الداية - عبد السلام الراغب - سعد الدين كليب - فؤاد المرعي.

السبت ٢٠٠٦/٩/٢

## سعد يكن في معرض "التحرر وثيقة إنسانية"



افتتح الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب معرض "التحرر وثيقة إنسانية" الذي نظمته الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية بالتعاون مع الهلال الأحمر العربي السوري.

وفي ٢٠ لوحة من الحجم الكبير حاول الفنان يكن أن يعبر عن موضوع التحرر ويتطرق إليه من جوانب عديدة في رغبة لمزج الفن بذلك الهم الإنساني وبأسلوب تعبيري جاءت شخوصه مجسدة للحالات الإنسانية المختلفة التي طالما تكررت مشاهدتها على شاشة التلفاز إلا أن الفنان بأسلوبه المعروف عقد علاقة حميمة من نوع خاص بين شخوصه فجاءت حزينة تارة وحالمة تارة أخرى.. ومودعة المكان والزمان تارة ثالثة.. والجدير ذكره أن ريع هذا المعرض رصد للمقاومة اللبنانية.

الأحد ٢٠٠٦/٩/٣

## سيفيات المتنبي



ألقى الأديب أسامة مرعشلي في مديرية الثقافة بحلب محاضرة بعنوان: "سيفيات المتنبي" قراءة في الخطاب الشعري التاريخي الملحمي.

الأحد ٢٠٠٦/٩/٣

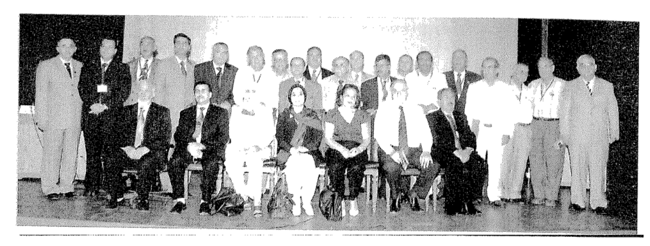
## معرض "من أجلك يا قدس"




برعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب أقامت اللجنة الشعبية العربية السورية لدعم الانتفاضة ومقاومة المشروع الصهيوني ونقابة الفنون الجميلة ومديرية الثقافة بحلب معرض الفن التشكيلي "من أجلك يا قدس" للفنان عيسى يعقوب وأقيم المعرض في مديرية الثقافة واستمر لغاية ٢٠٠٦/٩/١١. وقد تلا الافتتاح حفل فني لفرقة الناصرة للفنون الشعبية الفلسطينية ثم مؤتمر صحفي حول المعرض وصمود الشعب الفلسطيني ومقاومة المشروع الصهيوني يذكر أن ريعه الطوعي والتبرعات للشعب الفلسطيني وانتفاضته الباسلة.

الثلاثاء ٢٠٠٦/٩/٥

## افتتاح الندوة العلمية الدولية: "الحياة الاقتصادية في حلب عبر التاريخ"



برعاية الدكتور عامر لطفي وزير الاقتصاد والتجارة افتتحت الندوة العلمية الدولية بعنوان: /الحياة الاقتصادية في حلب عبر التاريخ/ والتي نظمتها الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية وغرفة تجارة حلب على مدرج مديرية الثقافة بحلب. وألقيت في حفل الافتتاح كلمات راعي الندوة ورئيس الأمانة العامة للاحتفالية ورئيس غرفة تجارة حلب وكلمة الباحثين المشاركين.

واستمرت الندوة ثلاثة أيام والجدير ذكره انه قد شارك في الندوة اكثر من ثلاثين باحثاً من: العراق - الاردن - السعودية - المغرب - الجزائر - ايطاليا - وسورية.

الخميس ٢٠٠٦/٩/٧

## شعراء الوطن العربي يحيّون حلب عاصمة الثقافة الإسلامية

برعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب، أقامت الأمانة العامة لحلب عاصمة الثقافة الإسلامية بالتعاون مع مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري. أمسية شعرية شارك فيها الشاعر هارون هاشم رشيد من فلسطين والشاعرة نبيلة الخطيب من الأردن والشاعر عبد العزيز سعود المانع من السعودية فوجهوا التحية إلى مدينة حلب عاصمة الثقافة الإسلامية. وقد قدّم الأستاذ "محمود أسد" الشعراء المشاركين ورحب بهم باسمه وباسم مثقفي وأدباء حلب. و حضر الأمسية مدير الثقافة الأستاذ محمد كامل قطان و عدد من الأدباء والمثقفين والمهتمين.

الجمعة ٢٠٠٦/٩/٨

## حلب في القلب




أقامت جمعية العاديات بالتعاون مع جمعية الشهباء أمسية شعرية بعنوان: /حلب في القلب/ شارك فيها كل من الشعراء: الدكتور محمد جمال طحان - عامر الدبك - محمد زكريا مصاص - بهيجة مصري إدلبي - محمود محمد أسد -وذلك في جمعية الشهباء.

الاثنين ١١ /٢٠٠٦/٩

## ندوة علمية حول تعميق الوعي واحترام الخصوصيات الثقافية



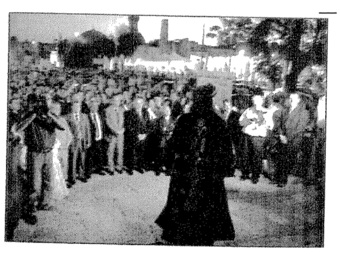
برعاية الدكتور رياض نعسان آغا وزير الثقافة أقامت الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية وبالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ندوة علمية حول: "تعميق الوعي واحترام الخصوصيات الثقافية والتنوع الثقافي في العالمين العربي والإسلامي" في قاعة المؤتمرات في مبنى مديرية الثقافة واستمرت ثلاثة أيام تجدون تفاصيلها في ملف ندوات الاحتفالية.

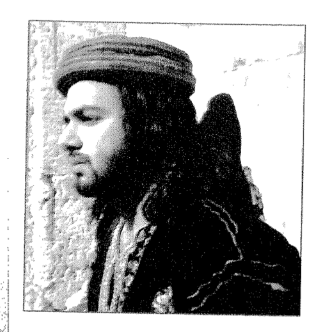
بحضور الدكتور عادل سفر وزير الزراعة والإصلاح الزراعي افتتح الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب أمام باب قلعة حلب معرضاً بعنوان (رحالة في حلب) الذي نظمته محافظة حلب بالتعاون مع محافظة برشلونة الإسبانية في إطار احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية.

وجال الحضور في أقسام المعرض الذي يحتوي على لوحات تعريفية بأهم معالم المدينة القديمة تتحدث عن ما قاله الرحالة علي باي العباسي عن معالم حلب والمدن الإسلامية التي زارها.

وتحدث السيد اوريول ممثل محافظة برشلونة فأكد ان افتتاح هذا المعرض يعتبر إعادة لذكرى الرحالة علي باي العباسي وإحياء للعلاقات التاريخية القائمة بين البلدين سورية وإسبانيا.

من جهته قدم السيد محافظ حلب شكره لمحافظة برشلونة على التعاون والجهود المبذولة لإقامة هذا المعرض





الذي يعيد للذاكرة رحالة ومستشرقين جاؤوا إلى حلب وكتبوا عنها بألسنتهم وعقولهم لافتاً إلى أن هذا الحدث يساهم في توثيق عرى الصداقة والمحبة بين سورية وإسبانيا.

هذا ويعود اسم الرحالة علي باي العباسي إلى دو مينغو باديا أي ليليش الذي ولد في برشلونة عام ١٧٦٧ وتوفي في دمشق ١٨٢٢ وسافر إلى المغرب العربي تحت اسم علي باي العباسي واختار مدينة حلب لينتسب اليها فكان يعرف على انه أمير عباسي من حلب سافر إلى مكة للحج لذلك كان أول مسيحي يدخل مكة حاجاً كما سمي احد شوارع برشلونة باسم شارع علي باي وليس باسم دومينغو باديا. يذكر أن هذا المعرض من تحضير وتنفيذ مجموعة (فري فورم ستوديو) في برشلونة.

الأحد ١٧/٩/٢٠٠٦

## افتتاح ندوة "التراث الثقافي اللامادي لمدينة حلب"



برعاية الدكتور رياض نعسان آغا افتتحت فعاليات الندوة العلمية الدولية"التراث الثقافي اللامادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية" على مدرج مديرية الثقافة بحلب. وهدفت الندوة إلى التعريف بالتراث الثقافي اللامادي ومجالاته وأشكاله والكشف عن عناصره في مدينة حلب وأساليب ممارسته وتحديد آليات لجمعه وتوثيقه ونشره مع دراسة إمكانية إحياء التراث الثقافي اللامادي لحلب والاستفادة من التجارب العالمية في الحفاظ على التراث الثقافي اللامادي. واستمرت لمدة ثلاثة أيام من ١٧-١٩ أيلول ٢٠٠٦.

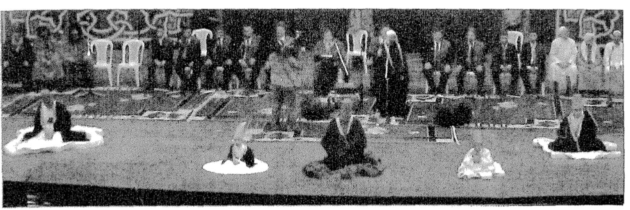


الخميس ٥/١٠/٢٠٠٦

## طارق سويدان يجتذب آلاف الشباب في حلب ويعيد إلى الذاكرة حفل افتتاح الاحتفالية

لم نألف في حلب هذا المشهد إلا يوم افتتاح احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية حيث احتشد ألوف من أبناء مدينة حلب أمام صالة الأسد مساء الخميس وقبل ساعتين من الموعد المحدد للمحاضرة فقد كان أهالي حلب على موعد مع الدكتور طارق سويدان والذي يزور حلب لأول مرة ويلتقي شباب المدينة، وأول محاضرة يلقيها في سورية هي التي ألقاها في عاصمة الثقافة الإسلامية -حلب.

## حبوش يشدو في ليلة صوفية تراثية



أحيا الشيخ أحمد حبوش قائد فرقة طيبة حفلة إنشاد ديني على مسرح صالة الأسد بحلب.

وقدم لوحات فنية غنية من موشحات / ياعاشق المصطفى - ياربي نظرة إلي - واستغاثة ووصلات غنائية دينية من الذكر ومدح الرسول (ص) والتوسل الإلهي - ولوحات: الصاوي والحدي والخماري - وغيرها من فقرات الإنشاد الديني التي ترافقت مع أداء الفرقة المولوية.

وقد شارك في هذا الحفل أكثر من أربعين فرداً تمثلوا بمجموعة الخلافات (وهي مجموعة مشايخ يلبسون عمائم كبيرة). وأهل النوبة (يلبسون زياً أبيضاً).. ومجموعة طارقي الدفوف وفرقة المولوية، اضافة إلى فرقة العازفين ومن أبرز المشاركين / حسان التنجي - حسن السبع - بشير براجكلي - يحيى حمامي - ومحمد أبو الخير نحاس.





أقامت مديرية الثقافة في حلب محاضرة بعنوان: "من رجالات حلب العلامة الشيخ: جميل عقاد" شارك فيها: الأستاذ محمد راتب النعساني - الأستاذ عدنان كاتبي - نجله الأستاذ رائد عقاد أدار الحوار وشارك فيه الأستاذ الدكتور أحمد فوزي الهيب.

وقد حرص الأساتذة المحاضرون على تغطية كافة جوانب حياة الشيخ ومن مختلف مناحي الحياة لديه في محاولة لتذكير الحضور بأيام الشيخ ومواقفه ودروسه وعبره وأبياته الشعرية الموزونة التي كان يقدمها بين المناسبة والأخرى وأهم مواقف حياته ورحلته إلى مصر والشهادات التي نالها من الأزهر الشريف وكل أمور حياته الشخصية ووفاته. وذلك



بحضور كبير من تلامذة الشيخ وأصدقائه ومحبيه. حيث تم ذكر هذه المآثر في محاضرة دامت أكثر من ساعتين تبعها مداخلات وآراء من كبار رجال الدين ومثقفي هذه المدينة الطيبة.

الأحد ١٥/١٠/٢٠٠٦

## أمسية فنية صوفية



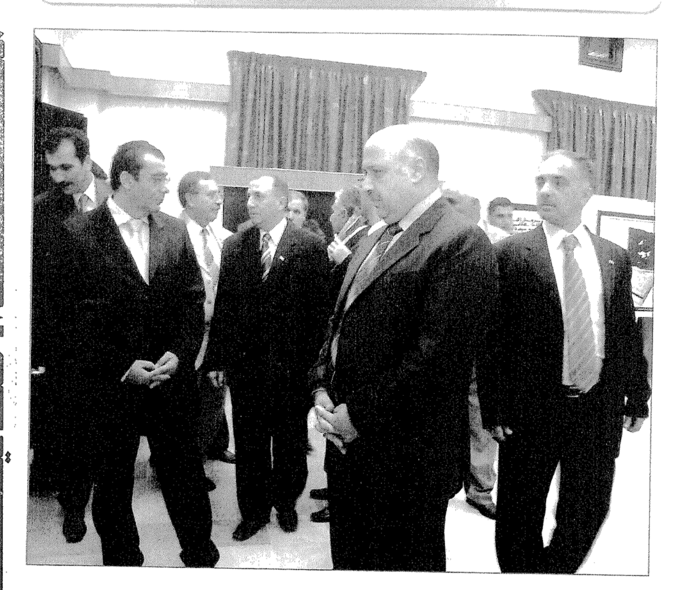
أحيا الأمسية المنشد أحمد علاء الدين وفرقته على مسرح مديرية الثقافة بحلب تابعها حشد من المهتمين والمتذوقين. وقد حلق أعضاء الفرقة عبر أناشيدهم في أجواء صوفية لامست شغاف القلوب انجذب إليها الجمهور وتفاعل معها مما أعطى الأمسية ذائقة خاصة سيما وأن أعضاء الفرقة استطاعوا أن ينتقلوا بين مقامات التواشيح الدينية بحرفية عالية أظهروا من خلالها تمرساً كبيراً في أداء هذا اللون من الفنون الطربية الأمر الذي جعلهم ينالون إعجاب وتقدير الحضور.

الأحد ١٥/١٠/٢٠٠٦

## حلقة خاصة عن الكواكبي على الفضائية السورية

قام المركز الإذاعي والتلفزيوني بحلب بتصوير حلقة خاصة عن الكواكبي من خلال حوار أجراه الباحث الدكتور محمد جمال طحان مدير المركز الإعلامي بحلب مع الدكتور محمد علي آذرشب (ايران) الدكتور حسن حنفي(مصر) والقاضي سعد زغلول الكواكبي - حفيد الكواكبي، وقد تحدث المتحاورون المشاركون في الندوة عن حياة المفكر النهضوي عبد الرحمن الكواكبي وأعماله وأبرز الأفكار التي طرحها وما نزال بحاجة إليها حتى عصرنا الراهن. ثم عن امتداد أفكاره في ظل الظروف الحالية التي تواجه الأمتين العربية والإسلامية.

مدة هذه الحلقة التلفزيونية خمسون دقيقة، وقد بثت هذه الحلقة يوم الأحد ١٥/١٠/٢٠٠٦ في الساعة ١١,٣٥ ليلاً على الفضائية السورية. وأعيدت غير مرّة



افتتح الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب فعاليات أيام اسطنبول الثقافية وذلك في مديرية الثقافة / وقد تضمنت المعارض /الأمانات المقدسة واسطنبول بالصور والسلاطين والشعراء وفن الابرو والخط / وكذلك قصائد غزلية وإنسانية للعديد من السلاطين العثمانيين وصوراً فوتوغرافية لمعالم مدينة اسطنبول السياحية والاثارية والمعمارية والموانئ وصوراً فوتوغرافية لرسائل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الملوك وسيوف الصحابة الكرام وبردة ونعل وخاتم الرسول عليه الصلاة السلام وبعض الأشياء الخاصة بكبار الأئمة والتابعين واللوحات الفنية للخط وفن الابرو.

## الخميس ١٩/١٠/٢٠٠٦

## اوزخان يحيي أمسية غنائية وموسيقية صوفية



وضمن فعاليات "أيام اسطنبول الثقافية" أحيا الفنان "احمد اوزخان" أمسية موسيقية وغنائية تضمنها العديد من التواشيح والأناشيد الدينية والمدائح النبوية بصوت وأداء رائعين وكلمات عذبة حازت على تقدير المستمعين.

والجدير ذكره أن الفنان اوزخان بدأ عمله في مجال الموسيقا الصوفية منذ ثمانينات القرن الماضي وأصبح رائداً لتيار جديد وما زال ينتج في هذا المجال ويجري الدراسات حول الموسيقا الصوفية وقد نال جوائز في ساحة الموسيقا الصوفية والشعبية التركية وفي المجالات الأخرى. وقدم مئات الحفلات والمساهمات الفنية واشترك في مهرجانات دولية كممثل عن بلاده وهو الآن أحد مؤسسي الفن في "مجموعة الموسيقا التركية التاريخية في اسطنبول التابعة لوزارة الثقافة والسياحة التركية". ❋

## الجمعة ٢٠/١٠/٢٠٠٦

## حفلة رمضانية في ساحة سعد الله الجابري

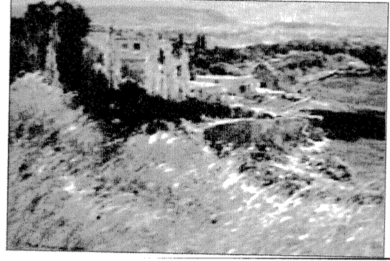
تحت الكرة التي توسطت ساحة سعد الله الجابري في مدينة الشهباء، أحيت فرقة التوحيد للأناشيد الدينية حفلاً فنياً دينياً رمضانياً جماهيرياً ضمن فعاليات حلب عاصمة الثقافة الإسلامية تخلل الحفل العديد من القصائد والموشحات الدينية التي لاقت إعجاب الجمهور.❋



## افتتاح معرض "الشاهد" حمدي "مالفا"







برعاية السيد وزير الثقافة افتتح في مديرية الثقافة معرض الفنان التشكيلي /عمر حمدي/ (مالفا) وحمل عنوان /الشاهد/ حضره السادة كامل قطان مدير الثقافة وعادل عيسى رئيس فرع نقابة الفنون الجميلة وحشد غفير من المهتمين بالفن التشكيلي والثقافة.

وجال السيد قطان وصحبه في صالة المعرض وشاهدوا عشرات اللوحات الزيتية التي صورت الإنسان الشرقي عبر تاريخه الطويل.

وجسد الفنان في لوحاته المرأة فراغا أبيض مليئاً بالخوف والقلق، والمساحة البيضاء تتلاشى كلما اقتربت منها، وفي معرضه يتجرد الفنان حمدي من كل شيء ليوصلك في النهاية إلى الشاهد.

# ندوات دولية

## "دور المكتبات والتوثيق في الثقافة الإسلامية"

محمد العنان *

**يتجدد الموعد في فضاءات حلب - عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ٢٠٠٦ ويبدأ مشوار جديد إبحارا في الثقافة الإسلامية التي نهلت منها الكثير من الثقافات الأخرى فشكلت معها جوانب هامة من الحضارة الإسلامية بأبعادها المختلفة ورفدت البشرية بالكثير من الكنوز والمعارف والعلوم. وما المكتبات التي ضمت الكثير من هذه الكنوز عبر التاريخ إلا جزء من هذا الإرث العظيم الذي ما زالت الشعوب تنهل منه.**

**من هنا تأتي أهمية الندوة الدولية الجديدة التي أقيمت يومي الأربعاء والخميس الخامس والسادس من شهر تموز في مديرية الثقافة في حلب (دور المكتبات والتوثيق في الثقافة الإسلامية - ندوة الدكتورة دعد الحكيم).**

فبرعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب في إطار احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، وبالتعاون بين الأمانة العامة للاحتفالية وجمعية العاديات السورية وجمعية المكتبات والمعلومات الأردنية والجمعية السورية للمكتبات والوثائق ومديرية الثقافة بحلب أقام المكتب الدائم لاتحاد جمعيات المكتبات في بلاد الشام الندوة الحادية عشرة - ندوة الدكتورة الراحلة دعد الحكيم بعنوان " دور المكتبات والتوثيق في الثقافة الإسلامية ".

وألقى الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب كلمة الافتتاح أكد فيها دور المكتبات العربية والإسلامية في التاريخ الإنساني حيث كانت مكتبة البلاط الحمداني بحلب ومكتبة قرطبة الكبرى التي بلغت ذروتها أيام الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله ومكتبات القاهرة وفاس والقيروان والرباط وأصفهان وسمرقند.. مشيرا إلى أن مكتبات ومتاحف العالم اليوم تضم قرابة ستة ملايين مخطوط موزعة في تركية وإيران بشكل أساسي وبعض المدن

* صحفي في جريدة الجماهير.



العربية والإسلامية بالإضافة إلى أسبانيا وبريطانية والفاتيكان وليون و.. وغيرها..

وأكد أن هذه الندوة تأتي استكمالا لعملية توثيق كبرى نحن بأمس الحاجة إليها للحفاظ علة ذاكرتنا القومية وهويتنا التاريخية ووجودنا الحضاري لافتا إلى أن إقامة الندوة في إطار احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية يؤكد الدور الكبير لهذه المدينة في مجال المكتبات والوثائق مشيرا إلى أبرز مكتبات حلب التاريخية كمكتبة الأحمدية التي تضم آلاف المخطوطات والكتبة الوقفية والمكتبة الرضائية العثمانية ومكتبة الجامع الأموي الكبير وعدد كبير من المكتبات الخاصة.

وشدد السيد المحافظ على ضرورة توثيق التراث وتحقيق مخطوطاته ونشرها وتأمين مستلزمات هذا التوثيق لكي نستطيع مواجهة المحاولات الظالمة التي تستهدف إلغاء ثقافتنا وحضارتنا وإخراجنا من دورة التاريخ.

وكان الدكتور نهاد الجرد رئيس جمعية المكتبات والوثائق السورية قد ألقى كلمة نوه خلالها بالجهود الكبيرة التي بذلتها الجهات المعينة لتنظيم هذه الندوة وإقامتها في حلب الشهباء لافتا إلى دور أهمية مثل هذه النشاطات والندوات في تعميق دور الثقافة في تقدم وازدهار الشعوب.

بدوره ألقى الدكتور أحمد محمد الخطيمي كلمة جمعية المكتبات والمعلومات الاردنية أشار خلالها إلى أهمية مشاركة الجمعية في مناسبة احتفالية حلب كعاصمة للثقافة الإسلامية كونها تحمل دلالات تتصل بمكانة حلب حاضرة بلاد الشام ومنبع الفكر والعلم والأصالة الحاضرة في تاريخ الأمة حيث كانت مسرحا للإنجازات العربية

والإسلامية التي كانت تعتمد على العلم والكتابة والقراءة والفكر والثقافة.

كما ألقى الدكتور سهيل الملاذي رئيس المكتب الدائم لاتحاد جمعيات المكتبات في بلاد الشام كلمة أكد من خلالها أن المكتبات أسست عبر العصور المتعاقبة بنيانا لثقافة إسلامية إنسانية المحتوى فاضت على الدنيا بقيمها الأصيلة وأدبياتها الخلاقة وكانت حلب عاصمة وفية لها وحاضنة لتراثها الفذ وراعية لإبداع مبدعيها..

مشيرا إلى أن إطلاق اسم الزميلة الراحلة ((دعد الحكيم)) على هذه الندوة يأتي تكريما لها وعرفانا بما تركته من أثر طيب على العمل المكتبي وبما خلفته من بصمات واضحة على الحياة الثقافية المعاصرة هذا وقد تم تكريم الدكتورة دعد الحكيم بتقديم درع الثقافة قدمه السيد محافظ حلب لذويها تقديراً لجهودها الطيبة في الجانب الثقافي والتوثيقي وفي حين ألقى كل من السيد فهد السماري (السعودية) ممثل الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف والسيد غسان عبيد مدير مركز الوثائق التاريخية بسورية في الفرع الإقليمي للمجلس الدولي للأرشيف كلمات أشادا خلالها بالدكتورة الحكيم وثمنا جهودها النبيلة في مجال الأرشفة وجمع الوثائق التي تركت أثرا هاما على هذا الصعيد وفي الحركة الثقافية.



إلى جانب ذلك قام السيد المحافظ بافتتاح معرض صور ووثائق تاريخية عن سورية في مقر المديرية يضم أكثر من مائة صورة لشخصيات سورية تاريخية.

الدكتور سهيل الملاذي: رئيس اتحاد جمعيات مكتبات بلاد الشام المداخلة التي أعددتها في هذه الندوة بعنوان (مصادر الثقافة الإسلامية في مكتبات العصر العباسي)

وقد اخترت هذا العنوان لأن مكتبات هذا العصر كانت قد شهدت ازدهارا كبيرا للترافق مع حركة التأليف والتدوين والترجمة إلى العربية وهذا ما جعلني أعتبر هذا العصر هو عصر ازدهار للثقافة الإسلامية بشكل عام ومن هنا تناولت مصادر الثقافة الإسلامية في هذه المكتبات خاصة أنها قد زودت بالكثير من أمهات الكتب والمؤلفات الضخمة الموسوعية في أمهات العلوم سواء النقلية أو العقلية (طب - رياضيات..)

هذه الكتب أغنت مكتبات العصر العباسي خاصة وأنها كانت من الازدهار لدرجة أن مكتبة الصاحب ابن عباد مثلا كما اعترف أحد المؤرخين الغربيين كانت تحتوي على عدد يتجاوز ما في مكتبات أوربا جميعها في القرن الرابع الهجري وهذا يدل على المكانة التي كانت تحتلها الثقافة الإسلامية في العصر العباسي والمكتبات فيها بشكل خاص.

هناك بذور في هذه المكتبات والمؤلفات قد بدأت في العصر الأموي أما في العصر العباسي كان قد حصل استقرار و هذا الاستقرار كما يقول ابن خلدون "يترادف مع العمران" والعمران يستدعي بروز هذه الثقافات فكان محور المؤلفات في العصر الأموي علوم القرآن والحديث.. وقد اهتم الأمويون بالفلك والطب لكن لم يكن هناك منهجا منظما للتأليف والتدوين.. أما في العصر العباسي عرفت المؤلفات العربية هذا الاختصاص والتدوين وبالإضافة إلى اهتماماتهم بالطب والعلوم أيضاً اهتموا بالعلوم العقلية التي جاءت من الأمم الأخرى مثل كليلة ودمنة ومنطق أرسطو.. وغيرها من الكتب.. حيث بدأت الثقافة الإسلامية تأخذ محاور جديدة نتيجة الترجمات الجديدة والاحتكاك بالثقافات الاخرى مما ساهم في تغيير طبيعة العلوم وطرق البحث وأصبح لكل علم منهجا خاصا.

لقد زودت المؤلفات والترجمات في العصور المختلفة وبشكل خاص العصر العباسي المكتبة العربية برصيد ضخم من المؤلفات تجاوز مئات الألوف من المؤلفات وأسست لثقافة إسلامية عربية حقيقية.

نحن في عصر التقنيات والتطور اليوم أصبح الكتاب الورقي ضعيفا أمام وسائل الاتصالات الأخرى لذلك علينا اليوم أن نجاري العصر بموضوع الكتاب الإليكتروني ووسائل الاتصال الحديثة التي أحدثت أيضا ثورة في عالم الكتاب.. ومن هنا نجد أن المؤلفات التي تناولت واقع الإنسان بكل الأبعاد موجودة حقيقة لكنها ليست بهذا المستوى الذي نطمح إليه.



ويضيف الدكتور الملاذي بأن على هذه الندوة يجب أن تخرج بتوصيات هامة على اعتبار أن الواقع الثقافي الآن ليس جيداً. ويجب أن تكون التوصيات داعمة للمكتبات والكتاب الإليكتروني وتدعم تكنولوجيا المعلومات التي توصلنا إلى المعلومة بشكل أسرع وتجعلنا نجاري الدول الأخرى في هذا المجال. وعلينا أن نسهل عملية الحصول على الكتاب للإنسان العادي لأن دخل الفرد أصبح ضعيفا بالنسبة لسعر الكتاب. فيجب أن نعترف بذلك وعلينا أن نجسد بعض المساعي في سبيل توفير الكتاب لجماهير الناس التي بحاجة ماسة إلى القراءة.. هناك ضرورة الاهتمام بالمكتبات وطرق التصنيف والفهرسة علينا ان نعيد النظر فيها وعلينا أن نعين خريجي قسم المكتبات كأمناء مكتبات في المكتبات العامة. ونشر الوعي المعرفي لدى الناس ونشدهم للقراءة.

الدكتور فيصل الحفيان منسق برامج معهد المخطوطات العربية التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جامعة الدول العربية - تحدث عن هذا المعهد قائلا: إن معهد المخطوطات الذي أحدث عام ١٩٤٦ هو الجهاز القومي المختص بالتنسيق والعمل من أجل المخطوطات العربية على المستوى العربي، ولا يعني أن دائرة عمله محصورة على نطاق الوطن العربي، فهو يهتم أيضاً بالمخطوطات العربية أينما كانت داخل وخارج الوطن العربي. واهتمامه بهذا الجانب يأتي على صعد مختلفة ومتنوعة منها جمع مصورات المخطوطات العربية وفهرستها وتحقيقها ونشرها وتنظيم الدورات التدريبية لكيفية التعامل مع هذا التراث إضافة إلى إصدار ومنح جوائز خاصة لبعض النماذج العالية في التحقيق خاصة بالنسبة للمحققين المعنيين بالتراث وتحقيقه ونشره.

وفي هذا الإطار قام المعهد بكثير من الإنجازات التي تسجل له وهناك مهمة رئيسية له وهي مهمة التنسيق بين مراكز المخطوطات العربية فنحن نعلم ان البلاد العربية الآن انتشرت فيها المراكز والمؤسسات الخاصة بالتراث العربي سواء أكانت كاملة في هذا الحقل أو تأخذ شكل مخطوطات معينة. ولاشك أن تعدد هذه المكتبات او المراكز تحتاج إلى منسق وهذا المنسق هو معهد المخطوطات العربية باعتباره الجهاز القومي الذي ندبته المنظمة العربية التي تعد ذراع الأمة الثقافي.

شاركت الأسبوع الماضي في ندوة النتاج العلمي والفكري لمدينة حلب عبر العصور. وخلال مشاركتي تلك دعيت للمشاركة في هذه الندوة وتقديم بحث تعريفي من معهد المخطوطات وعمله لكنني وجدت انه من الأهم أن أتحدث عن دور المعهد في الثقافة الإسلامية.

ولاشك أن المخطوطات والتراث الفكري هو من أهم العوامل التي تصوغ هذه الثقافة الإسلامية. من هنا كانت مشاركتي في هذه الندوة التي تأتي في إطار احتفالية حلب كعاصمة للثقافة الإسلامية

وأنا لا أراها عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠٠٦ فحسب بل عاصمة لكل العصور قبل الإسلام وبعد وكان لها مشاركات فعالة وهي حصيلة لموقعها الجغرافي وحيوية الإنسان الذي يعيش فيها، وهذه العوامل المشتركة أدت لأن تأخذ حلب هذا البعد، ولذلك أن حلب كتب عنها من قبل المؤرخين المسلمين وغيرهم ربما أكثر مما كتبوا عن دمشق أو مكة أو المدينة المنورة، وقد طرحت سؤالا هاما وهو (ما السر في اهتمام المؤرخين بهذه المدينة على الرغم أنها ليست عاصمة سياسية كبيرة كدمشق او بغداد كما انها ليست عاصمة روحية تجذب قلوب المؤمنين إليها كمكة وأرجعت ذلك إلى اسباب عديدة وقلت ان حلب تستحق ذلك لأن الجدل والتفاعل الذي قام بين المكان والزمان والإنسان في هذه المنطقة هو الذي أعطاها هذه الأهمية.

## دور المكتبات السريانية في الثقافة الإسلامية

الأب جوزيف شابو قدم مداخلة بهذا العنوان نيابة عن المطران يوحنا إبراهيم (رئيس طائفة السريان الأرثوذكس بحلب):

قدم بحثا حول المكتبات السريانية ودورها في الثقافة الإسلامية فأوضح أن المراكز الثقافية السريانية تنحصر في بقعة جغرافية تمتد من نبع النهرين، الفرات من أرمينيا ودجلة من شرق جبال طوروس في تركيا إلى أطراف تكريت - المدينة الواقعة أوساط العراق على شاطئ دجلة الأيمن شمالي سامراء.. وقد أغنت صفحاته التراث بعطاءاتها الثرة المختلفة.

وأشار إلى مدرسة قنسرين التي



يؤكد المهتمون أن الدير الموجود فيا كان مركزا ثقافيا نابضا بالنتاج الفكري وفيما اعتبر المؤرخون أنها الخلف لمدرسة (الرها) وربما فاقتها في مجالات كثيرة.

وتحدث عن الكثير من العلماء والمفكرين السريان الذين ساهموا بالحالة الثقافية السامية للمجتمع والعلوم الهامة التي خلفوها ورفدوا الحضارة الإنسانية بها ومن بينهم العلامة (مار يعقوب الرهاوي) الذي ولد في ٦٣٣/م في قرية عين دابا القريبة من عفرين حيث كان له فضل كبير على الأدب السرياني وحمل العلم والفكر والمعرفة إلى أبناء جيله والأجيال القادمة في مصر وبلاد الشام وأرض الرافدين وترك ثلاثين مؤلفا مازال بعضها مخطوطا في أمهات الكتب العالمية وتوقف عند المدارس السريانية التي كانت في المنطقة مثل مدرسة نصيبين ورأس العين - الرها - دير مار زكا - تلعادة وجنديسابور وغيرها من المراكز الثقافية التي كانت تضم عشرات الآلاف من المخطوطات السريانية والعربية.

كما توقف عند شخصيتين بارزتين هما البطريرك افرام برصوم والمطران يوحنا دولباني حيث وضع الأول فهارس لمخطوطات عدد من الكنائس وبعضها مازال موجودا حتى الآن

فيما وصف الثاني في ثلاث مجلدات أهم المخطوطات التي شاهدوها في أديرة السريان.

ويشير البحث إلى أن خزائن الكتب السريانية والعربية كانت نواة المكتبات التي عرفت فيما بعد.. فيما احتوت المخطوطات مواداً هامة حول الصرف والنحو وضبط اللغة والمعاجم والفصاحة والشعر وغيرها.

وهذه العلوم تضمنتها الكتب التي كانت محفوظة في خزائن الأديرة والكنائس السريانية كان لها دورٌ هام في الثقافة العربية والإسلامية.

# الكواكبي..

## وهج تحت الرماد

محمد فارس*

### بعد أكثر من مئة عام على رحيله.. الكواكبي ما يزال حاضراً ويثير جدلاً

في ظلمة الليل العربي الحالكة.. يعود الكواكبي إلى حلب من جديد ليضيء بفكره النهضوي فضاءات عاصمة الثقافة الإسلامية ويوقد شمعة نور وأمل..

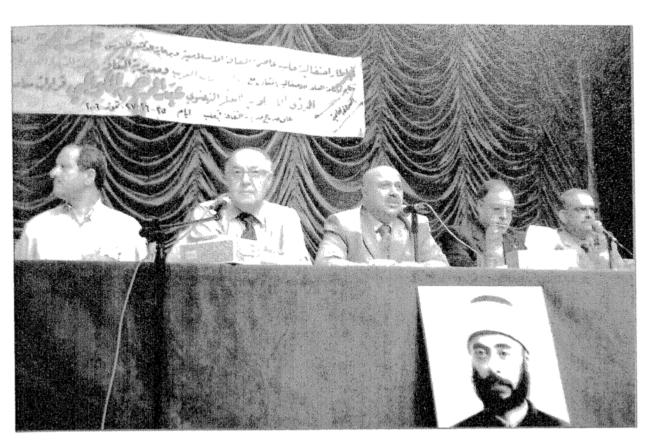
ها هي حلب تحتضن ابنها البار وهي تتوج عاصمة للثقافة الإسلامية.. تحتضنه في ندوة دولية شارك فيها أكثر من خمسة وثلاثين باحثاً من إيران - مصر - الأردن - العراق - لبنان وسورية خلال أيام ٢٥/٢٦/٢٧/ من شهر تموز ٢٠٠٦ استحضروا خلالها الكثير من أنوار الكواكبي وأفكاره التي ما زالت تهز هذا الواقع البائس فتصلح للزمان والمكان.

الندوة تأتي برعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب وجمعية الشهباء - أقيمت على مدرج مديرية الثقافة بحلب بإعداد وتنسيق المركز الإعلامي لحلب عاصمة الثقافة الإسلامية.

### الكواكبي لا يزال حياً

الدكتور محمد تامر الحجة - محافظ حلب - أشاد في كلمته خلال الجلسة الافتتاحية بأفكار الكواكبي الذي لا يزال حياً، وهو يمثل يقظة فكرية حقيقية، وكانت كتاباته صرخة مدوية في الدعوة إلى الإصلاح من غير الانسلاخ عن التراث العربي، ومن غير الابتعاد عن العالم الإسلامي، وكان كتاباه "طبائع الاستبداد" و"أم القرى" صفحة جديدة في الفكر النهضوي، إلى جانب كتاباته الصحفية الواسعة التي شرح من خلالها الإطار المنهجي لنهضة عربية وصحوة إسلامية، واستطاع خلال سنوات عمره

* متخصص في الصحافة الرقمية.



القصيرة، أن يترك أثراً فكرياً وإصلاحياً مازلنا بحاجة إلى استعادته وبلورته ليكون مرتكزاً في أسس نهضة عربية مرتقبة، وشدد على ضرورة الوقوف إلى جانب أبطال المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق، وهم يتصدون للهجمة الشرسة التي يتعرضون لها من العدوان الغاشم، الذي أعلن بوقاحة عن نياته الخبيثة في إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط بصورة تخدم مصالحه على حساب شعوب المنطقة.

وأضاف: إن سورية العربية بقيادة الرئيس بشار الأسد سوف تبقى وفية لمبادئها وثوابتها الوطنية والقومية، وسوف تبقى الحاضن الرئيسي للفكر العربي والدعوة إلى الإصلاح كما بدأها المفكر الكواكبي قبل أكثر من مئة عام.

الدكتور أحمد بدر الدين حسون - مفتي الجمهورية- حذر في كلمته من الاستبداد منطلقاً من قول الكواكبي، إياكم والاستبداد فإنه حاول أن يمحو تاريخكم، حاول أن يترك عروبتكم، حاول أن يفقدكم جذوركم، إياكم وهذا الاستبداد ولقد استطاع أجدادكم أن يوقفوا هذا الاستبداد ويمنعوه من الاستمرار، فانهضوا مرة أخرى كما ينهض إخواننا في جنوب لبنان، وغزة وفلسطين، وكما ينهض أخوتنا في العراق ليرفضوا أي استبداد بهم فكري أو ثقافي أو وطني أو ديني أو روحي، لذلك كانت قضية الكواكبي في هذه اللحظات وإطلالته، إطلالة مناسبة جداً وهذا من حكمة القدر. وأشار إلى أن الكواكبي نظر إلى تحديث القوانين، وإلى قانونية الدولة وإلى التزام الحاكم والمحكوم بالنظام،

بضوابط.. نحن اليوم محتاجون إلى إعادة الأمة للارتباط بضوابطها وأن تصوغ صياغة صحيحة الواقع المستقبلي على أساس قانوني لا على أساس الفوضى.

من جانبه كان الدكتور حسن حنفي من مصر ألقى كلمة الباحثين العرب، بين فيها المخاطر التي تتعرض لها أمتنا العربية والإسلامية من دسائس ومؤامرات، وأشاد فيها بالمقاومة اللبنانية التي استطاعت ولأول مرة أن توحد الجماهير العربية، وأن تهزم تقدم الجيش الإسرائيلي، وتنقل الحرب إلى داخل الأراضي المحتلة.

ثم أشار إلى أن الكواكبي لا يزال حاضراً في آرائه وكتبه "طبائع الاستبداد" و"أم القرى".. وإذا كان الكواكبي في عصر النهضة العربية الأول، والثورة والاستقلال في القرن العشرين، فإن هذا القرن وهذا العصر، هو عصر المقاومة.

كما ألقى الأستاذ عبدو محمد كلمة اتحاد الكتاب العرب، أشار فيها إلى أهمية إقامة ندوة فكرية عن الكواكبي، في هذه المرحلة بالذات، للبحث عن رؤى نهضة سعى إليها قبل قرن من الزمن، وها نحن الآن ننهل منه لبناء نهضة جديدة، نقف من خلالها في وجه ما نتعرض له من قتل وحصار وتدمير.

## جدل الاستبداد والفتور

الدكتور حسن حنفي، الكاتب المصري المعروف، شارك بدراسة عنوانها (جدل الاستبداد والفتور) مقارنة بين (طبائع الاستبداد وأم القرى) عند الكواكبي، ورأى أنه عادة ما يذكر إلا (طبائع الاستبداد). فهو الأشهر والأقرب إلى الحالة النفسية للعرب المعاصرين. ونادرا ما يذكر(أم القرى) الذي حلل فيه الكواكبي أسباب "الفتور" في العالم الإسلامي، واللامبالاة التي يقابل بها



ملف الاحتفالية



المسلمون العالم مهما اشتدت الظروف وتوالت المصائب. وهو ما له دلالة هذه الأيام عن حال اللامبالاة من الشعوب على ما يحدث في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير.

ويربط (جدل الاستبداد والفتور) بين الموضوعين معا، استبداد الحكام وفتور الشعوب. وقد حاول الكواكبي فك الارتباط بين الاثنين فبحث في (طبائع الاستبداد) عن أسبابه. هل هو الدين أو العلم أو المجد أو المال أو الأخلاق أو التربية أو الترقي وكيفية التخلص منه؟ كما بحث في (أم القرى) عن أسباب (الفتور) الدينية والسياسية والاجتماعية لدى الحكومات والعلماء والقضاة والأمراء والطرق الصوفية والدولة العثمانية وتقليد الغرب. ومن ثم يلزم لاستئناف الكواكبي مواجهة الاستبداد بالحرية، حرية الفرد وديمقراطية الحكم، ومواجهة الفتور بحشد الناس وتجنيد الجماهير، وحمل الأمانة.

## قصة الناي

من الجمهورية الإسلامية الإيرانية قدم د. محمد علي آذرشب ليشارك في ندوة الكواكبي ببحث طريف عنوانه "قصة الناي في فكر الكواكبي" وقصة الناي معروفة في ديوان مولانا جلال الدين الرومي، هذه القصة التي تتصدر الديوان تشكل عصارة فكر هذا العارف الكبير، وخلاصة مشروعه الاستنهاضي، ورأى ثمة مشتركات كثيرة بين هذا الفكر ومشروع الاستنهاض الذي تبناه الكواكبي

فالإنسان حين يفقد عزّته الحقيقية يبحث عن عزّته السرابية، وبتعبير قصة الناي لمولانا حين لا يكون في الناي نارٌ، يعبث فيه الهواء، وبالتعبير القرآني حين لا يتجه الظمآن إلى الماء يتجه إلى السراب الذي "يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً".

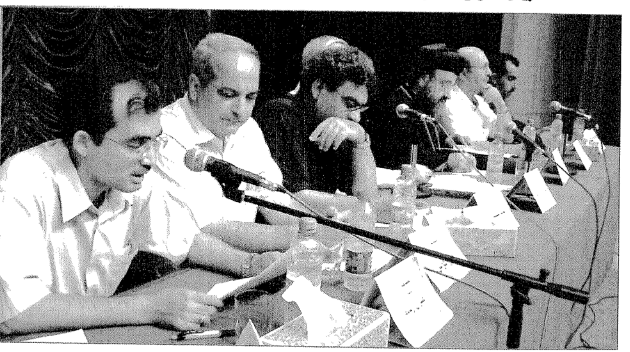
وهنا ينشأ الاستبداد، فالمستبد إنسان فَقَدَ مَثَلَه الأعلى الذي يجد فيه

عزّته، فراح يبحث عن عزّته بطرق شتّى ومنها محاولته أن يفرض رأيه على من تحت سيطرته، ومنها التعصّب لرأي يتبنّاه ويرى عزّته في التشبث به.

واستنتج الباحث أن مشروع الكواكبي في الإصلاح لا يتجه إلى معالجة الاستبداد السياسي كما هو الشائع، بل معالجة حالة الاستبداد الطبيعية التي يفرزها "الفتور" أو التخلف الحضاري، وهذا التخلف الحضاري لا يمكن معالجته إلا باستنهاض الروح الإنسانية في الموجود البشري واستثارة الأشواق التكاملية فيه مع استشعاره بعزّته، وهو مشروع جلال الدين الرومي، كما هو مشروع الكواكبي الذي يتضح بصورة أدبية رائعة في قصة الناي.

## الكواكبي المفكر المنفتح على الآخر

أكد المطران يوحنا إبراهيم رئيس طائفة السريان الأرثوذكس بحلب أن الكواكبي لم يكن منغلقاً على ذاته، وواقفاً على كل شاردة وواردة في القرآن الكريم وشرحه وتفسيره فحسب، وإنما عرف الديانات الأخرى مثل اليهودية والمسيحية وتعمق في تعاليمها، واستنبط أهم القواسم المشتركة بينهما وبين الإسلام، ورأى نيافة المطران أن الانفتاح قد بدأ عند الكواكبي عندما اختار شخصيات مؤتمر النهضة الإسلامية الأول من كل الأمصار والأقاليم العربية، فاللحمة تجمعهم، والوحدة في الرؤية من خلال الثقافة العربية تقرب الواحد من الآخر، أما التعددية فنراها في اختياره للمندوبين ا لآخرين، أما كيف كان الكواكبي منفتحاً على الآخر في المعرفة حتى إذا كان هذا الآخر غير مسلم، فإن من يقرأ كتاب "أم القرى" يجد تفاصيل العلاقة بين الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية واضحة ودون خطأ أو مبالغة، وكأنه ينتمي إلى كلتا الكنيستين.



ملف الاحتفالية



## الكواكبي والدين

تحت عنوان الكواكبي والدين جاءت مداخلة د.أسعد السحمراني قادماً من لبنان وسط ظروف صعبة، وهو أستاذ العقائد والأديان في جامعة الإمام الأوزاعي- بيروت ومسؤول الشؤون الدينية في المؤتمر الشعبي اللبناني. بدأ د.السحمراني ورقته بالقول:

لا يستطيع شخص أن يتحدث عن حلب الشهباء دون أن تكون محطة الكلام مع السيد عبد الرحمن الكواكبي المفكر الإصلاحي والعلم في الفقه السياسي، وصاحب المواقف التي تختزن الإبداع مع الخبرة مع الثقافة مع الجرأة والشجاعة.

يؤكد الكواكبي على أن الإسلام دين التوحيد، ودعوة لتوحيد الكلمة بعيداً عن الفرقية والانقسام. فبعضهم أحلّ المذهب والفرقة والطائفة مكان الدين، وهذا ليس من الدين. فكل أهل الإسلام يجب أن يجتمعوا صفاً واحداً امتثالاً لأمر الله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

ورأى الباحث لفتة مهمة في هذا النص حيث يظهر الكواكبي عالماً دقيق الملاحظة فإنه يميّز بين منظومة القيم الأخلاقية وهي واحدة في رسالات السماء جميعاً وهي محققة لكرامة الإنسان محاربة للظلم والفساد والطغيان، وبين الإضافات البشرية التي تأتي حاملة لمفاهيم بشرية، ومقاصد يرمي إليها من كتب النصوص.

## الكواكبي وهج تحت الرماد

الدكتور طيب تيزيني: قدم بحثاً بعنوان (الكواكبي وهج تحت الرماد) أوضح فيه أن العصر الذي جاء فيه الكواكبي مؤسس على الاستبداد ويمكن

النظر إليه متماهياً في أخطر مراحله الاستبدادية مع مرحلة الحكم الحميدي وإذا عرفنا أن الكواكبي عاش من ١٨٥٤ إلى ١٩٠٢، اتضح أن مرحلة الحكم الحميدي تلك غطت شطراً طويلاً وحاسماً من حياته ومن هنا، تبرز الخصوصية المركزية لنشاط الكواكبي النظري والعملي مجسدة في محور السلطة السياسية والدينية المستبدة.

كان الكواكبي يؤسس لمشروع سياسي ويعمل من أجله. لهذا وبعد اصطدامه مع النظام العثماني الاستبدادي وإدراكه أن الأمر يحتاج إلى تفرغ نجده يدع الأعمال الرسمية في مؤسسات رسمية، ليأخذ مداه الأقصى في كفاحه المذكور. ومن طرائفه أنه افتتح "مكتباً خاصاً لصرعى الاستبداد في حلب" يستقبلهم ويساعدهم دونما مقابل ولوحظ أنه دعا لإصلاح ديني يتأسس على عودة فطنة دنيوية (عصرية) للإسلام الباكر وذلك عبر منافحة ثلاثة مواقف يراها مؤذية كابحة، هي:

١) توظيف الدين باتجاه تسويغ الاستبداد السياسي والديني والعرقي وغيره.

٢) تفسير الدين وتأويله على أساس عقيدة الجبر والقبول بنظام اجتماعي اقتصادي يقوم على الظلم والاستئثار بالثروة من قبل فئة قليلة.

٣) النظر إلى الآخر من الغرب والعوالم الأخرى، من موقع الانغلاق والاكتفاء الذاتي.

## أوتوبيا الكواكبي

طرح الدكتور أحمد برقاوي تساؤلاً هاماً عن طوباوية الكواكبي، فبأي معنى كان الكواكبي طوباوياً؟ لأن وعيه وببساطة تجاوز العالم، يرفض الواقع المعيش فحاول صياغة بديل عنه، لدى الكواكبي نمطان من الإسلام: الإسلام الحقيقي، والإسلام الزائف ويبدو الإسلام الحقيقي هو إسلام الحق والعلم والعقيدة الإنسانية والحرية والعدالة، فيما الإسلام الزائف، فهو القائم على الشعوذة، والدفاع عن السلطة والكسب والعداء للعلم..

إنه إسلام الدروشة، والكواكبي مفكر شغلته حالة الدولة الإسلامية، فهو مصلح إسلامي ولكن دون أن يعمد إلى التأويل الجديد لأنه لم يرَ بديلاً عن الدولة العثمانية، فأراد أن تبقى، ولكن بعد أن تؤول السلطة أو ا لخلافة إلى العنصر العربي، وبهذا وجد البرقاوي الكواكبي بهذا المعنى عربي السلطة ولكنه بدوي الوعي، يريد مجتمعاً متقدماً على الطريقة الأوروبية مع بقاء مفهوم الخلافة والخليفة ذي الأخلاق الإسلامية البدوية العربية، فهو يريد بذلك سلطة وارستقراطية.

## المرأة في فكر الكواكبي

كان لموقف الكواكبي من المرأة حظا وافرا في الندوة وقد جاء هذا المحور في بحثين:

**الدكتورة وجدان عناد (العراق):**

إن الحديث عن الكواكبي في هذا

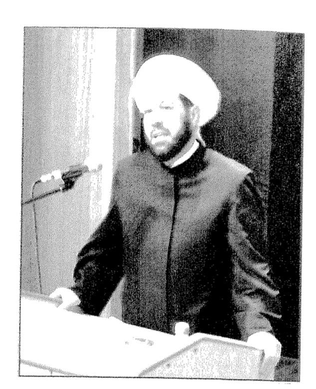


الوقت قد أغناه كل الباحثين لأنهم جميعاً حملوا رؤى جميلة ومتطلعة لهذا المفكر في هذا الوقت الذي عقدت فيه الندوة كونه يحمل أفكاراً إصلاحية في ذاته هدفه منها التخلص من كل ما يسيء للأمة ويشتت شملها ووحدتها وكيانها بالوقت الحاضر.

فلا بد من أن نرفع له علماً إجلالا وننصب له تذكاراً لأنه يذكرنا بما نطالب به الآن وسبقنا إليه بزمن طويل.

وأما فيما يتعلق بنظرة الكواكبي إلى المرأة قالت: إن الكواكبي كان يرى أن من أهم أسباب تخلف المجتمع هو المرأة لما تعانيه من تربية جاهلة وعادات سيئة...لذا وجه إليها نقداً يحضها على التخلص من هذه القيود والعادات السيئة والتمسك بدينها الذي دعاها إلى التعلم والعمل الشريف البعيد عن التسيب وصون كرامتها ونفسها لأن بصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد المجتمع.

أما المحاضر خالد سليمان من (الأردن) فقد انطلق في ورقته البحثية من بديهية مفادها أن موقف أي مفكر من المرأة ومكانتها أحد أهم المؤشرات التي تعكس مستوى استنارة ذلك المفكر وتقدميته ومدى قدرة المشروع الفكري الذي يطرحه على النهوض الفعلي بالمجتمع انطلاقا من حقيقة أن أي مشروع نهضوي جدي لا يمكن أن يجد طريقه إلى التحقق الفعلي ما لم يسند إلى المرأة المكانة التي تستحقها والأدوار التي يمكن أن تقوم بها في عملية بناء مداميك ذلك المشروع وقدم في قراءته التحليلية لموضوع المرأة في فكر الكواكبي الموقف الذي اتخذه الكواكبي من المرأة وطبيعة المكانة والأدوار التي كان يجدها خليقة بتقلدها ولعبها ومحاولة لتقييم ما إذا كان ذلك الموقف



متقدماً على المواقف النمطية التي كانت سائدة في المجتمع في عصر الكواكبي إزاء المرأة ومتمايزاً عنها أم أنه كان يدور ضمن حدود فلكها مع بعض الاهتمام بإبراز الخلفيات الذاتية والموضوعية التي وقفت وراء تحديد موقف صاحب طبائع الاستبداد في المرأة وتوقف المحاضر عند النصوص الكواكبية التي تناولت المرأة في سائر أعماله.

وأظهر المحاضر أن فكر الكواكبي المتعلق بالمرأة جاء فكراً مضطرباً مشوشاً مثقلاً بالكثير مما يمكن اعتباره انحرافاً عن المسار الطبيعي لفكر الرجل المعادي للاستبداد المحارب له.

## جدليتا الشورى واستقلال الدين عن الدولة

الأستاذ سعد زغلول الكواكبي (الحفيد) ألقى بحثاً حول جدليتي الشورى واستقلال الدين عن الدولة عند الكواكبي: فأوضح أن الديمقراطية هي البديل للاستبداد وينتفي أحدهما حين يحكم الآخر.. والكواكبي طالب بالشورى في الحكم فقال بعضهم: هذه هي الديمقراطية التي تنفي الاستبداد بينما قال آخرون: هذا هو استبداد الخاصة بالعامة - استبداد أصحاب الشورى أهل الحل والعقد بمشورتهم التي تفرض على الآخرين الذين لا يوافقونهم عليها.

وتساءل: ألا ترون معي أن الفقهاء الذين حللوا الطاعة للمستبد الظالم إنما هم جمهور (مداحي البلاط) فيسترون استبداده بستار العدل وكأنه افتقد في الأمية من يدرك مكامن العدالة أو الرأي الصالح لمنفعة الأمة.

أما فيما يتعلق باستقلال الدين عن الدولة فأوضح الباحث (الحفيد) بأن الكواكبي ذهب بعيداً في وجوب استقلال الدين عن الدولة وعن الحكام واستبعاد السلطة عن التدخل في أمور الشريعة.

لقد استهدف الكواكبي سائر المسلمين في الأرض كما قال: على الشعوب على اختلاف أديانها وأعرافها، فهي نظرة إنسانية مطلقة أراد بها بلاد العرب والفرس والهنود والصين وسواهم، فهو لا يرضى بأن تسيطر الدولة على دياناتهم، وتحرك في شعائرهم قيد أنملة وهذا ما يركن إليه المسلمون الحقيقيون دوماً..

## الأفكار القومية
## عند عبد الرحمن الكواكبي

في هذا المحور تحدث العديد من الباحثين والمتداخلين:

فمن العراق تحدث د. ستار جبار الجابري عن آراء الكواكبي في القومية ورأى في ورقته أن الكواكبي عملاق من عمالقة التجديد في الفكر العربي الإسلامي في القرن التاسع عشر، فهو مُصلح اجتماعي، ومفكر سياسي، ومجدد إسلامي، شارك في حركة اليقظة وتنبيه الأمة، ونصَّب نفسه لمهمة النقد البصير، وكشْف العِلل والأخطاء ومقاومة الفساد، وجعل من قلمه صرخة مدوية هزَّت الأرض هزًا، فكشف مساوئ الاستبداد وفضح أساليب المستبدين، واستحث العزائم على المقاومة والتحدّي، ودعا إلى إصلاح المجتمع والارتقاء به، ودعم مبادئ الحرية والعدالة الاجتماعية.

وختم الباحث كلامه بالتأكيد على أن عبد الرحمن الكواكبي يعد أحد أبرز أعلام النهضة العربية، ومجددا لا يجارى في هذا الميدان، حيث يمكن عدّه متقدما على زمنه، مقارنة بالأوضاع التي كانت تمر بها أمته من تخلف واستبداد.

أما الباحث عمر كوش فقد تركزت ورقة بحثه على الأفكار القومية التي طرحها عبد الرحمن الكواكبي في مؤلفاته، ولاسيما كتابه "أم القرى" إذ يعنى بجملة الأطروحات لديه، والتي تمحورت حول العرب والعروبة والجامعة



الإسلامية، ويأتي ذلك من اهتمامه بأن العرب كانوا وما زالوا الحجر الأساس في الإسلام، وتركزت أفكاره حول تصفية نظام الحكم الاستبدادي وتعسف أعداء التقدم في الحياة الاجتماعية لهذه البلدان، والعمل على تشريع وتطبيق الأنظمة القانونية الحديثة في فصل السلطات واللامركزية والحكم النيابي والمساواة أمام القانون في الحقوق والواجبات، واحترام حقوق الأفراد والجماعات، ونادى بتلاحم العرب بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية.

## صحافة الكواكبي
## وأساليبه في التغيير

في هذا المحور تحدث عدد من الباحثين كالدكتور سهيل الملا ذي الذي قدم ورقة بحث بعنوان: صحافة الكواكبي والخيار الصعب. فيما تحدث الصحفي جان داية من لبنان عن الرحالة (ك)، أما الدكتور عبدا لسلام الراغب والدكتور محمد جمال طحان فتحدثا عن الكواكبي ورسالته الصحفية.

## الرحالة (ك) في الأورغواي

الباحث الصحفي اللبناني جان داية الذي أصر على المشاركة في ندوة الكواكبي رغم الأوضاع السيئة التي يعيشها لبنان بسبب العدوان الوحشي الصهيوني قدم ورقة بحث بعنوان الرحالة ك في الأورغواي، فأوضح أن مقالات الرحالة كاف توزعت في جريدة السلام على لوائح عديدة: تألفت الكبرى من ثلاثين فصلاً هي المقالة الاجتماعية، والمتوسطة تألفت من ستة عشر فصلا تمحورت حول الدولة العثمانية وحكومتها المركزية، كانت هذه الفصول جوابا على أحد عشر سؤالا طرحها الرحالة كاف في مقدمته ويطرح الباحث سؤالا: من يكون ناشر بعض آثار الكواكبي التي نوه بها معظم الذين رثوه.

وهنا يستحضر الأستاذ داية ما رواه له عبد الرحمن الكواكبي (الحفيد) حول العثور في مكتبة الكونغرس على كتاب (دليل مصر والسودان) لعبد المسيح الإنطاكي المطبوع في أمريكا اللاتينية حيث نوه المؤلف بحيازته على كتابات غير منشورة للكواكبي لكن بعد أن نشرها في أشهر جريدة عربية في أمريكا (السلام).

## رسالة الكواكبي الصحفية

الدكتور محمد جمال طحان تحدث عن أسلوب الكواكبي في الصحافة، وأهم الصحف التي أصدرها وهي "الشهباء" و"اعتدال" متخطياً كل الصعوبات التي اعترضت رحلته الشاقة لتأدية رسالته الصحافية وتحقيق وظيفتها في توعية القراء، والمساهمة في النهضة الثقافية وكذلك في مساعدة الدولة على انتظام السياسة وصيانة الحقوق، والدعوة إلى العدالة والحرية في إبداء الآراء، وتوجيه الإنذارات، وبسط شكاوى المتظلمين، وعرض حاجات الجمهور، وترويج لأفكار الإلفة والاتحاد

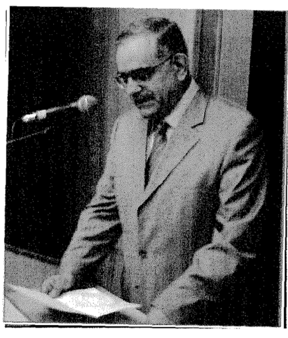


## الكواكبي مازال معاصرا

د. أحمد حلواني - مدير المركز العربي للدراسات المستقبلية (سورية):

أعتقد أن اختيار ندوة الكواكبي في إطار احتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية هو اختيار موفق فالتفكير في هذا الموضوع ليس لأن عبد الرحمن الكواكبي ابن حلب فقط، بل لأن موضوعه هو موضوع الساعة في الحياة العربية، فأنا أعتقد أن فكرة مقاومة الاستبداد بكل نواحيه السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية هي

الفكرة الرئيسية التي نعيش حالتها وبالتالي إن استرجاع فكر عبد الرحمن الكواكبي في مقاومة الاستبداد، وفي دراسة الفكر الاستبدادي أو ما أسماه طبائع الاستبداد، هو العمل الهام الذي تقوم به هذه الاحتفالية الآن، وأعتقد أن مثل هذه الدراسات والنقاشات التي نستمع إليها من خلال هذه الندوة لابد من أن تفتح مجالاً كبيراً لإثارة الوعي الجماهيري العربي العام في تشريح الاستبداد وبالتالي في مقاومته وإزالته من الحياة العربية بكل أشكاله.



## راهنية فكر الكواكبي قراءة في طبائع الاستبداد

كان عنوان البحث الذي قدمه الأستاذ محمود الوهب، والكواكبي، في نظر الباحث، عندما يحلل ظاهرة الاستبداد يحلق إلى أبعد مدى إذ يغوص في عمق الفكرة.. حتى لا تخاله باحثاً أو مفكراً بل فيلسوفاً على صعيد السياسة والاقتصاد والمجتمع، وكذلك النفس البشرية، ويجب الانتباه هنا إلى مسألة الدمج الشامل لما ألّفه الكواكبي ولما نقله، لكنه حين يتحدث حول بعض المسائل ذات الحساسية الخاصة، تراه يحوم حولها ولا يدخل إلى الجوهر بل يحاول التوفيق بين هذا وذاك. وكأنه لا يريد النقد الشامل بما أتى به، على الرغم من موقفه التغييري وجوهره المسألة الاجتماعية. ويناقش الكواكبي بذكاء مسألة قوة الاستبداد على تنظيم شؤون الناس وإخضاعهم للقوانين حتى وإن كانت تلك القوانين تحفظ بعض الحقوق العامة في بعض الأحيان. ومن أبرز انعكاسات الاستبداد على الأخلاق، هو تقوية الجانب الفردي بين الناس وانعدام ثقتهم. وأخيراً أشار سريعاً إلى بعض الأفكار الأخرى التي لا تزال تكتسب راهنية ومعاصرة.

## الكواكبي والدولة الحديثة

الفكر السياسي عند الكواكبي وصلته بمفهوم الدولة الحديثة كان محور ورقة عمل قدمها الأستاذ عبد الرحمن الحاج وهو باحث سوري في البداية تحدث عن إطار عصر الكواكبي حيث تشكل الحقبة التي أبدع فيها الكواكبي فِكرَه بداية تشكل الوعي بمفهوم الدولة الوطنية الحديثة، توضح هذه الورقة كيف استوعب الكواكبي قسطاً وافراً من مفهوم الدولة الحديثة، وولّد من داخل ثقافته الإسلامية ومفاهيمها الدينية تصورات فكرية وسياسية تواكب هذا التطور.

ويلفت الباحث النظر إلى أن مفهوم (الاستبداد) الذي اشتهر به الكواكبي يبرز لأول مرة في تاريخ الإسلام في تلك الفترة، لتوضح عبر هذا المفهوم ومفاهيم أخرى الكيفية التي استوعب فيها الكواكبي الدولة الحديثة، وتحاول الورقة أيضاً المقارنة مع الأفكار الإصلاحية التي ذاع صيتها في نهاية القرن التاسع عشر، والتي كان الكواكبي على مقربة منها، مثل أفكار الأفغاني ومحمد عبده، وغيرهم، لتبرز النقاط التي كان الكواكبي رائداً فيها.

## الكواكبي ومالك بن نبي

عن رؤية العالم بين الكواكبي ومالك بن نبي (تصور العالم الإسلامي قبل سقوط الخلافة وبعدها) بحث قدمه د.عبد الرحمن حللي من كلية الشريعة بجامعة دمشق: وفيه بيّن أن من أهم الرؤى التي ركز عليها رجال الإصلاح نقد نظام الخلافة العثمانية، وذلك ضمن إطار رؤيتهم للعالم عموماً والعالم الإسلامي خصوصاً، وكانت للكواكبي رؤية استشرافية لما يمكن أن يكون بديلا عن نظام الخلافة في إطار العلاقة بين بلدان العالم الإسلامي، فقدم تصوراً افتراضياً من خلال ما أسماه مؤتمر النهضة الإسلامية: أم القرى، وكان بذلك مدركاً لتحولات العالم وموقع العالم الإسلامي فيه وكيف يمكن للمسلمين أن يحققوا وجودهم ومكانتهم في هذا العالم الذي لم تعد الخلافة -التي لا تزال قائمة شكلياً- قادرة على تجسيد مصالحه ووحدته، فقدم الكواكبي رؤيته قبل ربع قرن من سقوط الخلافة الذي جاء تأكيداً لاستشرافه.

وتتجلى أهمية البحث من خلال الكشف عن وجود رؤية للعالم لدى رجال الإصلاح ترتبط بتحولات زمانهم، بينما يفتقر الخطاب الإسلامي المعاصر إلى رؤى عميقة تدرك تحولات العالم اليوم.

## في كل جامعة كرسي للكواكبي

الدكتور جورج جبور تحدث عن موضوع الأصالة في الفكر متى يكون أصيلاً ومتى لا يكون وعرض بعض الأفكار الأصيلة لدى الكواكبي في (طبائع الاستبداد) وفي حديثه عن الأمة العربية في موضوع خاص عالجه وهو علاقة الدين بالسياسة ثم تناول إسهامه الكبير في كتابه أم القرى حيث بشر بجمعية أم القرى التي تهدف إلى عمل مشترك لإقامة الإسلام على قواعده العامة المعروفة العادلة ولذلك خلصت إلى أن الكواكبي مشبع بالأفكار العربية الأصيلة التي استخلصها من عقيدته العربية والإسلامية وطبقها على واقع الحال في الظرف الذي كان فيه فعالاً أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

ودعا في ختام ذلك اتحاد الجامعات العربية ومقره عمان أن يوصي بأن يكون في كل جامعة كرسي للكواكبي في قسم الفلسفة السياسية فهناك مثلاً كرسي لارسوس باعث النهضة الأوروبية في

الجامعات الأوروبية وهناك كرسي جان مونييه الرجل الكبير في الاتحاد الأوروبي فينبغي أن يكون لدينا كرسي للكواكبي في الجامعات العربية.

## الإصلاح الاجتماعي التربوي

الباحث محمد قجة: قدم بحثاً حول الإصلاح الاجتماعي التربوي عند الكواكبي فأوضح أن أحوال العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تسير في انهيارات متتالية ولذلك فقد رأى الكواكبي بعين الخبير المستنير والغيور على مصالح أمته هول الأخطار التي تحدق في العالم الإسلامي ومركزه الحضاري "الوطن العربي" فبدأ كتاباته في صحيفة فرات ثم الشهباء ثم اعتدال إلى أن جمع أفكاره في كتابين هامين هما طبائع الاستبداد وأم القرى إلى جانب كتب أخرى لكنها مفقودة.

وأوضح الأستاذ قجة أن الكواكبي استطاع أن يصور التربية في مراحل علاقتها بالاستبداد: كيف تمهد له حين تهمل، وكيف يألف الناس غيابها في ظله وكيف ينتشر النفاق خشية أذى المستبد ثم لا يلبث الاستبداد أن يهدم ما قد تبنيه التربية من جانب بعض العلماء الذين يصرون على إحيائها، ويربي الناس على التلقي والطاعة من غير ان يستخدموا عقولهم

## الدين والدولة في فكر الكواكبي

الأستاذ محمد جمال باروت قال: الكواكبي هو من ابرز المثقفين الليبراليين في القرن التاسع عشر الذين طرحوا ضرورة إعادة بناء العلاقة بين الدين والدولة على أساس عصري بشكل يلعب فيه الدين دور استيعاب المدنية والتقدم في هذا القرن الذي يتسم بالكثير من



الأحداث والمتناقضات ولذلك ميز ما بين الدين والدولة واعتبر ان الدولة هي وكالة سياسية عمومية عن الناس تقوم بالفصل ما بين السلطات بما فيها الفصل عن السلطة الدينية وما بين الدين كعقيدة روحية وعقيدة دينية ولكن من داخل تفكيره كمثقف إسلامي. إذ كان الكواكبي شديد الفخر بالإسلام كدين وكحضارة وكان يريد العودة بالإسلام إلى أصوله الأولى قبل أن تطرأ عليه المزيدات كما كان يرى. وكان يعتبر ان النهضة يجب أن تبدأ من هنا كما بدأت النهضة في الغرب من باب الإصلاح الديني في تطهير المسيحية من المزيدات والانتقال من الإصلاح الديني إلى السياسي ولكن في نقاط أخرى يبرز أولوية الإصلاح السياسي وهذا ما يتعلق بأطروحته في مجال الاستبداد..

## الكواكبي بين الإتباع والإبداع

هو عنوان ورقة البحث التي قدمها الدكتور: سهيل عروسي وقال:

هذه الندوة الخاصة بالكواكبي تأتي في وقت حساس جداً ينتشر فيه الاستبداد في العالم.. والاستبداد وعمل الطغاة كما يقاس دائماً هو بقدم التاريخ.. وبالتالي عندما يتم تسليط الضوء على الاستبداد هو باعتقادي من أهم علامات الكواكبي خاصة وأن الكواكبي كمفكر نهضوي له العديد من الأفكار الخاصة والعميقة والتي تستوجب منا الوقوف أمامها بإجلال.. لكن المأثرة الأساسية له فيها هو وقوفه ضد الاستبداد ومؤلفه (الضخم) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ومؤلفه (أم القرى) الذي تخيل من خلاله وجود أمة إسلامية واحدة يمكن أن تقود العالم.

## الجلسة الختامية

أوصى الباحثون المشاركون في ندوة الرؤى الإصلاحية للمفكر النهضوي عبدالرحمن الكواكبي قراءات معاصرة بإقامة متحف يحمل اسم الكواكبي بحلب يكون مركز إشعاع فكري وحضاري وقاعدة معلومات عنه وتوصية مجلس المدينة بإقامة تمثال له في أحد ميادين حلب بشكل يتلاءم والذوق الفني الذي عرفت به.

وبينت التوصيات ان الكواكبي بفكره وتراثه الحضاري والسياسي يشكل منطلقاً لتأكيد وحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي والتأكيد على الدور الكبير الذي لعبه فكره في الحركات النهضوية التي قامت خلال النصف الاول من القرن العشرين، إضافة إلى ضرورة ان يكون الاهتمام بالكواكبي مرادفاً للاهتمام باحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية وألا تقتصر هذه الاحتفالية على عام واحد، كذلك تعميم هذه الندوة على المدن السورية والتنسيق مع مدينة أصفهان التي اختيرت عاصمة للثقافة الإسلامية ايضاً إلى جانب حلب لإقامة ندوة دولية مشتركة حول الكواكبي وفكره وأعماله وتراثه والطلب من المنظمة العربية والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم الإعداد لندوة عربية



وإسلامية تخصص في جانب من فكر وأعمال الكواكبي.

وأوصى الباحثون بتأسيس مجموعة عمل في مدينة حلب تحمل اسم الكواكبي لمتابعة ما ينشر حوله وحول أعماله في شتى الإصدارات والدوريات واللغات وحث الجامعات على تشجيع الدراسات العليا حول الكواكبي وأعماله وأثره في حركات النهضة العربية والإسلامية إضافة إلى إعادة طباعة أعمال الكواكبي وجعلها في متناول اكثر الشرائح الاجتماعية والثقافية.

وكان الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب قد ألقى كلمة في الجلسة الختامية أوضح خلالها أن مشيئة القدر قد جعلت الكواكبي يحضر في هذا الزمان وضربات المقاومة الباسلة تسطر أروع الأمثلة في الإرادة والصمود وهذا ما يؤكد أن الإيمان بالمبادئ والثوابت هو الذي يؤدي إلى التقدم والانتصار.

وأشار إلى ان الحديث عن الثقافة لا يفصلنا عن الواقع الراهن وما فيه من احداث ساخنة جراء العدوان الوحشي والارهاب الذي يمارسه الكيان الصهيوني بحق الشعب العربي في فلسطين ولبنان منوهاً بأهمية الموقف الشجاع الذي اتخذته سورية في دعم المقاومة واستقبال المهجرين اللبنانيين على امتداد ساحة الوطن.

وكان الدكتور حسين جمعة رئيس اتحاد الكتاب العرب قد اوضح ان أي فعل تطبيقي لابد أن يشكل من خلال وعي نظري وان المثقفين والمفكرين هم ضمير الأمة ومهمتهم في التشكيل النظري بمثابة الرائد الذي يجسد القول بالعمل موضحاً ان أي عمل لكي يأخذ طريقه للنجاح يجب ان يكون جماعياً منوهاً بفعاليات حلب عاصمة الثقافة الإسلامية التي تعكس هذه الصورة من الجهد الجماعي.

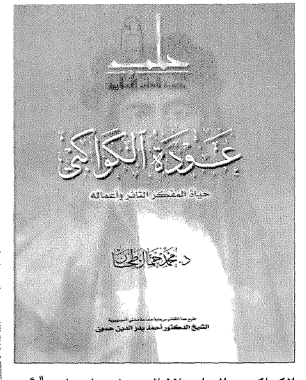
وبين الدكتور جمعة بأن الاتحاد سيقوم بطباعة هذه الأبحاث لإصدارها في كتاب خاص عن الندوة.

وفي نهاية الجلسة الختامية تم توزيع دروع الاحتفالية وشهادات التقدير على الباحثين.

## عودة الكواكبي

### كتاب جديد من كتب عاصمة الثقافة الإسلامية

أصدرت الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية كتاباً خاصاً بهذه المناسبة من تأليف الدكتور محمد جمال طحّان عنوانه ((عودة الكواكبي - حياة المفكّر الثائر وأعماله)) جاء في (٤٩٦) صفحة من القطع الكبير، وطبع برعاية سماحة مفتي الجمهورية الشيخ الدكتور أحمد بدر الدين حسون. ضم الكتاب أربعة أبواب، يتحدث الباب الأول عن حياة الكواكبي وأعماله، وقد جاء في فصلين: عصره وحياته، ومؤلفاته. أما الباب الثاني فعنوانه "الكواكبي في أعماله" ويضم ستة فصول هي: رسالته الصحفية، أم القرى - مؤتمر عربي إسلامي، طبائع الاستبداد - الماهيّة والبديل، التطور الفكري للكواكبي، الدين والدولة - تكامل لاانفصال، وأخيراً: فكر




الكواكبي. الباب الثالث يشتمل على " أم القرى، مع دراسة وتحقيق ووصف لطبعاته المختلفة، أما الباب الرابع فيشتمل على النص الكامل المحقّق من كتاب: "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" وقد وزّع الكتاب على الباحثين المشاركين في أعمال الندوة.



## ثقافة المقاومة من أبرز الحاضرين

لم تغب المقاومة أيام الندوة وجلساتها وأبحاثها ومداخلاتها، في الجلسة الافتتاحية ألقى الدكتور أسعد السحمراني من لبنان كلمة الافتتاح أشار فيها إلى ما يتعرض له لبنان من قتل وتدمير، وأعتى غزو عرفته الأمة الإسلامية وأبدى أسفه من التخلي العربي الرسمي، حيث بخل الزعماء في عقد قمة لإنقاذ لبنان من الحملة الصهيوأميركية. وأشار إلى أن اختيار مدينة حلب عاصمة للثقافة الإسلامية، لهو دليل على مكانة المنطقة الإسلامية وأثرها في نشر قيم العدل والجمال، ودعا كل الحواضر الإسلامية إلى ارتداء خاتم المقاومة وأن تتقن فن الرعب لتواجه به أعداءها، وتحرر أراضيها من الاستعمار الصهيوني الذي يسعى إلى تفتيت الأمة إلى دول عرقية وطائفية ليحقق مشروعه الاستيطاني في الشرق الأوسط الكبير. ولكن المقاومة اللبنانية أدركت ومنذ وقت خطر هذا المشروع على الأمة وحضارتها ولأجل ذلك فإن كل أفرادها يطلبون إحدى الحسنيين: الشهادة أو النصر.

إضافة إلى كلمات السيد المحافظ وسماحة مفتي الجمهورية ورئيس اتحاد الكتاب العرب، اما المداخلات فقد كان للحديث عن المقاومة مساحة واسعة فيها من قبل الحضور والمشاركين.

لذلك كان طبيعياً أن يعلن السيد محافظ حلب عن إقامة ندوة خاصة حول المقاومة الوطنية وتاريخها في إطار الاحتفالية تضامنا مع نضال المقاومة الوطنية اللبنانية وصمودها في مواجهة الإرهاب الصهيوني وذلك أيام ٨ / ٩ / ١٠ / آب ٢٠٠٦.

## الاستبداد والواقع العربي

الاستبداد.. هذا الداء الذي انتعش في تاريخ الأمة ما زال خطراً يهدد كل أشكال الحضارة، وقد كان للحديث عنه أيضا مساحات هامة خصوصا وانه يتصل بالواقع العربي الراهن الذي يرزح تحت وطأة الاستبداد الذي تمارسه العديد من الأنظمة العربية

وأكد المشاركون راهنية فكر الكواكبي والحاجة الماسة اليوم للنهل من هذا الفكر.



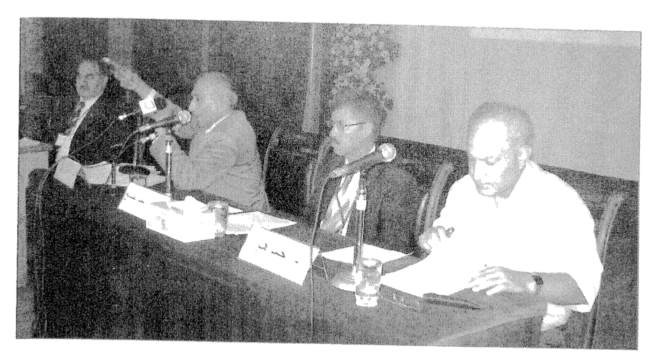
# الحياة الاقتصادية في حلب عبر التاريخ

التحرير



افتتح الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب يوم الثلاثاء ٢٠٠٦/٩/٥ أعمال الندوة العلمية الدولية "الحياة الاقتصادية في حلب عبر التاريخ" التي نظمتها الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية وغرفة تجارة حلب بمشاركة ما يقارب ٣٩ باحثا من سورية والأردن والسعودية والعراق وإيطاليا والجزائر.

وبين السيد المحافظ في كلمة بحفل الافتتاح أن حلب واحدة من اقدم مدن العالم ومازالت تنبض فيها الحياة منذ قدم التاريخ وقد تعرضت للتدمير والخراب بفعل الحروب والغزو والزلازل والأوبئة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد إلا أنها كانت دوما تنهض من تحت الأنقاض وتستأنف دورة الحياة منوها إلى الفترات المتعاقبة والحضارات القديمة التي تعاقبت عليها والى تبوئها مكانة مرموقة



عبر العصور الإسلامية والقديمة والحديثة حيث بقيت تشكل المركز الاقتصادي العالمي بين القارات والمحيطات والطريق البري الذي تمر به تجارات الحرير والتوابل والمنسوجات العطور هرت كقوة اقتصادية وسياسية ونشاط تجاري هام يبدأ من الصين شرقا ويمتد إلى حلب والأناضول والبحر المتوسط غربا. وأوضح السيد المحافظ أن ثمة عوامل كثيرة منحت حلب مركزا متميزا أهمها خصوبة أراضيها الزراعية والحجارة الكلسية التي تكسب أبنيتها قوة وبقاء إضافة إلى موقعها الاستراتيجي الحصين والمركز التجاري بين أوروبا والشرق الأقصى مؤكدا أنها كانت ومازالت مثالا يحتذى للتسامح الديني والتفاهم والعيش المشترك وحظيت بألقاب متميزة منها اثينا الاسيوية ولندن الصغيرة وباريس الصغيرة واجمل مدن السلطنة وحلب قلعة الشرق وغيرها.

وبين أن الاحتفال بافتتاح هذه الندوة الدولية ما هو إلا تكريس للاهتمام المتزايد بهذه المدينة العريقة في تراثها واقتصادها وفنها متمنيا للباحثين المشاركين ولندوتهم النجاح والخروج بنتائج وتوصيات تتناسب وعراقة حلب ودورها التاريخي.

كما ألقى السيد محمد صالح الملاح رئيس غرفة التجارة كلمة أوضح فيها أن الاحتفالية بمختلف نواحيها الاقتصادية والثقافية والحضارية فرصة نادرة لإبراز التطور الحاصل في القطاعات المختلفة وما تختزنه هذه المدينة العريقة من مظاهر الصناعة والتجارة والثقافة والإبداع وما تمتلكه من طاقات وإمكانات تنم عن مستقبل مزدهر منوها إلى دور غرفة التجارة والجهد الذي بذلته في سبيل إنجاح هذه الندوة.

وألقت الدكتورة غيداء خزنة كاتبي كلمة بينت فيها دور الشعراء والعلماء



الحلبيين في رفد الثقافة العربية والإسلامية على مر العصور والتي تفاعلت وأثرت بالحضارات العالمية المختلفة موضحة أن اختيار موضوع الندوة "الحياة الاقتصادية في حلب" فيه الكثير من الإنصاف لدور حلب الهام كمركز تجاري بين جهات العالم قاطبة.

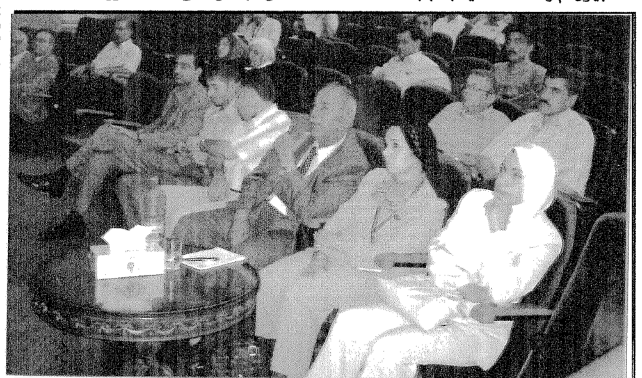
وفي سياق ذلك ركزت محاور اليوم الأول للندوة على تجارة حلب والحياة الاقتصادية فيها بالعهود القديمة وصلاتها مع العراق بالقرنين السادس والسابع الهجريين وأثر طريق الحرير الحضاري في نشر الإسلام بالصين. وحضر الندوة أيضا التي تستمر ثلاثة أيام السادة نائب رئيس وأعضاء المكتب التنفيذي لمجلس المحافظة وعدد من رؤساء المنظمات الشعبية والنقابات المهنية ومديري الدوائر الرسمية وجمهرة من الباحثين والمهتمين بالشأن الاقتصادي والثقافي.

## التجارة خير ميدان للتراث الشعبي الحلبي

تحدث تحت هذا العنوان الدكتور محمد حسن عبد المحسن من سورية قال: إن التجارة وحلب اسمان متلازمان على مر العصور ومن حلب كان يعرف كساء السوق العالمي وحجم نشاطه لكونها عقدة مواصلات تحتل مركزاً تجارياً مهماً ولأنها ملتقى مسالك قوافل العالم القديم التجارية بين الشرق والغرب وقد عرف الحلبي ببراعته في ميادين التجارة فقالوا (أعرج حلب وصل إلى الصين ومن التقاليد التجارية في حلب السعي باكراً إلى أعمالهم التجارية ومن أقوالهم (الرزق بالتباكير) وكذلك تفضيلهم العمل المستقل فهم لا يحبون الشراكة ومن أقوالهم (أنا مثل الفريك ما بحب شريك) وفي التجارة قولهم (اشتر وبيع ولا تخلي اسمك يضيع) ولكل محل تجاري محاسب قانوني مسؤول عن الأمور المالية يمتد

صوته بقولهم (هالمحاسب ما بخل مع الحساب ولا شعراية) ولكل سوق وسيط (الدلال رأسماله الكذب) كما يتميز الحلبيون بحرصهم التجاري إذ يقولون: (لا تشتر الذهب قبل ما تعيرو) ويعولون على الخبرة والممارسة ففي قناعتهم (الممارس غلب الفارس) ومن كناياتهم الجميلة في ذلك: (فلان ابن السوق) ويشترط الحلبيون الأمانة في التجارة ومن أقوالهم (مين أخذ ورد شارك الناس بأموالا) ولا يحبون الدَّيْن ويسخرون من الذي يماطل بوفائه فيقولون: (يا عريض القفا الدين بدو وفا) ومن طبعهم التسامح في البيع والشراء فيقولون (السماح رباح) والمسامحة في بيعهم وشرائهم مألوفة ويقولون (الملاغفة بحلب لالا أول ولالا آخر منشان صرماية عتيقة بكرو تلات ساعات) وكثيراً ما تعرض التجار الحلبيون لهزات اقتصادية بسبب الكساد

ومن أقوالهم (الجمل بعتماني وعتماني ما في) ولكلمة تاجر سحرها الخاص عندهم فقد ردوا كل حرف منها إلى كلمة لها دلالاتها الأخلاقية والسلوكية والمهنية فالتاء (تقي) والألف (أمين) والجيم (جريء) والراء (رحيم) فهذه يتحلى بها ولا أدق من مستلزمات التاجر الحلبي الحق التي ينبغي له أن يتحلى بها ولا أدق من قول الشاعر الشعبي الحلبي في تصويره للنزعة القوية لدى الحلبيين ليكونوا تجاراً (تاجر بدينار واسمك في البلد تاجر وبألف دينار نفسك أدعى، لا تاجر) وفي التعليق على هذا المحور من قبل المتداخلين بان الأمثال المطروحة هي أمثال عامة ولا تخص حلب لوحدها كما أن (التجارة خير ميدان للتراث الشعبي الحلبي) كان من المفروض ان تكون (الأمثال الشعبية عن التجارة) هكذا علق البعض على هذا المحور.





بحث قدمه الأستاذ الدكتور محمد بشير حسن العامري من العراق. أشار إلى ان حلب شهدت في القرن الرابع الهجري ازدهاراً اقتصادياً متميزاً بفضل نهضة علمية وأدبية زاهرة وبفضل التطور العلمي والأمن والاستقرار الذي عم بلاد الشام عموماً ومدينة حلب خصوصاً بعد الانتصارات الساحقة التي أحرزت على الروم والبيزنطيين فضلاً عن التربة السوداء وخصوبة الأرض ووفرة المياه وتوفر اليد العاملة المخلصة والعناية بوسائل الري وطرق السقي والدعم والتشجيع من الحكام الحمدانيين والزنكيين والأيوبيين واستخدام الطرق العلمية في الزراعة والصناعة والتجارة وتوفر الأموال من الإنتاج والضرائب وحماية بيت المال كان لهم دور ومكانة في التطور الاقتصادي لمدينة حلب.

قدم الرحالة والجغرافيون بعد زيارتهم لمدينة حلب يقرون وصفاً يؤكد الازدهار الاقتصادي والتطور الزراعي والصناعي والتجاري منهم ابن جبير البلنسي الأندلسي الذي زار حلب ويقال في مدينة حلب "حلب ابراهيم"، لان الخليل كان يسكنها وكانت له الغنم الكثيرة فكان يسقي الفقراء والمساكين والوارد والصادر من البانها والبساتين على شاطئ نهرها ازدهرت التجارة بحلب مع الولايات الإسلامية وهناك شخص يدعى محمد ابن العباس الأموي من حلب ذهب إلى الأندلس عام ٢٧٦ هـ ووفد على الخليفة الأموي بقرطبة المستنصر بالله الأندلسي لغرض تجاري وعلمي وهو دليل على الاتصال الحضاري بين حلب والأندلس.

كما شهد القرن الرابع الهجري تطوراً تجارياً بين مدينة حلب والولايات المجاورة في مختلف أنواع السلع المنتجة محلياً وصارت حلب المعبر التجاري إلى بلاد الأناضول وصار لها علاقات تجارية متميزة مع ولاية الموصل فضلاً عن العلاقات الاجتماعية.

أما ما قيل عن هذا المحور من مداخلات الحضور كانت عكس ما قاله المحاضر بان القرن الرابع الهجري كان فترة ركود اقتصادي هذا ما أكد عليه الباحث حميدو حمادة وأن ما قاله الشعراء عن تلك الفترة ليس وثيقة تاريخية يمكن الاستناد إليها لكن المحاضر أكد ما ذهب إليه من خلال تطور الصناعة وخاصة الأسلحة والتطور الزراعي الخ..

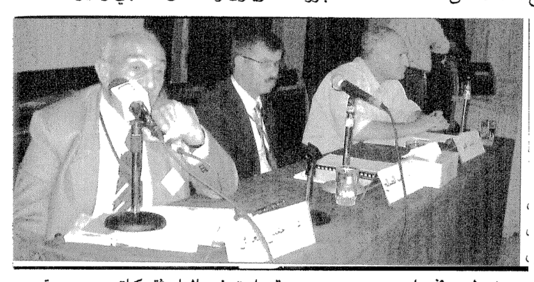
وأضاف المحاضر أن الصناعة التي وجدت في الأندلس نقلها بعض الحلبيين في تلك الفترة والتاريخ شاهد على ذلك..

## بغية الطلب في تاريخ حلب

### لابن العديم

تضمن البحث الذي قدمته الدكتورة غيداء خزنة كاتبي، من الأردن حياة ابن العديم بدءاً من، ولادته ونسبه وبيئته حيث ولد في حلب سنة ٥٨٨ هجري ونشأ في تلك المدينة إلا أن موطنه الأصلي البصرة، وكان من أسرة عرفت بالعلم والأدب والمعرفة وقد تلقى علومه على أيدي مشايخ عدة وعلماء مشهورين من مثل ابن طبرزة والكندي وابن عساكر وابن تيمية إلى آخره من علماء ذلك العصر وله مؤلفات عدة وكانت معظم مؤلفاته في تاريخ المدن والأدب والأنساب كما عرف بأنه كان مقرباً من ملوك الايوبيين كما عرف بالمكانة العالية لدى الملك الظاهر غياث الدين غازي وكانت وفاته سنة ٦٦٠ للهجرة في مصر.

أما المحور الثاني فكان عن أهمية مدينة حلب ووصف عمارتها وابوابها وأنهارها وأنها تحوي الأولياء الصالحين.
أما المحور الثالث فكان عن الحالة الاقتصادية لمدينة حلب حسب فكر ابن العديم حيث كتب في زراعتها وتجارتها وصناعتها وعن الضرائب سواء أكانت شرعية أم غير شرعية وعن اشتهار حلب بزراعة الزيتون والفستق الحلبي وغيرها..



وقد اعترفت الباحثة كاتبي بصعوبة استخلاص الجانب التجاري مما كتبه ابن العديم في مؤلفاته الشاملة عن تاريخ حلب الشبيه بما كتبه ابن عساكر عن تاريخ دمشق الذي تضمن وصفاً لها ولما حولها وكانت الانتقادات لها عن العنوان المطروح (بغية الطلب) وكان من المفروض أن يكون العنوان تحت الطرح الاقتصادي أو التجاري.

## صورة حلب في أدب الرحالة المغاربة

الدكتور عبد الرحيم العلمي (المغرب): تحدث عن الرحالة المغاربة الذين توافدوا إلى الشرق حيث كانت معظم رحلاتهم ذات طابع ديني إلى مرحلة نشأ فيها ما يسمى الأدب الحجازي، وكان لرحلاتهم أيضاً ذات وصف استكشافي وتابعوا الأنشطة المختلفة...

وحلب من اعظم الحواضر التي لفتت انتباه الرحالة المغاربة فأوسعوها نظماً ووصفاً وثناء.

ويمكن التوقف عند بعض المحاور:

- "قلعة حلب" حيث تحدث الكثير من الرحالة عن عظمتها وصمودها أمام الغازين والأعداء حيث تمثل القوة والحصانة والاستعصاء البشري.

- حلب التاريخ الدال على من مر بها من الأمم والدول والحضارات قبل الإسلام وبعد.

وتوقف الدكتور العلمي عند صورة حلب لدى الرحالة المغاربة كونها مركزاً تجارياً هاماً بسبب موقعها الاستراتيجي الاستثنائي الذي اعطاها مزايا كبيرة خصوصاً وانها تقع في ملتقى مسالك التجارة العالمية في القرون الوسطى حيث كان لهذا الموقع التجاري آثار هامة على تطور الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وقد تغنى الشعراء والرحالة المغاربة بحلب ذات المركز العلمي والحركة العلمية القوية التي جسدتها القائمة الطويلة من أكابر العلماء كأبي بكر بن العربي المعاضري وابي الحسن بن سعيد الغرناطي والقاضي ابي الوليد الباجي البطليوسي والشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي.

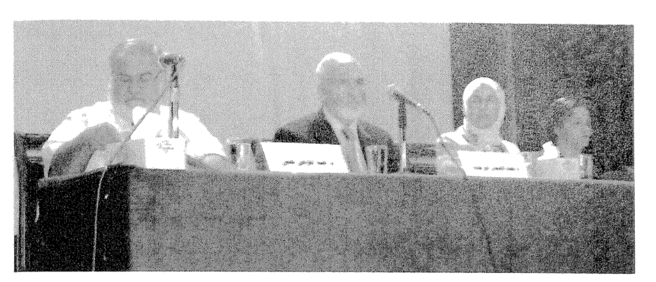
حيث انعكس ذلك على حركة تداول المخطوطات العلمية والادبية التي صارت تجلب إلى حلب مختلف الاصقاع حتى ان بعضهم وجد فيها كتباً أندلسية فقدت في الأندلس.

- ويتناول الدكتور العلمي جانباً هاماً حيث كانت حلب مدينة الانفتاح على الروافد الثقافية والعرقية إذ هاجر اليها واستوطنها ورغم بعد المسافة عدد كبير من الغاسيين والأندلسيين، وفي المقابل رحل منها عدد كبير من العلماء والأدباء والأسر التي ما زالت بقايا ذرياتهم ضمن البيوت الغاسية العريقة ومثل أحمد الحلبي الذي ما زال له ضريح في مدينة فاس.

## بعض المعوقات في تجارة حلب زمن الخلافة العثمانية

الأستاذ محمد صبحي المعمار: تناول في بحثه المعوقات في تجارة حلب زمن الخلافة العثمانية ١٨٤٠-١٩٠٠ م.

فأوضح ان الاقتصاد لا يمكن أن يتم وينمو إلا إذا توافرت له بيئة آمنة، وحلب كانت زمن الخلافة العثمانية هي إحدى الولايات العثمانية.. وتوقف عند حدودها الجغرافية الطويلة والأقضية والألوية التابعة لها والتنوع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي..



وأوضح ان هناك مقومات خارجية قد اثرت على تجارة مدينة حلب خلال هذه الفترة منها حرب القرم ومشاركة أبناء حلب فيها.. وفتح قناة السويس حيث انقطع طريق الهند وتراجعت التجارة البرية التي كانت تشكل فيها حلب النقطة المحورية فيها.

أما المعوقات الداخلية فهي تتضمن جملة من الحوادث البيئية والكوارث الطبيعية من زلازل وأمراض وحرائق في أسواق حلب وكذلك فساد وسوء الإدارة وما تبعه من غلاء شديد في الأسعار وظلم رجال الضابطة وقطاع الطرق..

- وتوقف الباحث عند تطور صناعة المنسوجات الحريرية والقطنية بحلب، واشتهارها في زراعة الزيتون والفستق الحلبي..

### الحياة الاقتصادية زمن المماليك

الدكتور أحمد فوزي الهيب: قدم ورقة بحثية بعنوان: اضواء على الحياة الاقتصادية في حلب زمن المماليك حيث يعتبر هذا العصر من أهم الفترات التاريخية التي مرت على حلب.

حيث أصبحت فيه قاعدة حربية وحضارية عظمى على الحدود الشمالية للسلطنة المملوكية وتنطلق فيها الجيوش المملوكية لصد الأعداء وتأديبهم - كما قامت فيها نهضة علمية واقتصادية لأسباب عديدة أهمها:

- الماضي الزاهر لمدينة حلب وتاريخها الهام.
- الموقع المتميز والاستراتيجي في السلطنة المملوكية واتساع مساحتها.
- سمات أهليها وطبقاتهم واجناسهم.

وقد تحدث عن النشاط التجاري الذي كان يأخذ محورين في زمن المماليك.

تجارة داخلية وتجارة خارجية حيث كان تنوع المنتجات والنشاطات الزراعية والاقتصادية التي أدت إلى تنوع الأعمال التجارية.

- الصناعة والزراعة في حلب وكان لهما اثر هام على تطور الاقتصاد وخصوصاً مع انتشار الخانات والقيسارات والاسواق وديوان بيت المال ودار الضرب.

## الأوضاع الاقتصادية بحلب زمن الحروب الصليبية

حول هذا المحور قدم الدكتور جميل جمول ورقة بحثية توقف خلالها عند موقع حلب الجغرافي على الطريق الرئيس بين بلاد الرافدين وشمال الشام والشاطئ الشرقي للبحر المتوسط حيث كان له اثر كبير في استمرار الحياة الاقتصادية بأوجهها التجارية والصناعية والزراعية كلها.

ففي العصر السلجوقي عرف اهل حلب كيف يتغلبون على سوء الأوضاع السياسية والامنية ونشطوا في الزراعة والتجارة وبعض الحرف البسيطة على الرغم من ازدياد الأوضاع سوءاً مع قدوم الحملات الصليبية وتأسيسها لممالك وامارات شاركت في دمار المنطقة بسبب الحروب والهجمات التخريبية.

وتوقف الباحث عند العصر الزنكي لا سيما ايام نور الدين، فقد استعادت حلب القها الاقتصادي ونشطت في مختلف الجوانب، مستندة إلى موقفها القوي بتملك زمام المبادرة في الحرب والقتال وإجراءات نور الدين الداعمة للاقتصاد والمحفزة له وذلك لحاجته إلى ما يدعم سياسته العسكرية والوحدوية.

وفي العصر الأيوبي استمرت حلب بمزاولة نشاطها الاقتصادي والتجاري على وجه الخصوص نتيجة الأمن والاستقرار في أيام زمن الملك الظاهر..

وأوضح الباحث بأن الأوضاع الاقتصادية في حلب ظلت مزدهرة مع قيام الدولة المملوكية بل برزت سمة مهمة بقيام حلب بعقد اتفاقيات تجارية خاصة مع الدويلات الإيطالية.

## تجارة حلب في العصور الإسلامية

الدكتور عبد الستار ابو غدة قدم بحثاً بعنوان تجارة حلب في العصور الإسلامية (الأيوبي - المملوكي - العثماني) أوضح فيها أن لحلب ماض مجيد في مجال التجارة خصوصاً في العصور الإسلامية الثلاثة هذه.. وذلك بالرغم مما مرت به تلك العصور من تقلبات سياسية.

حيث وصف المؤرخون والرحالة ما كانت عليه تجارة حلب من سعة وازدهار وكذلك الكتاب الغربيون من شتى الأقطار، وشد انتباههم، استخدام تجار





حلب (الحمام الزاجل) في الاتصالات بين حلب ومينائها البحري آنذاك (الاسكندرية) ومن شواهد النشاط التجاري الكبير خانات حلب واسواقها كما ان حلب شهدت في العصر العثماني إنشاء أول شركة مساهمة في سورية..

إن الموقع الجغرافي الهام لحلب ساعد على الدور التجاري العالمي لها. وأدى ذلك إلى ضخامة صادراتها ووارداتها - كما ازدهرت فيها الصناعة وتوسع نشاطها التجاري بسبب التنوع والتميز في أشكالها.

## ملامح اقتصاديات حلب إبان الحكم العثماني

الدكتور عبد المؤمن محمد العلبي تناول في بحثه (ملامح اقتصاديات حلب إبان الحكم العثماني ١٥٠٠-١٩١٧) الموقع الاستراتيجي - أنماط التبادل التجاري - الخانات - الأسواق القيسريات - القنصليات. وقد بين نوعية الحياة الاقتصادية ومواقع مزاولة الصناعة، وكيف اتخذت الخانات لتخزين البضائع ولإقامة التجار ومقراً للقنصليات بالإضافة إلى الكنائس والإرساليات التي توافدت إلى حلب واتخذت من الخانات مقراً لها.

وقد استعرض فترة الانتعاش الاقتصادي في حلب وكذلك الركود والتراجع الذي شهده اقتصاد حلب في منتصف القرن التاسع عشر في مختلف أنشطة التجارة الدولية حيث اقتصرت التجارة على السوق المحلية وأوضح الأسباب الجوهرية التي كانت وراء ذلك..

وتناول الدكتور العلبي عدداً من الرحالة والمؤلفين أهمهم: ابراهام ماركوس الأمريكي: أصدر كتاب تاريخ حلب في القرن الثامن عشر.

- هنتر جاوية الالماني الذي أعد كتاب حلب عام ١٩٨٤.
- جان سوفاجة الفرنسي الذي أصدر كتابه عن حلب عام ١٩٥٠.
- الأخوان راسل (الطبيبان البريطانيان) حيث صدر لهما كتاب تاريخ حلب الطبيعي ١٧٩٤.
- بالإضافة الى:
- موسوعة الشيخ راغب الطباخ (أعلام النبلاء) ١٩٢٣.
- موسوعة الشيخ كامل الغزي (نهر الذهب) ١٩٢٦.

## حلب عبر العصور الإسلامية.. في ندوة الحياة الاقتصادية في حلب عبر التاريخ

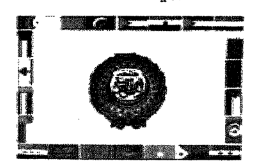
### اليوم الثاني

واصلت الندوة العلمية الدولية "الحياة الاقتصادية في حلب عبر التاريخ" التي أقامتها الامانة العامة لحلب عاصمة الثقافة الإسلامية بالتعاون مع غرفة تجارة حلب أعمالها لليوم الثاني بعقد جلساتها العلمية حول حلب في العصور الإسلامية حيث ترأس الجلسة العلمية الثالثة الدكتور عبد الرحيم العلمي وكان مقررها الدكتور دريد الخطيب وتحدث خلالها كل من الدكتور محمد حسن عبد المحسن حول التجارة كخير ميدان للتراث الشعبي الحلبي والدكتور محمد بشير حسن العامري من العراق حول الازدهار الاقتصادي لمدينة حلب في القرن الرابع الهجري فيما تحدثت الدكتورة غيداء خزنة كاتبي من الأردن عن كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم.

كما عقدت الجلسة العلمية الرابعة برئاسة الدكتور عبدالستار ابوغدة وقررها المهندس محمود زين العابدين وتحدث خلالها الدكتور عبدالرحيم العلمي من المغرب حول صورة حلب في أدب الرجال المغاربة فيما تحدث الأستاذ محمد صبحي المعمار حول بعض المعوقات في تجارة حلب زمن الخلافة العثمانية ١٨٤٠ - ١٩٠٠ م والدكتور أحمد فوزي الهيب عن الحياة الاقتصادية في حلب زمن المماليك في حين تحدث الدكتور جميل جمول حول الأوضاع الاقتصادية بحلب خلال الحروب الصليبية.

وعقدت الجلسة العلمية الخامسة مساءً برئاسة الدكتور عمر بن يحيى محمد وقررها المهندس عبدالله حجار وتحدث خلالها كل من الدكتور عبدالستار ابوغدة حول تجارة حلب في العصور الإسلامية "الأيوبي - المملوكي والعثماني" والمهندس محمود زين العابدين عن التوسع العمراني لأسواق المدينة في العصر العثماني بحلب خلال القرن السادس عشر الميلادي والدكتورة فريال فيلالي من الجزائر عن حلب كنموذج للمصالحة الإنسانية والدكتورة مريم بيحاوي من الجزائر أيضاً عن حلب في الأدب الغربي فيما تحدث الدكتور عبدالمؤمن العلبي عن ملامح اقتصاد حلب ابان الحكم العثماني ١٥٠٠ - ١٩١٧م والدكتور غسان السياف من إيطاليا (سوري الأصل) عن أهمية حلب في العهد المملوكي.

## ندوة "الحياة الاقتصادية في حلب عبر التاريخ"
## توصي بإقامة سوق عربي مشترك كنواة لوحدة اقتصادية



**اليوم الثالث**

أكد الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب أن الصفة الاقتصادية والتجارية لمدينة حلب لم توجد منذ التاريخ القديم وحتى يومنا هذا من فراغ بل كانت نتيجة طبيعية وموضوعية لعب فيها الإنسان والمكان والزمان دوراً هاماً لتأخذ هذه المكانة الرائدة في قلب العالم اقتصادياً واجتماعياً.

وأضاف في كلمة له خلال الجلسة الختامية للندوة العلمية الدولية "الحياة الاقتصادية في حلب عبر التاريخ" التي نظمتها الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية وغرفة تجارة حلب أن هذه الندوة الهامة جاءت تكريساً لأهمية هذه المدينة والدور الاقتصادي الهام الذي لعبته خلال الحقب التاريخية المختلفة مشيراً إلى تزامن الندوة مع زيارة الوفد الإيراني الصديق حيث تم الاتفاق معه على اقامة اسبوع حلبي في اصفهان واسبوع اصفهاني في حلب نظراً لاختيارهما عاصمتين للثقافة الإسلامية لعام ٢٠٠٦.

وألقى كل من محافظ المحافظة المركزية بإيران ونائب محافظ أصفهان كلمتين عبرا فيهما عن سعادتهما بزيارة حلب ونوها بالعلاقات المتينة بين البلدين والتي تشمل التعاون المشترك في جميع المجالات.

هذا وقد أوصت الندوة في اختتام أعمالها بضرورة تفعيل التوصيات الاقتصادية الصادرة عن جهات عربية مختلفة لإقامة سوق عربي مشترك يكون نواة لوحدة اقتصادية وتنسيق سياسي وثقافي على المستويات كافة وتفعيل النشاط الاقتصادي العربي مع دول الجوار وخاصة دول العالم الإسلامي وتنظيم توءمة اقتصادية وثقافية لمدينة حلب مع مدن عربية وإسلامية وعالمية وذلك لإبراز الوجه الحضاري لمدينة حلب والإعداد لموسوعة شاملة حول اقتصاد حلب وتعميق ربط المؤسسات بالحياة الاقتصادية العلمية وترميم وتأهيل المباني ذات الطابع التاريخي والثقافي لأجل الاستثمار السياحي المنظم وتطوير الاستخدام التقني في توثيق التراث العلمي والاقتصادي.

وفي نهاية الندوة تم توزيع دروع الاحتفالية وشهادات المشاركة والتقدير على الباحثين والوفد الإيراني.

# تعميق الوعي واحترام الخصوصيات الثقافية والتنوع في العالمين العربي والإسلامي..

عزيزة السبيني*

كلمة الافتتاح ألقاها الأستاذ محمد قجة مرحباً فيها بضيوف حلب المحروسة، وأشار إلى أن اختيار حلب عاصمة للثقافة الإسلامية لم يأتِ من فراغ، لأن حلب مدينة لها تاريخ يمتد إلى أكثر من عشرة آلاف عام، واحتضنت عبر هذه السنوات الطوال جميع الطوائف والمذاهب تحت حضارة مرنة استوعبت الآخر، واحترمت الخصوصيات المختلفة من غير أن يؤدي هذا الاختلاف إلى صدامات كما يدعو اليوم البعض إلى ما يسمى صراع الحضارات، وإن حلب الشهباء على مر العصور فخرت بأبنائها، وها هي اليوم تفخر بما صنعه أبطال المقاومة في جنوب لبنان وفلسطين والعراق، وفي كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، بل في كل بلد من بلدان العالم ينادي بالحرية، لأننا نحن أبناء حلب كنا ولا نزال من دعاة الحرية، ندعو إليها ونؤمن بها، ونؤمن بعودة الحقوق المشروعة إلى أهلها.

ثم ألقت الدكتورة ريتا عوض كلمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، عبرت في البداية عن شكرها لوزارة الثقافة وإلى اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم، وأيضاً، إلى الأمانة العامة للاحتفالية، لتعاونهم في تنظيم واحتضان هذه الندوة الهامة، ورأت أن هذا الاهتمام هو اعتراف بتاريخ مدينة حلب العربي والإسلامي، وإضافات هذه المدينة إلى التاريخ العربي والعالمي، وأن حلب هي مدينة التنوع الثقافي في إطار الهوية العربية والإسلامية، وأشارت إلى أن أهمية هذه الندوة تأتي في إطار

* صحفية في جريدة تشرين.



اهتمامات اليونسكو، بشأن حماية التراث الثقافي غير المادي بوصفه بوتقة التنوع الثقافي وأكدت أن الهدف من انعقاد الندوة هو تشجيع الدول العربية على الانضمام إلى هذه الاتفاقية لتشكّل موقفاً موحداً ضد ما يتعرض له التراث العربي من تشويه.

أما كلمة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة فقد ألقاها الدكتور مصطفى علي، وأشار إلى متابعة المنظمة لتنامي المخاطر التي ما فتئت تؤرق مضاجع المجتمعات الإنسانية وتهدد الأمن والسلم الدوليين في عالم اليوم الذي تظله منذ حين ظاهرة العولمة، التي تسعى إلى إقحام رؤى فكرية وثقافية وفرض نماذج سياسية واقتصادية دون التفات إلى مواريث الشعوب وتجارب الإنسانية، ودون اكتراث إلى حق البشر في التمايز والاختلاف والتنوع والتعدد والتباين، وأن جميع المؤتمرات والندوات التي تدعو إليها المنظمة تسعى إلى احترام الثقافات والأديان دون تمييزٍ وإلى الحوار الدائم وتعزيز التعايش بعيداً عن كل توتر، استناداً إلى القيم المشتركة فيها. وأشار الدكتور علي إلى الاتفاقيتين الدوليتين الصادرتين عن اليونسكو وهما: "اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي بوصفه بوتقة التنوع الثقافي" و"اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي" وأن المنظمة تسعى بالتعاون مع

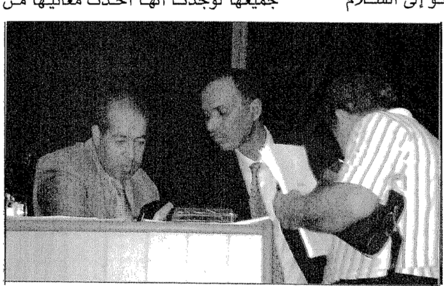
المنظمات الموازية والمؤسسات الرسمية، ومؤسسات المجتمع المدني إلى الحفاظ على التراث الفني بملامحه المتنوعة، وفي دفع عجلة التنمية الشاملة والمستدامة، ونشر ثقافة العدل والسلام.

وتأتي أهمية انعقاد هذه الندوة في هذا السياق، إدراكاً من المنظمة الإسلامية لما توليه الدول العربية الأعضاء، سواء كان ذلك على صعيد مؤسساتها الرسمية، أو على صعيد مؤسساتها الأهلية، من اهتمام خاص بهذه القضية المحورية.

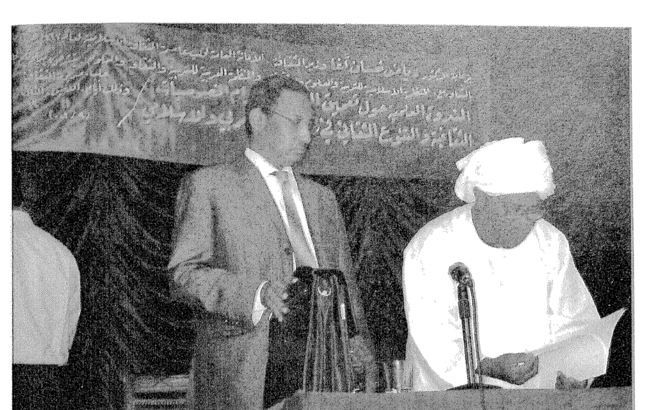
كذلك ألقى الدكتور رياض نعسان آغا -وزير الثقافة- كلمة شكر من خلالها المنظمتين الإسلامية والعربية اللتين ترعيان الثقافة والعلوم في العالمين العربي والإسلامي، وأشار إلى أن اختيار عنوان الندوة لهو رد حاسم على الكثير من الأفكار التي تحاول الصهيونية من خلالها تشويش عقول البشر، وذكر الدكتور الوزير أننا نحن من ندعو إلى السلام ونحن من نؤمن به، ففي الوقت الذي أعلن فيه بوش الأب عن ولادة نظام دولي جديد، تتوحد فيه الإنسانية وفيه الخير لكل شعوب العالم، وقفنا ننتظر ما هي السمات العامة لهذا النظام الدولي، والذي اتضّحت معالمه فيما بعد، حيث عمدت الإدارة الأمريكية مع بعض الدول إلى إجراء اتفاقيات جزئية تضعف الموقف العربي، وإلى زعزعة الوضع الداخلي لبعض الدول الأخرى وفرض حروب عليها كانت بغنى عنها.

ثم رأى أن موضوع صراع الحضارات إن لم يكن مفاجأة بالنسبة لنا، وأن تصريحات "هنتنغتون" سبقتها كتابات "برنارد لويس" الذي تحدث عن صراع الثقافات، وهذا لا يعني أن معظم كتاباتهم كانت تُسيء إلى الثقافة العربية، والثقافة الإسلامية، بل هناك عدد من المفكرين والباحثين الذين أنصفوا الحضارة الإسلامية، ولكن المسألة تكمن عند الكاوبوي الأمريكي الذي كان يبحث عن عدو له، فوجد ضالّته في الإسلام، وإذا تساءلنا لماذا الإسلام؟ لكانت الإجابة واضحة وضوح الشمس، لأن الإسلام هو دين دافع للمقاومة ومُحّرض لها.

ولو استعرضنا حركات المقاومة جميعها لوجدنا أنها أخذت معانيها من



ملف الاحتفالية



الإسلام، وأحد أسباب ذلك وأهمها، الدافع الروحي الذي يقدمه الإسلام، وصفة الشهادة التي يتحلى فيها المقاوم المدافع عن أرضه وأهله، ومن أجل ذلك دأبت الدراسات الصهيونية والأمريكية على محو هذه الصفة وإزالة معانيها السامية.

ثم أشار الدكتور نعسان آغا إلى أن هناك بعض الكتّاب قد تأثروا بالأفكار الغربية، والأمريكية على وجه التحديد، حيث باتت السخرية من كلمة "القومية" تظهر في بعض الكتابات، وكأنهم يسخرون من الانتماء القومي، فالعداء واضح ومفتعل وهم يبحثون عن وسائل الفتنة بين الخصوصيات الثقافية، وما يحدث اليوم في العراق خير شاهد على ذلك.

من هنا تأتي أهمية انعقاد هذه الندوة لأن موضوع التنوع هو موضوع سياسي بامتياز، وأن أعداء الأمة يحفرون لتمزيق أوصالها، وواجب على كل مثقف تعميق هذا الوعي لأن العدو الذي أخفق على الصعيد السياسي، نرى أنه يسعى للتسلل عبر الخصوصية الثقافية، والعمل على تمتين الوحدة الوطنية، وتعميق الاحترام والاعتراف بخصوصية الآخر والشعور بأنه يكمله حتى لو اختلف معه في الرأي.

## الثقافة والتنمية في اتفاقيتي اليونسكو

تحدث الدكتور أحمد علي مرسي (مصر) عن العلاقة التي تربط بين الثقافة والتنمية فوجد أن الثقافة تمثل بعداً أساسياً في عملية التنمية يساعد على تعزيز استقلال الأمم وصون ذاتيتها،



فقد كان ينظر إلى التنمية في كثير من الأحيان نظرة كمية دون اعتبار لبعدها النوعي الفردي الذي يتمثل في تلبية تطلعات الإنسان الروحية والثقافية، فالتنمية الحقيقية تستهدف تحقيق الرفاهية والإشباع الدائمين لكل فرد ولكل جماعة، غير أنه من اللازم والضروري أن تتخذ التنمية طابعاً إنسانياً، لذلك ينبغي أن يكون هدفها هو تعزيز كرامة الفرد كإنسان وتحديد مسؤوليته تجاه المجتمع بحيث تتاح لكل فرد، ولكل شعب فرصة الحصول على المعلومات والتعلم ونقل خبراته إلى الآخرين.

وعرض الباحث إعلان اليونسكو لمبدأ الإنسان الذي هو محور التنمية، وهذا يعني أن توجه التنمية في ضوء الطموحات وأن تحقق الأماني الخاصة لكل شعب، وأن كل شعب أو مجتمع عليه اختيار نموذجه الخاص به والمتوائم مع قيمه الثقافية وأنماط معيشته؛ فالتنمية الوطنية لا يمكن أن تتحقق ما لم تكن تنمية أصيلة تحترم الذات الثقافية لكل بلد ولكل مجتمع وتعمل على صونها وترسيخها..

من هنا رأى الدكتور مرسي ضرورة العمل على توجيه جهود التنمية انطلاقاً من واقع المجتمع ومشكلاته اليومية وأفكاره وعاداته وتقاليده ومعتقداته، وفي ضوء هذا لا سبيل إلى الفصل بين الذاتية أو الهوية الثقافية والتنوع الثقافي.

ثم استعرض الباحث اتفاقيتي حماية التراث غير المادي للعام (٢٠٠٣) واتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي (٢٠٠٥) اللتين أقرتهما اليونسكو، فطبقت الاتفاقية الأولى منذ عام (٢٠٠٦) وما زالت الاتفاقية الثانية قيد التصديق عليها.ثم لخصّ الباحث أهداف الاتفاقية الأولى: فهي تؤكد على حماية وصون التراث الثقافي غير المادي، واحترام التراث الثقافي غير المادي للجماعات والمجموعات المعنية وللأفراد المعنيين والتوعية على الصعيد المحلي والوطني والدولي بأهمية التراث الثقافي غير المادي وأهمية التقدير المتبادل لهذا التراث، وأيضاً، إن هذه الأهداف بحاجة إلى التعاون الدولي والمساعدة الدولية.

وختم الباحث محاضرته في إيجاز أهمية التصديق على هاتين الاتفاقيتين باعتبار أن الثقافة بتنوعها وإبداعها

وتجلياتها غير المحدودة يمكن أن تلعب دوراً لا يقل أهمية عن الاقتصاد في إحداث التنمية والتغيير الاجتماعي، وأن اقتصاد الثقافة يمكن أن يؤدي دوراً أساسياً في الحد من أوجه التفاوت في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، بما أنه يتيح تحويل الثروات الرمزية إلى ثروات مادية، ولعل هذا يدفعنا على صعيد العالم العربي إلى ضرورة التفكير في وضع نظام متكامل ومتوازن لاقتصاد الثقافة يشجع ازدهار الأنشطة الانتاجية في مجال التراث الثقافي بخاصة، والثقافة بعامة، وربط ذلك على نحو ملائم بالسوق العالمية للسلع والخدمات الثقافية وتوثيق الصلة بين الثقافة والتنمية عن طريق دمج البعد الثقافي في السياسات الإنمائية العربية.

## انعكاسات حماية حقوق الملكية الفكرية في اتفاقيتي التراث الثقافي اللامادي

استعرض الدكتور محمد حسام لطفي الاتفاقيات الدولية والعربية التي تم التصديق عليها للحفاظ على التراث والهوية الثقافية.

تحدث في الفصل الأول من دراسته عن اتفاقية حماية تعزيز أشكال التنوع الثقافي التي وضعت في العام (٢٠٠٥) وتمت الموافقة عليها من قبل اليونسكو، إلا أنها لن تدخل حيز التنفيذ إلا بعد انضمام (٣٠) دولة إليها، وحتى الآن لم يتم ذلك، فصادقت عليها سبع دول هي بوليفيا، كندا، جيبوتي، موريشيوس، المكسيك وموناكو ورومانيا، ولم يكن تبني هذه الاتفاقية من منظمة اليونسكو التي ما أُنشئت إلا لاحترام التنوع المثمر للثقافات وتشجيع الانسياب الحر للكلمة والصورة.

ويمكن إيجاز أهدافها بضرورة ربط الثقافة بالتنمية، والثقافة والتضامن الدولي، وأخيراً، الثقافة والتفاهم المتبادل.

وفي الفصل الثاني أشار إلى اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي التي وضعت في العام (٢٠٠٣) وانضمت إليها حوالي (٦٢) دولة، وحدد الباحث مفهوم التراث الثقافي غير المادي في هذه الاتفاقية بالمجالات التالية:

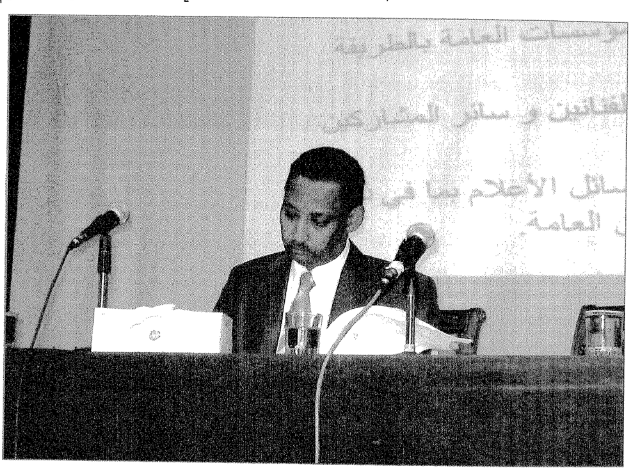
- التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كوساطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي.
- فنون وتقاليد أداء العروض.
- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.
- المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.
- المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

وعن التزامات الدول العربية تجاه التراث الثقافي غير المادي فيجب عليها، المحافظة على التراث غير المادي وتعزيزه وإبرازه ونقله - إجراء البحوث عن التراث غير المادي - توثيق التراث المادي، وأخيراً، تحديد التراث غير المادي بمشاركة المجتمع المدني.

وختم الدكتور لطفي محاضرته بالحديث عن العلاقة بين اتفاقيات اليونسكو والشرعة الدولية للملكية الفكرية فرأى أن ما تضطلع به اليونسكو من أعمال، وما تسعى إليه منظمة التجارة العالمية، وإدماج هذا كله ضمن جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حتى يتسنى لنا التوصل إلى توازن مقبول بين المصالح، فنوفّر الحماية الفعالة للمأثورات الشعبية والمعارف التقليدية، وهما كما رأى الباحث، فرعان مستحدثان يشار إليهما في قوانين الملكية الأدبية والفنية، وعن طريق التصديق على هاتين الاتفاقيتين يمكن أن نوفر الثقل السياسي المأمول لمطالب الدول العربية بحماية فعّالة لمأثوراتها الشعبية ومعارفها التقليدية، والأمل لا يزال يراود الجميع في عولمة أكثر احتراماً لهويات الشعوب بما في ذلك إبعاد الهيمنة الأمريكية التي تهدد بالوصول إلى ثقافة بديلة عامة في كل العالم و"فرملة" التحرر، من أجل الحفاظ على التعددية الثقافية.

## دراسة قانونية لاتفاقيتي اليونسكو وأهميتهما للدول العربية والإسلامية

تقدم الدكتور محمد سامح عمرو بدراسة قانونية حول الاتفاقيتين في حماية التراث والتنوع الثقافي؛ فعرض بداية لماهية التراث غير المادي الذي هو حسب رأيه الوجه الآخر للتراث المادي الملموس وهو انعكاس للهوية الذاتية ويساهم إلى حد كبير في تعزيز التنوع الثقافي، وتساءل الباحث عن أحكام الحماية على المستوى الوطني، فواجب كل دولة أن تقوم



باتخاذ التدابير اللازمة لضمان صون التراث الثقافي غير المادي الموجود على أراضيها، وذلك بمشاركة الجماعات والمجموعات غير الحكومية ذات الصلة، ولأول مرة تقوم اليونسكو بمطالبة المجتمع المدني في المشاركة بحماية التراث الثقافي من أجل تحقيق التثقيف والتوعية وتعزيز القدرات على المستوى الوطني، والسعي إلى تحقيق التعاون الدولي عن طريق تبادل المعلومات والخبرات، والقيام بمبادرات مشتركة من الدول التي تمتلك آلية لمساعدة الدول الأطراف ذات التراث غير المادي، ودعم برامجها ونشاطاتها التي تنفذ على الصعيد الوطني والإقليمي، وأشار الباحث إلى صور المساعدة الدولية عن طريق إجراء الدراسات وتوفير الخبرات لتدريب العاملين في هذا المجال، وإنشاء تشغيل البنى الأساسية وتقديم المساعدات المالية، وتتألف اللجنة الدولية الحكومية لصون التراث الثقافي غير المادي من (١٨) عضواً يتوزعون بشكل جغرافي، وتتم رئاسة اللجنة عن طريق الانتخابات ومدة عضويتها (٤) سنوات ولا يجوز انتخاب دولة ما في عضوية لفترتين متعاقبتين، وتسعى اللجنة للترويج لأهداف الاتفاقية وتسعى لزيادة الموارد، وإرسال المقترحات للجمعية العامة، وفحص التقارير المقدمة.

أما عن دور منظمة اليونسكو لهذه الجمعية العامة، فهي تقدم وثائق الجمعية العامة، وتعد مشروع جدول أعمال اجتماعاتهما، وتكفل تنفيذ قراراتهما، وقد سارعت المنظمة إلى إنشاء صندوق تستقبل فيه مساهمات الدول الأطراف، ودعم المجتمع المدني.

أما التوصيات التي خرج بها الباحث فهي:

- ضرورة تصديق جميع الدول العربية والإسلامية على هذه المعاهدة.
- الاعتراف بأن التراث الشعبي هو عنصر هام من تراثنا الثقافي الذي يمثل الذاتية الثقافية الاجتماعية.
- تأسيس أجهزة أو هيئات حكومية لجمع وتوثيق وتصنيف وتأريخ التراث الشعبي.
- التنسيق مع الجهات المعنية على إحياء صورة التراث الشعبي، والتأكيد على ضرورة إشراك الشباب في صيانة وتطوير التراث.
- وجود تشريعات وطنية تهدف إلى حماية التراث الشعبي ومواجهة ما يهدده من مخاطر.

## المشهد الثقافي السوري

استعرض الدكتور علي رحال المشهد الثقافي السوري من خلال نشاطات وزارة الثقافة المتوزعة على مدار العام من ندوات ومحاضرات ومعارض فنية تشكيلية، وعروض مسرحية، وحفلات فنية، والأهم من ذلك معارض الكتب التي تمتد على مدار العام تقريباً، وفي مختلف المحافظات السورية، إضافة إلى الاهتمام بالتراث الإسلامي والمواقع الأثرية الممتدة على مساحة

القطر العربي السوري المؤثرة في الحضارات المجاورة والحضارات العالمية.

كذلك أشار الدكتور رحال إلى الاهتمام المميز الذي تقوم به وزارة الثقافة، وبالتعاون مع وزارة التربية بثقافة الطفل، وذلك عن طريق نشر الكتب والقصص الخاصة بالأطفال وتعتبر سورية من الدول الرائدة التي تهتم بعيد الطفل وتوليه أهمية خاصة عن طريق وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة ويكتمل النشاط الثقافي بالتعاون بين وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب عن طريق منشوراته الدورية والفصلية.

ورأى الدكتور رحال أن الاهتمام بالتراث الشعبي اللامادي لهو تعبير عن عمق التراث الثقافي السوري، وقد عمدت وزارة الثقافة إلى السعي لاقتناء التراث الشعبي عن طريق جمعه، وصدر حتى الآن أربعة أعمال وهي لاتزال الخطوة الأولى في هذا المجال. ونفخر في سورية بأنها كانت من الدول السباقة للتصديق على اتفاقية الحفاظ على التراث.. وإن من أهداف القائمين على المشهد الثقافي في سورية الحفاظ على التراث وتقديمه للجمهور ولاسيما الاهتمام بالإرث الحضاري في مجال الآثار.. وكما هو معروف ان هناك الكثير من المشاهد الأثرية المسجلة في اليونسكو.

وختم الدكتور رحال قوله بأن لسورية علاقة ثقافية ممتازة مع معظم



الـدول العربيـة والأجنبيـة مـن خـلال اتفاقيات ثقافية تسعى إلى عقد وتنفيذ برامـج ثقافيـة مشـتركة، وكذلـك لهـا علاقـات مميزة مـع المنظمـات الدوليـة وهـي تسـير الآن في إجـراءات التصديـق على الاتفاقية الثانية حول التنوع الثقـافي من أجل حماية الحضارة السورية الممتدة على نحو مليون سنة والشـواهد كثيرة في هذا المجال.

وفي ختـام النـدوة خـرج المشـاركون بمجموعة من التوصيات تدعو من خلالها الـدول الأعضـاء في المنظمتـين، الـتي لم تصدق على اتفاقية حماية التراث الثقـافي غـير المـادي، إلى التصديـق عليـها، وكذلـك، دعـوة الـدول الأعضـاء إلى التصديـق علـى اتفاقيـة حمايـة وتعزيـز التنـوع الثقـافي. ولا يقتصـر الأمـر علـى مجـرد التصديـق أو التوقيـع، بـل دعـوة الأعضـاء إلى وضـع التشـريعات واتخـاذ الإجـراءات اللازمـة لإدخـال الاتفـاقيتين حيّز التنفيذ، وعقد دورات تدريبية وورش العمـل الهادفـة إلى توعيـة العـاملين المختصـين بالشـأن الثقـافي للتعريـف بمضـامين الوثـائق الدوليـة والإقليميـة الخاصـة بـاحترام الممتلكـات والخصوصيات الثقافيـة والتنـوع الثقـافي وتفعيل ما يتعلق بها من توصيات. والسعي إلى التنسـيق بـين الـدول الأعضـاء ومنظمـات المجتمـع المـدني لإدراج روائـع الـتراث الشـفوي في هـذه الـدول ضمـن روائـع الـتراث الشـفوي العـالمي، وتفعيـل دور منظمات المجتمع المدني/الأهلي فيما يتعلـق بتطبيـق الاتفـاقيتين والتـأكيد علـى ضـرورة دعـم الجـهود الوطنيـة والإقليميـة والدولية للتمييز بين السلع التجارية التي تتولاهـا منظمـة التجـار ة العالميـة، وبـين السـلع الثقافيـة الـتي تتولاهـا المنظمـات الدولية والإقليمية المعنية بالثقافة.

وأخـيراً، توجـهت ممثلـة المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم، وكذلـك ممثل المنظمـة الإسـلامية للتربيـة والعلـوم والثقافـة بالشـكر والتقديـر إلى حكومـة الجمهورية العربية السورية، ممثلة بوزارة الثقافـة والأمانـة العامـة لحلـب عاصمـة الثقافـة الإسـلامية لعـام ٢٠٠٦م واللجنـة الوطنيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم، علـى احتضـان هـذه النـدوة، كمـا بـارك المجتمعون اختيار مدينة حلب الشهباء، أو حلب المحروسة كما سماها الأستاذ محمد قجـة، عاصمـة للثقافـة الإسـلامية عـام ١٤٢٧ هـ /٢٠٠٦م.

# التراث الثقافي اللامادي

## لمدينة حلب في العصور الإسلامية

أمينة رشيد*

### حلب غنية بالمكونات الثقافية المتنوعة وأسهمت بصوغ شخصية متميزة

التراث غير المادي هو كل العناصر الثقافية الموروثة عن الأسلاف ماعدا الآثار والأوابد والتحف والمخطوطات باعتبارها تراثاً مادياً وهو يتضمن جميع المهارات البشرية والعادات والتقاليد واللغة المحكية وما تحمله من معان وقيم ومفاهيم وأغان وأمثال ومواويل وغيرها.

إن حماية التراث الثقافي المادي واللامادي يشكل موضوعاً استراتيجياً هاماً بالنسبة لسورية نظراً لدورها الهام في إنتاج التراث العالمي والحضارة الإنسانية والدولة توليه الاهتمام الكبير وتخصه بما يحتاجه من مال وجهد وتخطيط لأنه يشكل هويتها المتميزة وذاكرتها الوطنية.

ندوة التراث الثقافي اللامادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية التي أقيمت أيام ١٧-١٨-١٩ على مدرج مديرية الثقافة هي من الندوات الكبرى التي تقام في إطار احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية ويشارك فيها نحو ٣٥ باحثاً من المغرب - تركيا - لبنان - سورية.. يقدمون خلالها أبحاثاً هامة عن التراث اللامادي لمدينة حلب والذي يشكل جزءاً هاماً من تاريخ هذه المدينة النابض بالحياة والفكر والإبداع.

### التراث اللامادي واتفاقية ٢٠٠٣

الدكتور علاء الدين لولح مدير معهد التراث رئيس لجنة السجل الوطني للتراث الثقافي اللامادي استهل الجلسات العلمية بمحاضرة افتتاحية حول التراث الثقافي اللامادي من خلال الاتفاقية الدولية للعام ٢٠٠٣ التي تتعلق بصوت

* محررة في صحيفة الجماهير.




الدولية للعام ٢٠٠٣ التي تتعلق بصون التراث الثقافي اللامادي التي تم إقرار صيغتها النهائية في الاجتماع الثالث للخبراء الحكوميين المنعقد في مقر المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في الفترة من ٢-١٤ حزيران ٢٠٠٣ والتي صادق عليها المؤتمر العام الثاني والثلاثين لليونسكو بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/١٧.

وقد استعرض الدكتور لولح المسار التاريخي الذي مرت به مراحل التهيئة والإعداد لهذه الاتفاقيات والمسوغات التي استلزمت إصدارها.

كما ناقش أهداف هذه الاتفاقية ومجالات التراث الثقافي اللامادي في مجتمعاتها وإدراج صون هذه التراث في برامجها التخطيطية بالإضافة إلى توثيق هذا التراث وتفعيل التثقيف والتوعية الاجتماعية بأهميته وذلك من خلال البرامج والأنشطة التعليمية في الدول والأطراف.

ووضح في بحثه آليات الصون على المستويين الوطني والدولي وصيغة التعاون الدولي في مجال تبادل المعلومات والخبرات بين الدول والأطراف وكذلك أشكال المساعدة الدولية وآليات الحصول عليها واستعرض الباحث الجهود المبذولة لجمع عناصر التراث الثقافي اللامادي وما توصل إليه في هذا المجال.

## التراث اللامادي لمدينة حلب

الأستاذ محمد قجة مدير الأمانة العامة للاحتفالية قدم ورقة بحثية بعنوان (مدخل إلى قراءة التراث الثقافي غير المادي لمدينة حلب) أوضح خلالها أن المدينة عرفت أشكالاً كثيرة من الحضارات وشعوباً ساهمت بإغناء الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية وأفرزت

مكونات ثقافية متنوعة وساهمت بصوغ شخصية متميزة للمدينة لها خصوصية فريدة خصوصاً في العصور الإسلامية حيث كانت حلب أنموذجاً للحضارة الإسلامية بحيث استطاعت أن تستوعب كل الحضارات السابقة.

المكونات الثقافية الغنية لمدينة حلب أسهمت بصوغ تراث لامادي متميز يلتقي في بعض الأحيان والجوانب مع مدينة فاس في المغرب العربي وأصفهان أيضاً لكنه يتمتع بخصوصية تعكس الملامح الحلبية ويضيف الأستاذ قجة بأن هناك الكثير من العوامل الموضوعية ساهمت في تشكيل خصوصيات الثقافة المتصلة بالتراث غير المادي.. فهي غنية بالاشكال الثقافية الشفوية وغير الشفوية من عادات وتقاليد وحرف ومهن.. وظلت تتواصل حتى اليوم..فهي لم تستسلم لقدر الموت نتيجة الحروب والكوارث الطبيعية.. فالفكر الصوفي مازال متواصلاً في بعض أحياء حلب مثل الجلوم حتى اليوم، وهذا التراكم أدى لتشعب الخصوصية في الفنون المختلفة من قدود حلبية وموشحات.. وغيرها وهذه الخصوصية نجدها أيضاً في قضايا شفوية جسدها الأسدي في موسوعته فحفظ الأمثال المختلفة والتراث الفني.

وأوضح بأن لحلب خصوصية بالمهارات المختلفة والمهن والحرف اليدوية فصابون الغار على سبيل المثال تميزت به حلب وأصبح إلى حدّ كبير مرتبطاً باسمها وتوقف الأستاذ قجة عند التنوع الديموغرافي لمدينة حلب حيث كانت ومازالت مركزاً للتنوع والتعدد الاجتماعي ومركزاً للتسامح الديني والحياة المختلطة حيث تضم الكثير من الطوائف والأديان والمذاهب وهذا ما أعطى المدينة خصوصية من التسامح والعيش المشترك والذي أفرز بدوره تراثاً غير مادي له خصوصيته المتميزة.

## التراث الشفاهي الشعبي لحلب

الأستاذ فؤاد هلال: قدم ورقة بحثية بعنوان (جوانب من التراث الشفاهي الشعبي لمدينة حلب) بين خلالها أن الكلمة الشفاهية المنطوقة كانت صوتاً قبل أن تصبح مكتوبة ومنها انطلق التراث الشفاهي اللامادي والأدب الشعبي وعرض نقاط الاختلاف بينه وبين الأدب المكتوب وسرد أبواب التراث الشفاهي المتعددة.

وتوقف الأستاذ هلال عند محورين:

الأول – نسب العائلات وأسماء الأشخاص:

وهي مبوبة حسب مصدرها سواء الديني منه أم المأخوذة من الطعام ومواده أم من المناصب والألقاب أو من الخصال والصفات أم من أعضاء الجسم والعاهات أم من المكان والأعمال والصناعات..مع الإشارة إلى التطور الذي أدخله العثمانيون على الأسماء ومسوغ التسمية بأسماء الوحوش وصفاتها.

المحور الثاني – الكتابات على جدران الغرف والمحلات ومؤخرة السيارات:




حيث أوضح أن معظم هذه الكتابات مأخوذة إما من آيات دينية أو حكم وأبيات شعرية معظمها للشاعر الحلبي زين الدين بن الوردي وإضافة إلى ما يعلق في المحلات التجارية من حيث عدم البيع بالدين أو تحديد الاسعار أو شعار النظافة والتمسك بالصدق وكذلك ظاهرة الكتابة على مؤخرة السيارات.

وأنهى الأستاذ هلال محاضرته بالتوقف عند بعض العبارات التي يطلقها الباعة الذين ينادون بها ويصفون بضاعتهم بها.

## التراث غير المادي بين الأسدي واليونسكو

الدكتور أحمد أديب الشعار أوضح في محاضرته (مفردات التراث غير المادي بين الأسدي واليونسكو) أن حلب تمتلك كنزاً غنياً من التراث غير المادي يتمثل في موسوعة حلب المقارنة للعلامة خير الدين الأسدي، حيث شجعت منظمة اليونسكو توجه الأمم نحو توثيق تراثها غير المادي ودعت إلى اعتباره تراثاً عالمياً وتبلور ذلك في اتفاقية ٢٠٠٣ التي دعت لصون هذا التراث والحفاظ عليه.

وقد طرح الدكتور الشعار في بحثه هذا سؤالين هامين:

الأول - ما هي نسبة تغطية الأسدي الضمني لمفردات التراث غير المادي الحلبي مقارنة مع تعريف اليونسكو؟

الثاني - ما هي الفجوات التي لم يسدها الأسدي والتي لم يغطها أيضاً غيره من الباحثين والتي يفضل توثيقها بسرعة قبل رحيل حاملها ؟

وحـاول البـاحث الإجابـة علـى السـؤالين فاسـتعرض تعريـف اليونسـكو وتعريـف الأسـدي للـتراث غـير المـادي وقـارن بين مفـردات التعريفين مـن خـلال جـدول..وقـد خلـص في بحثـه إلى أن الأسـدي غطـى حـوالي ثلثـي مفـردات تعريف اليونسكو للتراث غير المادي..

## صورة التقاليد الشعبية وكتابة القوشاقجي

الأب جوزيف شـابو قدم ورقة بحثيـة هامـة بعنـوان(صورة التقـاليد الشـعبية في حلـب مـن خـلال كتـاب القوشـاقجي) موضحـاً أن الأب يوسـف قوشـاقجي اهـتم بجمـع الـتراث الشـعبي الحلـبي في كتـاب مميـز يضـم بـين دفتيـه ٢٠٦ صفحـات حافلـة بـالحديث عـن العـادات والتقـاليد والـهنهونات الحلبية الشـعبية سمـاه (الأدب الشـعبي الحلـبي) ثم كتـب في مجلديـن آخريـن الأمثـال الشـعبية الحلبيـة يضمـان ٦٥١ صفحـة تضـم ٥٦٤٥ مثـلاً شـعبياً وتراثيـاً جمعها من كل جولاته ومطالعاتـه وزاد عليـها ملحقـات وأمثـالاً يسـتعملها أهالي ماردين ٨٧٢ مثلاً مترجماً ومفسـراً بايضـاح المعـاني الـتي يقصـد بهـا ضـرب المثـل ثم جمـع واعـد وحقـق في أربـع مجلـدات كبـيرة تضـم (أخبـار حلـب كمـا كتبها المعلم نعوم بخاش).

وتوقـف الأب شـابو بشـكل مفصـل في هذه الكتب التراثية التي لها علاقـة بحلب الـتي تتبـاهى هـي اليـوم كونهـا عـاصمـة للثقافـة الإسـلامية وتحـدث عـن عـادات أهـالي حلـب وتقـاليدهم في ثقافتـهم السمحة ومأكولاتهم وحلوياتهم وأعراسهم وأفراحهم وأحزانهـم وعـن أهـم الطرائـف والثقافـات المميزة والتقـاليد في الأعيـاد والمناسبات التي يحتفل بها أهالي حلب.

## الأبعاد التربوية للمعتقدات الشعبية

الأستاذ محمد كمال أوضح في ورقة بحثيـة تحـت هـذا العنـوان أن المعتقـدات الشـعبية تعـد عنصـراً مـن العنـاصر الأساسـية الـتي تشـارك في رسـم ملامـح الثقافـة العامـة في مجتمـع مـن المجتمعـات على اعتبار كون هذه الملامح مظهراً من مظاهر التراث غير المادي للمجتمع.

المعتقـدات الشـعبية في المجتمـع الحلبي يصنفها الباحث في ثلاث شعب:

١- معتقـدات اسـتوردها الحلبيـون أو تسـربت إليـهم مـن البـيزنطيين أو الأمـم الأخـرى الـتي خالطتـهم (كتعليـق حـدوة الحصـان علـى الأبـواب- والتشـاؤم بـالرقم ١٣).

٢- معتقدات كان الدافع إليها التندر والطرافة ولكنها في بعض الأحيان نتجت عـن الخـوف مـن بعـض الحيوانـات (مثـل الحية).. والخوف من الميت أو الجن.

٣- معتقـدات تربويـة كـان الكبـار يخترعونهـا اختراعـاً لـيزرعوا في نفـوس الناشئة الفضائل والقيم النبيلة إلى جانب الأهـداف السـلوكية والاجتماعيـة الأخـرى كالمحافظـة علـى الصحـة وزرع الرأفـة في النفـوس وتجنـب الإسـراف وحـث المـرأة على رعاية البيت.



## آداب الحديث والاستماع في التراث الحلبي

المهندس تميم قاسمو أوضح في ورقته البحثية هذه أن الحديث والاستماع يشكلان جانباً هاماً من نشاط الإنسان اليومي وهما وسيلته الأساسية للتفاهم مع الآخر حيث تقوم المأثورات العامية من خلال تداولها المستمر بإرضاء أصول وآداب متعارف عليها لهذين النشاطين.

وقد بين الباحث أهمية التخاطب والتواصل الشفهي وأصول وآداب الحديث والاستماع مشيراً إلى أهمية التمهل بالإجابة والإيجاز في الحديث ومستوى الصوت المعتدل والمواجهة أثناء الحديث ونظام التحادث والمشاركة والجرأة والقوة في العرض واللطف في التناول والإشارة دون تصريح، حيث كان للعامية موقف هام في كل جانب من هذه الجوانب وأعطت لكل حالة من هذه الحالات أمثالاً شعبية مازالت خالدة حتى اليوم ويتم تداولها بالأحاديث اليومية سواء الأحاديث الجادة أو التي تتسم بالمزاح.

وتوقف السيد قاسمو عند أصناف الحديث العامي ودرجة موثوقيته حيث صنفها إلى ثلاث مجموعات:

الأولى تضم الحديث الفارغ من المضمون، والثانية تضم الحديث الذي يحتوي على مضمون قابل للتصديق أو التكذيب ويدخل في الحكي والقول.

والمجموعة الثالثة وتضم الحديث الموثوق وتقتصر على لفظ واحد بصيغة المفرد

وقد خلص الباحث إلى مجموعة هامة من النتائج التي تعكس القيمة الثقافية اللامادية في تاريخ مدينة حلب.

## النزوع الديني في المأثورات الشعبية

تحت هذا العنوان تحدث الدكتور محمد حسن عبد المحسن عن الأدب الشعبي في حلب والذي رصد مختلف النزعات التي سيطرت على نفوس الحلبيين، فظهر وازعهم الديني في مأثوراتهم الشعبية لاسيما في إنشادهم الديني بوصفه محركاً ودافعاً للكثير من تصرفاتهم وقناعاتهم واعتقاداتهم.. فمن المعايير التي تدل على ذلك تشابك خيوط ثقافات وعقائد ومساهمات لمختلف الأمم والشرائع السماوية في مدينتهم وتوافر هامش من الحرية الدينية واسع الطيف فيها مغاير لكثير من المدن المحلية والعربية فالموروث الوجداني الحلبي متدين بتكوينه وقد كانت حلب ولاتزال ملتقى الثقافات والأديان ويقوم التسامح الديني السائد بين أبنائها على قبول الآخر وعدم رفضه.

ويؤكد الباحث أن التسامح الديني عند الحلبيين واضح جداً ففي مدينتهم تتجاوز الشرائع السماوية الثلاث ولطالما مدح المسلمون الرسول (عيسى عليه السلام) في أمثالهم ومواويلهم وشدياتهم وقابلهم المسيحيون بمدح الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهم يقفون بالمرصاد لمن يحاول نشر التفرقة الدينية لقناعتهم أنه (لا إكراه في الدين)...

وتحدث الباحث عن مظاهر نزوع الحلبيين الديني وانطلاق نزوعهم الديني من أركان الإسلام الخمسة ارتباط نزوعهم الديني بأنشطتهم المجتمعية، والتقاء نزوعهم الديني مع الشرائع الأخرى.

## اللهجات العامية وشرعيتها اللغوية والتراثية

الباحثة صافية زفنكي: شاركت في ورقة بحثية بعنوان (اللهجات العامية وشرعيتها اللغوية والتراثية- موسوعة حلب المقارنة) للأسدي انموذجاً، أوضحت خلالها أن المعايير المتشددة التي وضعها القدماء قد حرمت مستويات لغوية ومراحل مختلفة من اللغة العربية، ومن اللهجات العامية سواء أكان على صعيد الدراسات أم المعجمات ثم بدأت تسلط الأضواء على هذه اللهجات في العصر الحديث تأثراً بنظريات ومناهج لغوية عدة ظهرت في هذا العصر.

وقد سلطت في بحثها الضوء على واقع دراسة اللهجات العامية في العصر الحديث على المستويين النظري والتطبيقي حيث كان للجوانب النظرية دور هام من خلال عرض المناهج اللغوية الحديثة التي أثرت في تنشيط الاهتمام بالعاميات.

أما الجانب التطبيقي فيظهر في دراسة موسوعة حلب المقارنة لخير الدين الأسدي لأنها رائدة عصرها في تمثلها مناهج وعناصر معجمية حديثة عدة من مثل المنهج المقارن والتاريخي والوصفي والاجتماعي والتعليمي إلى جانب تمثيل نطق المفردات حيث أصبحت هذه

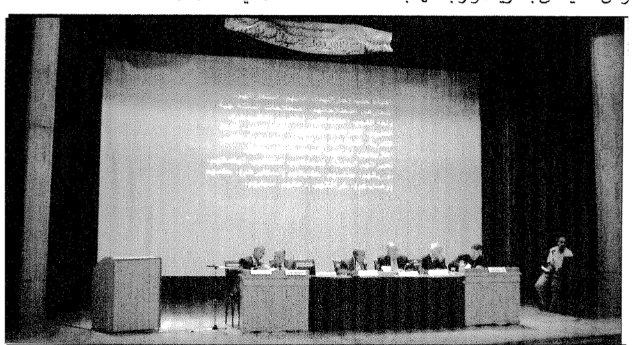
الموسوعة من خلال تعدد مناهجها وتنوع موادها وثيقة مثلت مختلف الجوانب اللغوية والاجتماعية والعمرانية وغيرها لمدينة حلب.

## في رحاب حلب عاصمة الثقافة الإسلامية... ندوة التراث الثقافي اللامادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية تتواصل

واصلت الندوة العلمية الدولية "التراث الثقافي اللامادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية" التي نظمتها الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية وهي تتناول موضوعات هامة حول التراث الشعبي لحلب بأشكاله ومجالاته ومزاياه والأمثال الشعبية ومدلولاتها الاجتماعية والثقافية إضافة إلى الموسيقا الدينية والزوايا والتكايا والطرب والغناء والموشحات والقدود والمؤثرات البيئية في الحركة الموسيقية وكل ما يتعلق بالأزياء وارتباطها بالثقافة والبيئة وعن المطبخ الحلبي عبر التاريخ.

هذه الندوة الهامة التي تعنى بهذا التراث اللامادي تسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف تتلخص في التعريف بالتراث اللامادي ومجالاته وأشكاله - والكشف عن عناصر التراث الثقافي اللامادي في مدينة حلب وأساليب ممارستها من قبل الأفراد والجماعات الثقافية المنتجة لها.. وتحديد آليات لجميع هذا التراث بحلب وتوثيقه ونشره ودراسة إمكانية إحياء التراث الثقافي اللامادي لحلب وإعادة ممارسته من جديد ووضع أولويات للحفاظ على هذا التراث وحمايته من الزوال والاندثار إضافة إلى الاستفادة من التجارب العالمية في الحفاظ على هذا التراث الذي يوثق ذاكرة الشعوب وتجاربه وعاداتهم وتقاليدهم ويحفظ هويتهم الوطنية وذاكرتهم الشعبية.

فحلب التي تمتلك هذا المخزون التراثي الكبير كواحدة من المدن السورية



الزاخـرة بـالتراث اللامـادي تمتـاز بخصوصية تتسم بالثراء والشمولية.. من هنا تأتي الندوة لتعكس قيمة هذا التراث وأهميته وتبين أهمية الحفاظ عليه.

## البيئة والتاريخ في الحكاية الشعبية في بلاد الشام

الأستاذ عبدو محمد قدم ورقة بحثية تحت هذا العنوان أوضح خلالها بأن الحكاية الشعبية ولدت من رحم أحاسيس الناس ومشاعرهم والأحداث التي مرت بهم، وهي قد ولدت لتعبر عن أحاسيسهم ومشاعرهم ومواقفهم تجاه ما مر بهم وما عاشوه وما عاينوه وخبروه ولدت لتنقل خبراتهم وتجاربهم والحكم التي اكتسبوها لمن بعدهم من أولاد وأحفاد فهي والحالة هذه مخزون هائل نستطيع من خلاله استكشاف الأحداث التي مرت والمواقف التي يجب أن نقفها حالياً إذا ما تكررت والأفضل تجنب حدوثه أو وقوعه مرة ثانية فالحكاية الشعبية تربية وإرشاد وتعليم أيضاً ووسيلة لتزجية الوقت وتسلية النفوس فقط.

ويرى الأستاذ عبدو محمد بأن الحكاية الشعبية تحمل افكارها وتوجيهاتها المعنية وتوصلها للناس بهدف زرعها في نفوسهم فهذا ما أراده واضعو الحكاية عموماً.. وفي الأعم الأغلب من الحكايات الشعبية لا نستطيع تحديد مصدر واحد لها فقد تعاقب الرواة على نقلها شفاهاً من جيل إلى جيل.. حاذفين ومضيفين بحسب رؤاهم ومقدراتهم وخيالاتهم ورغباتهم لتصل في النهاية معبرة عن رأي المجموع وليس الفرد

## تراث الأمثال الشعبية ولهجاتها في الشام

الأستاذ عبد الرحمن بيطار بدوره تحدث عن تراث الأمثال الشعبية واللهجات التي تلفظ بها أهل بلاد الشام فأشار إلى ان مدينة حلب مدينة شامية عاشت في صلب العصور الإسلامية وكان من لهجتها الشامية وأمثالها الشامية بنكهة حلبية مثلما كان الوضع في كل مدينة شامية وهذا بالطبع نتيجة تأثير البيئة المحلية وأنواع السكان والنشاط والعلاقات.

وقد افرز مرور الزمن والتطور الحضاري والأوضاع السياسي الخرافات في لفظ اللغة الواحدة سميت لهجات أو لغات عامية وكذلك افرزت أمثالاً بلهجة عامية إضافة إلى الأمثال العربية المتوارثة، كما افرزت عادات واقوالاً جديدة تحتاج إلى التسجيل والتدوين بشرط ان تكون ظاهرة تستحق ذلك ليطلع عليها اللاحقون ويستفيدوا منها أو بهدف المحافظة عليها أو لمعرفة تاريخ التطور الثقافي.

ويشير الأستاذ بيطار إلى ان عدداً من الكتاب تصدوا إلى تدوين الأمثال الشعبية العامية في كل مدينة، وهي بكل الاحوال لا تختلف بين مدينة واخرى في بلاد الشام الا بلفظها حسب لهجة السكان المحلية وصدرت كتب كثيرة في السنوات

الاخيرة اغرق بعضها في تسجيل اللفظ العامي مكانة لا تقبل التصحيح أو قائله يطلب ذلك مع ان الكلمة نفسها يمكن أن تختلف من فم إلى فم من مخرجها. وكأنه أيضاً يعمل على تثبيت الخلافات والفروق بين أبناء الإقليم الواحد والأمة الواحدة.

وقد سلط الباحث الضوء على رؤيته حول إيجابيات وسلبيات كتابة ودراسة الأمثال الشعبية في بلاد الشام.

## الطفولة المبكرة في التقاليد الحلبية

الدكتور محمد سعد الشايب قدم ورقة بحثية بعنوان "العاب وتربية الطفولة المبكرة في التقاليد الحلبية من وجهة نظر طبية" أوضح فيها ان حلب كانت ولا تزال من اكثر الحواضر والمدن اهتماماً بالطفل ورعايته، ولا ادل على ذلك من مقارنة الكلمة التي يتغزل بها أهل هذه المدينة بالطفل بقولهم "ابوس روحك" أو "تقبر عضامي" مقارنة مع أهل غيرها من المدن كقوله (يا كبدي).. أو غيرها.. وشتان بين الروح والجسد بعد فنائه وحتى قلبه..

التقاليد الحلبية التربوية تظهر لأول وهلة وكأنها عفوية لكن عند دراستها وتحليلها بعمق والتركيز على العاب الأسرة مع الطفل عموماً والكل خصوصاً -يقول الباحث- نرى أنها تقوم بدور بالغ الأهمية من الناحية الطبية سواء الجسدية أو غير الجسدية فهي تساهم في تنمية الجهاز العصبي وتهيئته حساً وحركة وانفعالاً عدا دمج الطفل اجتماعياً.

يركز الدكتور الشايب في بحثه على أهم مرحلة من مراحل الطفولة، وهي مرحلة الطفولة الأولى.. وما حول سن الحبو حيث يكون الطفل في اكثر مراحل



عمره وداعة وجمالاً، خلقاً وخُلقاً ويتعلق فيها الأهل بالطفل اكثر من أي وقت آخر.. غزلاً وغراماً ومحبة.. لدرجة ان امتحان ابي الانبياء ابراهيم عليه السلام كان في ابنه اسماعيل.

ويؤكد الدكتور الشايب ان من النقاط المهمة أيضاً هي دور الالعاب والانشطة التربوية والتراثية المحكية غير المكتوبة هي حول المشي والكلام والحواس والأسنان والانسجام العضلي العصبي والتوازن والتطور النفسي والفكري عند الطفل.

## التاريخ الشفهي في الجزيرة السورية

الأستاذ محمد السموري القادم مع نفحات الجزيرة السورية النابضة بالتراث والحياة قدم ورقة بحثية حول التاريخ الشفهي في الجزيرة السورية فأوضح ان العرب عرفوا منذ القديم التاريخ الشفهي الذي يعتمد روايات شهود العيان وهي الطريقة البدائية البكر لمحاولة معرفة الزمن حيث امتلك العرب أدوات معرفة الزمن والوقت لان البيئة العربية ذات الامتداد الصحراوي اللا متناهي قد منحت الإنسان العربي أو اخضعته لأدواتها المعرفية واهمها التخيل الذي من شأنه التأسيس لخلق منظومة من جملة الأدوات المعرفية اللاحقة كالتأويل والرمز والحفريات المعرفية في مجال الزمن، وقد أرخ العرب الأحداث المهمة النادرة كالظاهرات الطبيعية من خسوف وكسوف وفيضانات وبراكين وزلازل وأرخوا الأحداث الإنسانية كالحروب والموت والزواج والسفر وحيث لم تكن العرب دولة واحدة كشبه الجزيرة العربية ولم يكن لديهم عادة كتابة التاريخ لغياب الأسباب والدواعي الملحة لذلك فكانت الاشعار التي تتحدث عن معركة أو بعض الخصال تفي بالغرض لحدود الذاكرة الموظفة بمسألة توكيد الذات الفردية أو الجماعية.

## وصايا وحكم صحية شعبية في حلب

الدكتور عبد الناصر كعدان يوضح في محاضرته وصايا وحكم صحية شعبية في حلب ان الأمثال والحكم الشعبية من اكثر فروع الثقافة الشعبية اكتنازاً أو ثراء، وفي معظم الحالات يجسد المثل الشعبي تعبيراً عن نتاج تجربة شعبية طويلة تخلص إلى عبرة وحكمة وتؤسس هذه الخبرة نصيحة على سلوك معين ومجموعة الأمثال والحكم الشعبية على تنافر بعضها مع بعض في كثير من الحالات تكون ملامح فكر شعبي ذي سمات ومعايير خاصة، ففدت جزءاً مهماً من ملامح الشعب وقسماته واسلوب عيشه ومعتقده ومعاييره الاخلاقية.

ويضيف الدكتور كعدان بأن الأمثال والحكم الشعبية الحلبية مجرد شكل من اشكال الفنون الشعبية والمثل الشعبي يوثر اعظم الاثر في مسار الامور وفي سلوك الناس، فالمعنى والغاية يجتمعان في كل أمثال العالم، وهذه الأمثال والحكم وان اختلفت في تركيب جملها أو في صلاحها أو مدلول حكمتها أو سخريتها، فهي كتاب ضخم يتصفح فيه



القارئ اخلاق الامة وعبقريتها وفطنتها وروحها.

ومن الملاحظ ان الكثير من الأمثال والحكم الشعبية الحلبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالصحة والوصايا الصحية بل ان بعضها ينطوي على مضامين تعتبر بالغة الدقة والمصداقية من الوجهة الطبية الحديثة، ومثال ذلك: اتغدى واتمدى ولو دقيقتين واتعشى واتمشى ولو خطوتين - فطار مع ملك وتغدى مع وزير - وتعشى مع شحاد - الولد إذا بكا.. يا من جوع يا موجوع).

## الموال الديني في حلب

الأستاذ حسن خياطة يؤكد ان المواويل الحلبية نوع من التراث الشعبي لها اصول مرعية وتقاليد متبعة تعكس الوجه الفني للابداع الشعبي.. بما تنطوي عليه من مهارات لغوية فائقة وتصوير تخييلي أخاذ.. كما تعكس الوجه الاجتماعي لهذا الإبداع لما فيه من اصداء معتقدات المجتمع وتطلعاته، وهمومه النفسية والفكرية.

المواويل الدينية اصدق المواويل عاطفة وأوسعها شمولاً وأغناها موضوعات تناولت التوحيد والتبتل والتوسل والدعاء وفضل رسول الله (ص) وفضل مديحه ومديح غيره من الرسل عليهم السلام، ومنها مدائح أهل البيت والصحابة الكرام ومنها في الحث على تقوى الله والقيام بالفروض الدينية ومنها ما تعرض لذكر معجزات الرسول (ص) واداء فريضة الحج والعمرة وغيرها.

ويشير الأستاذ خياطة إلى انه من اجمل ما يتميز به ناظمو المواويل الدينية في حلب ذلك التسامح الديني فقد كان المسلمون يمدحون عيسى عليه السلام ويقابلهم المسيحيون بمدح الرسول محمد (ص) وفي ذلك الكثير مما هو مخزون في مجموعات كثيرة في الاحياء القديمة من مدينة حلب.

## الإنشاد الديني في الزوايا الصوفية

السيد مسعود نجيب خياطة يقدم في ورقة بحثه معلومات هامة عن الإنشاد الديني في الزوايا الصوفية الحلبية فيشير إلى ان الشعر الصوفي هو ارقى انواع الشعر اذ ان علاقته ارفع من الدنيويات كذلك فالإنشاد الديني غايته من اسمى الغايات لا سيما اذا كان مرتبطاً بذكر الله تعالى - وهذه هي الحال في الزوايا الصوفية عامة، اما الزوايا الصوفية في مدينة حلب مدينة العلم والادب والفن والطرب، فالإنشاد فيها له تناغم عجيب بين الذاكرين والمنشدين، وانسجام غريب في صفوف المريدين السالكين، وهذا كله يعود لأولئك الأساطين الذين نظموا هذا الأمر بدقة بالغة، واحكموا، بصورة سائغة فغدت به اللوحات الفنية مزدانة بالسمو الروحي وبالهيام ملآنة.

## اثر البيئة في الحركة الموسيقية في حلب

تحت هذا العنوان تحدث الأستاذ عبد الكريم رجب فأشار إلى ان البيئة المحيطة بالفرد تعد المؤثر الأكبر في نتاجه الفكري والثقافي عبر العصور، وقد كان للبيئة أثرها الملحوظ على النتاج الفني الذي تميزت واختصت به مدينة حلب فغدت رائدة في مجال الفن والموسيقا والغناء والطرب..

ويرى بأن العناصر البيئية الحلبية التي أثرت بشكل مباشر وغير مباشر في الحركة الموسيقية تتحدد في جملة من الجوانب: منها ما ارتبط بطبيعة المناخ المعتدل الذي تتجلى فيه الفصول الأربعة بوضوح مما له أثره على النفوس، ومنها الحياة الاجتماعية ومظاهرها المعيشية الحلبية وعادات أهلها الذين اهتموا بالزوايا والتكايا وحلقات الذكر المرتبطة



بالتصوف الذي نشطت حركته في زمن المماليك، فضلاً عن ازدهار المديح النبوي الذي كان ينشد في المناسبات الدينية كالمولد والاحتفالات في مواسم الحج وغيرها.. كذلك كان للحركة الشعرية وخاصة الفنون الادبية المستحدثة كالموشحات والمخمسات وغيرها من تلك الفنون اثرها الكبير على الموسيقا.

ومن عناصر البيئة الحلبية التي أثرت في الحركة الموسيقية أيضاً يرى الأستاذ رجب أن الموقع الجغرافي للمدينة له اثر بالغ في هذا الجانب الأمر الذي أدى إلى تأثرها بموجات ثقافية متنوعة الجنسيات فتحت آفاقاً واسعة للحركة الفنية بحلب.

## تكية المولوية وثقافة المولوية في حلب

الأستاذ (سيزائي كوتشوك) من تركيا قدم ورقة بحثية بهذا العنوان تضمنت محورين اساسيين:

- الاول: تاريخ تكية المولوية في حلب
- الثاني: يشرح مساهمتها في الحياة الثقافية بحلب

ويرى الباحث بأنه وبعد وفاة جلال الدين الرومي انشئت تكية المولوية في قونيه وسرعان ما انتشرت التكايا في الاناضول والمناطق الإسلامية الأخرى.

ومن أهم التكايا المولوية.. يرى الأستاذ كوتشوك بأنها هي التي انتشرت في حلب وبقيت لمدة خمسة قرون من اهم مراكز الثقافة والفن فيها، حيث انتشرت طريقة لباس المولوية وموسيقاهم وأشعارهم..

ويرى بأن التكية في حلب قامت بدور معهد الموسيقا والفن كما انها رفدت المطبخ الحلبي ببعض من عناصره.

## اصداء أندلسية في حلب

الأستاذة الدكتورة مهجة الباشا تحدثت حول هذا المحور فأشارت إلى ان الأندلسيين تعلقوا بالمشرق تعلقاً شديداً فلم يكتفوا بمتابعة أخباره. ودعوة علمائه ومفكريه واقتناء ما يصدر عنه من مؤلفات ونفائس، بل شدوا إليه الرحال غير مبالين ببعد المسافة، يحدوهم الشوق إلى وطنهم الأصلي والأمل في تحصيل العلوم المختلفة على يد أساطين العلم والمعرفة فيه.

وكانت مدينة حلب إحدى العواصم الإسلامية الثقافية التي شدت إليها الأندلسيين بتراثها العريق وشيوخها الأجلاء فقصدوها طامعين في تحصيل العلوم على يد شيوخها أو في مكانة عالية عند ملوكها، مؤثرين ومتأثرين بثقافتها وحضارتها..

وتوقفت الدكتورة الباشا عند محاور هامة حول:

- تعلق الأندلسيين في الشرق ودوافع هذا التعلق - ورحلة الأندلسيين إلى المشرق - وعند حلب كعاصمة من أهم العواصم الثقافية التي قصدها الأندلسيون إضافة إلى أعلام الفقه والشعر والفحول للأندلسيين في حلب ودورهم الثقافي غير المادي في الأندلس وفي حلب.

## الموشحات الأندلسية

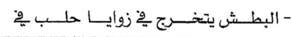
## عمر البطش أنموذجاً

الدكتور محمود المصري شارك في هذا البحث فتساءل عن هذه الموشحات وهل هي تطور للشعر المسمط والمخمس المشرقي نمقه الأندلسي، وتساءل أيضاً: هل هي تطور شعري جاءت به حضارة الأندلس تلبية لحاجات حضارية ؟

وهل هناك خصائص تميز بها الموشح الحلبي عن غيره من الموشحات؟

الدكتور المصري في بحثه أجاب على هذه التساؤلات من خلال أعمال الشيخ عمر البطش في إطار محاور متعددة هي:

- الموشحات تحرير الكلمة من اجل اطلاق النغم.



- رحلة الموشحات بين المشرق والمغرب.
- خصوصيات الموشح الحلبي.
- البطش يتخرج في زوايا حلب في الموشحات.
- عمر البطش الإنسان المبدع.
- الخلفية الثقافية للموشحات التي لحنها البطش.
- التلوين الموسيقي في الموشح عنده.
- التوازن بين التفريد والجماعي في موشح البطش.
- توثيق أعماله..

## زغاريد الأعراس في بلاد الشام

تحدثت الدكتورة كارين صادر تحت هذا العنوان فأوضحت انه موضوع جديد طريف في مادته ومبهج في تأثيره، فالباحثة قطفت من شفاه السيدات العجائز هذه الزغاريد خوفاً من ان يطوي الزمن صفحة عليها، فنفقد بفقدها جزءاً من ذاكرتنا الجمعية وصورة حية من صور حياة أجدادنا موشاة بتفاصيل من حياتهم وتقاليدهم واعرافهم وترجيعاً لصوت افراحهم المعتقة.



وتناولت الدكتورة صادر محاور عديدة منها:

- تقاليد العرس التقليدي في عدد من مناطق بلاد الشام.

- قصة العرس التقليدي في حلب من خلال لوحتين تعودان إلى ما قبل الميلاد.

- أهمية الزغرودة ودراستها من حيث المبنى والمعنى..

- ومقتطفات من الزغاريد التي تقال للعروس والعريس في بلاد الشام عامة وحلب خاصة..

- ومقتطفات من الزغاريد التي تقولها أم العريس في بلاد الشام عامة وحلب خاصة..

## فنون الغناء في حلب

الزميل أحمد بويس قدم ورقة بحث هامة حول فنون الغناء في حلب فأوضح انه إذا كان قد تم اختيار حلب عاصمة للثقافة الإسلامية للعام الحالي فلأنها ذات تاريخ عريق يمتد في أعماق الزمن فهي مهد للعديد من الحضارات التي قامت على أرضها. ولعل فنون الموسيقا والغناء كانت اكثر وضوحاً في هذه الخصوصية التي تمتعت بها حلب في فنونها وثقافتها وتكاد تكون حلب المدينة العربية الوحيدة التي تميزت بألوان خاصة من الغناء لا تشابهها في ذلك اية مدينة عربية اخرى.

ويوضح الأستاذ بويس ان حلب اشتهرت بثلاثة من فنون الغناء: هي: القدود الحلبية والموشحات وما ارتبط بها من رقص السماح وثالثها فاصل: اسق العطاش.

## الممارسات المتصوفة في حلب

الدكتور ابو الهدى الحسيني يقول في محاضرته ان في حلب كثيراً من الطرائق الصوفية كما يقول الغزي والطباخ وغيرهما منها القادرية والرفاعية والدسوقية والنقشبندية والبدوية والخلوتية ومن عهد قريب اضيفت اليها الشاذلية، فكانت تفوح من بعضها الطيوب والاذواق الصوفية كما تتخلل بعضها ممارسات السلوكية المتصوفة ويغلب عادة على الصوفي الخفاء والسكون لان المعرفة كنهها السكون.. ويغلب على المتصوف الاشتغال بالطقوس والتدقيق في الرسوم العملية الظاهرة.

ولما كان الصوفي كأساً امتلأ باطنها ذوقاً ومعرفة فقد صار من العسير وصفه فما كانت الأقلام قادرة على ان تشق القلوب أو تنقب في الصدور اما المتصوف فطقوسه شهيرة وحركاته كثيرة..

في هذا البحث يسلط الدكتور الحسيني الضوء على بعض الممارسات الصوفية في حلب مشخصاً ودراساً وباحثاً عن الصلة بين أصولها وما تفرع عنها من الفروع.

## صبري مدلل والإنشاد الديني بحلب

الأستاذ محمد قدري دلال قدم بحثاً غنياً عن الحاج صبري مدلل والإنشاد الديني الذي نشأ منذ طفولته محباً للموسيقا وحاملاً للتراث الغنائي الديني والغزلي الذي اختزنه في ذاكرته حفظاً توفر له بالسماع أو تلقياً عن أساتذته وعلى رأسهم الحاج عمر البطش..

الأستاذ دلال أبحر في الحان شيخ المطربين وقوالب أعماله اللحنية وقام بتحليل العديد من الموشحات.

وتحدث عن مسيرة حياته الفنية وشهرته كمطرب عربي كانت له أصداء كبيرة بدأت من سورية وانتشرت إلى أصقاع المعمورة.

وقد أوصت ندوة التراث الثقافي اللامادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية التي رعتها وزارة الثقافة ونظمتها الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية بوضع منهجية فاعلة للتعريف بالتراث غير المادي الموجود في سورية والذي يعبر عن اصالة الثقافة العربية وتميزها وخصوصيتها الزمانية والمكانية وتحديد آلية مناسبة لجمع هذا التراث وتوثيقه وتصنيفه تبعا لأهميته في الذاكرة الجماعية وحسب الأولوية.

وشددت التوصيات التي تلاها الدكتور علاء الدين لولح رئيس اللجنة العلمية في الجلسة الختامية للندوة أمس على ضرورة إعداد قائمة وطنية لعناصر التراث الثقافي غير المادي والتركيز على العناصر المهددة منه بالزوال واتخاذ التدابير اللازمة لصون هذا التراث وإدراج عمليات الصون في البرامج التخطيطية للدولة وإدخاله في برامج التعليم النظامي في المراحل المختلفة وتفعيل دور الإعلام





في التعريف بأهمية هذا التراث بوصفه مكوناً أساسياً للهوية الثقافية الوطنية وإعداد برامج توعية وطنية وإصدار مجلة متخصصة بالتراث غير المادي.

أكدت التوصيات على ضرورة توثيق أشكال وعناصر التراث الثقافي بحلب ونشره على المستوى المحلي والدولي وإعادة طباعة موسوعة الأسدي بشكل رقمي لتسهيل تداولها بين الباحثين إضافة إلى تسجيل القدود الحلبية كتراث ثقافي لامادي على الصعيد الإنساني ومخاطبة منظمة اليونسكو لإدراجه في قائمة التراث وترميم وإعادة تأهيل جامع وتكية المولوية في حلب ورصد الإمكانات المادية اللازمة.

وكان السيد محمد قجة مدير الأمانة العامة للاحتفالية قد ألقى كلمة أكد فيها على أهمية المخزون التراثي لمدينة حلب والتنوع الثقافي الكبير الذي تمتلكه هذه المدينة والذي يتسم بالثراء والشمولية.

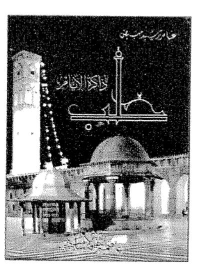
هذا وقد قام السيد عبد القادر جزماتي نائب رئيس المكتب التنفيذي لمجلس المحافظة بتوزيع دروع الاحتفالية وشهادات التقدير على الباحثين والمشاركين.

## حفل فني غنائي

التقت فنون الطرب الحلبي في حفل فني غنائي أقيم في إطار احتفالات حلب عاصمة الثقافة الإسلامية وبرعاية الدكتور المهندس تامر الحجة محافظ حلب أحيا الحفل الفنان صفوان العابد وفرقة نادي شباب العروبة. قدمت مقطوعات كلثومية بصوت المطربة رانيا بسام التي استمتع الحضور بأدائها الجميل لأغاني أم كلثوم، كما قدمت في الحفل أيضاً لوحة المولوية. لأما الفنان صفوان العابد فقد قدم "مضناك جفاه مرقده" و"صوت السهارى" و"قدك المياس" و"علّي جرى" وعدد من المقطوعات الجميلة مختتماً بأغاني أم كلثوم. يذكر أن هذا الحفل أقيم على هامش خاتمة الندوة العلمية التي أقيمت حول التراث اللامادي.

# كتب صدرت بمناسبة الاحتفالية وأُخرى وُزِّعَت على الباحثين والمؤرّخين*

### ١ـ حلب ذاكرة أيام




❖ تأليف عامر رشيد مبيض.

❖ التنفيذ الطباعي: دار القلم العربي ٢٠٠٦ وذلك على نفقة المؤلف ومؤازرة السيد المفتي العام للجمهورية أحمد بدر الدين حسون.

يتضمن الكتاب مجموعة كبيرة من الصور الوثائقية بالغة الأهمية في كتابه التاريخ فالصورة بالنسبة للتاريخ هي حقيقة مطلقة لا تقبل التأويل. وقد ارتأى الباحث إلى نشر هذه الصور في كتاب خاص يوثق لحلب بالصورة والكلمة. وكما يقول المؤلف فإن هذا الكتاب هو أول متحف متجول عن مدينة حلب يضم ذاكرة المدينة الحضارية

❖ عدد الصفحات: ٣٨٤ من القطع الخاص



### ٢ـ شعراء النزعة الشعبية في العصر العباسي




❖ تأليف: أحمد الحسين

❖ من منشورات وزارة الثقافة. دمشق ٢٠٠٦

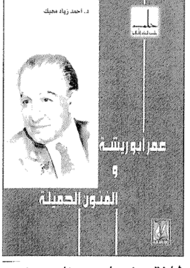
تضمن هذا الكتاب دراسة تسعى إلى تسليط الضوء على بعض شعراء النزعة الشعرية التي ظهرت في العصر العباسي وذلك من خلال تناول ٤ شعراء هم أبو الشمقمق، الأحنف العكبري وأبو جلف الخزرجي، أبو العبر الهاشمي.

وذلك بهدف الإحاطة بمفهوم النزعة الشعبية والوقوف على دلالاتها بصفتها تمثل تغيرات طرأ على منحنى الشعر العباسي واتجاهاته العامة وقد أعتمد المؤلف في هذه الدراسة على المنهج التكاملي في البحث والتحليل.

❖ عدد الصفحات: ٢٠٧ من القطع المتوسط.

* م. ولاء كنيفاتي - أسامة خربوطلي، علاء كاشور؛ كلية الآداب، قسم الآثار، جامعة حلب.

### ٣ـ عمر أبو ريشة والفنون الجميلة:




- تأليف: د. أحمد زياد محبك
- من منشورات وزارة الثقافة، دمشق ٢٠٠٦

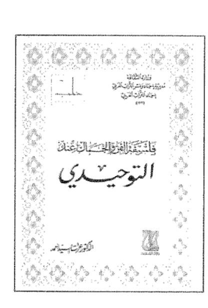
يعتبر هذا الكتاب دراسة لظاهرة متميزة عني بها الشاعر الكبير عمر أبو ريشة وهي صلة الشعر بالفنون الجميلة وقد عني الكتاب برصد هذه الظاهرة في شعر هذا الشاعر الكبير واكتشاف أبعادها الفكرية وأعماقها النفسية وعمل على ربطها بثقافته بقدر غير قليل من الممارسة النقدية المقارنة التي تسعى إلى تلمس أبعاد الخبرة الإنسانية وأشكال التعبير عنها.

وخلص الكتاب إلى أصالة هذه الظاهرة في شعر الشاعر وانطلاقه فيها من ذاته رغبة منه في التجديد والتعبير عن نزوع صوفي يرى الجمال في الفنون وينزع من خلالها للتعبير عما يقلقه وهو الصراع مع الزمن والبحث دائماً عما هو كلي ومطلق بعيداً عما هو عابر ومؤقت في طموح إلى الخلود وتحقيق الصفاء والنقاء.

- عدد الصفحات: ٢٠٨ من القطع المتوسط

### ٤ـ فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي

- إعداد: د. عزت السيد أحمد
- من منشورات وزارة الثقافة دمشق ٢٠٠٦.

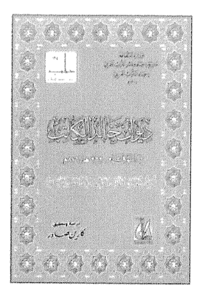



يتحدث هذا الكتاب عن أبي حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء أحد أبرز واضعي أسس علم الجمال العربي، وأهم مفكر في تاريخ فكرنا وأدبنا.

وتضمن الكتاب العديد من المحاور ابتداء باسمه ونسبة إلى المصادر التي نهل التوحيدي من معينها فكره الجمالي إلى الأسس القيمة التي أعطت للجمال خصوصية ثم جدلية العلاقة الجمالية وانتهاء بخصائص أسلوب التوحيدي الجمالية.

- عدد الصفحات: ٣٢٨ من القطع الكبير.

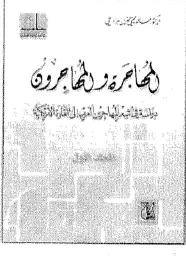
٥ـ ديوان خالد الكاتب أرق شعراء الغزل في العصر العباسي



- تأليف: ابن العديم.
- دراسة وتحقيق: كارين صادر.
- من منشورات وزارة الثقافة دمشق ٢٠٠٦.

هذا الكتاب دراسة شاملة لديون خالد الكاتب حاولت فيه كارين صادر نسخ مخطوطات للكاتب ثم شرح ماغمض من ألفاظها وتخليص الشعر من أسقامه وعلله النحوية والإملائية وتصحيفاته وتحريفاته ثم أشارت إلى سائر الأخطاء النحوية والإملائية والقروضية كل في موضعه وأبقة على عدد من الألفاظ والتراكيب الغامضة والمغلوطة التي استعصت عليها

٦ـ المهاجرة والمهاجرون: دراسة في شعر المهاجرين العرب إلى القارة الأمريكية




- تأليف: د. خالد محي الدين برادعي
- من منشورات وزارة الثقافة دمشق ٢٠٠٦

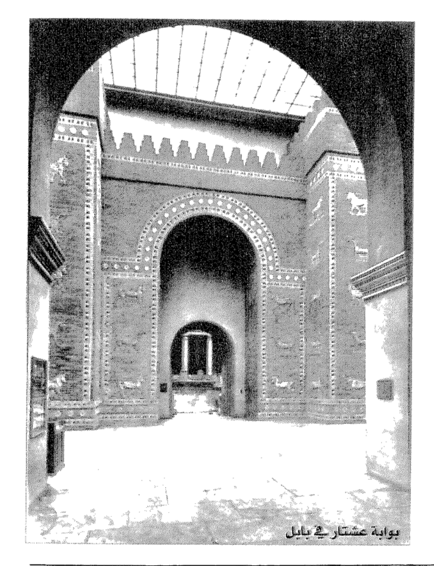
تناول هذا الكتاب طوال ١٣٠٠ صفحة كل ما خلفه شعرائنا المهاجرون في القارة الأميركية شماليها وجنوبيها وقد بحث المؤلف في كل ما لهذا الشعر من نقد ونصوص منذ أواخر القرن ١٩ حتى نهاية السنوات الأخيرة من القرن الماضي، وقد أفرد المؤلف في فصل من فصول الكتاب لعرض جملة الكتب التي تناولت شعر المهاجرين وكانت ٢٠ مؤلفاً عرضها بأسلوب شائق ومكثف وقد تجاوز عدد شعراء الكتاب ٧٠ شاعراً مهاجراً ومن أهم الحالات التي تناولها هذا الكتاب دراسة كل شاعر منفرداً مع تحديد قيمته الفنية بحيادية وموضوعية بالإضافة إلى العديد من الدراسات الأخرى التي ضمنها الباحث في الكتاب وكل هذه الحالات والدراسات جاءت متدفقة بأسلوب شاعرنا السلس الجذاب في بلغته الشعرية العذبة والبليغة.

- الكتاب في مجلدين م ١: ٦١٩ م ٢: ٦٨١ من القطع الكبير.

# الحفاظ على الموروث المعماري

## بين النظرية والتطبيق

قبيلة المالكي *


بوابة عشتار في بابل

### التراث والتواصل:

للتراث الحضاري ومنه التراث العمراني والمعماري القدرة على التواصل عبر مراحل التاريخ مما يجعل من إحياء التراث والحفاظ عليه وصيانته وإعادة تأهيله خطوة في طريق التقدم العلمي المعاصر إلى جانب كونها تجربة متميزة لتأصيل القيم الفنية والفكرية بعد اكتشاف المضامين والقيم المبدعة فيها على مستوى المدينة أو المبنى المنفرد.

### الموروثات والعصر:

إن المدن والأبنية التي نطالب بالمحافظة عليها في الوقت الحاضر كآثار معمارية سبق وأن شيدت لهدف معين حددته الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية...الخ، وما طرأ من تغيرات عليها بفعل الزمن يتطلب

* دكتوراه في الهندسة المعمارية، أستاذة في جامعة القلمون.

مراعاته ونحن نعيد الحياة إلى هذه الأبنية ونغيرها ونضيف ونحذف منها دون أن نفقدها روحها الماضية وصورتها الآثارية التراثية التي خلدتها وبالتالي فلا بد من اختيار وظائف جديدة تتناسب مع قدم البناية وتتجاوب مع متطلبات العصر مما يستوجب صيانتها وترميمها بما يتلاءم ووظيفتها الجديدة.

**إحياء الأثر:**

وفي الحقيقة لا يمكن وضع تصور خاص لترميم وصيانة وإحياء الآثار المعمارية وإعادة تأهيلها دون البحث بالإمكانيات اللازمة لتكييفها واستعمالها تبعا للتصميم المعد ويتطلب إحياء وإعادة تأهيل هذه المآثر تقريب الوظيفة الجديدة من القديمة إلى أبعد الحدود الممكنة وتكون الغاية لعملية الصيانة والترميم هي إحياء شكل المبنى الأصلي وجعله واضحا مقروءا من قبل الزوار.

وتعتبر أعمال الصيانة والترميم غير العلمية للأبنية، أحد أهم أسباب الإضرار بالأبنية التراثية، خاصة إذا كانت لا تعتمد على وثائق تاريخية وتتم على يد أشخاص غير متخصصين، وتؤدي بالنهاية إلى تشويه الحقائق التاريخية للمبنى.

إن النقص الدائم للأبنية التراثية وزوالها مع مرور الزمن يدعو إلى الاهتمام بالموروث والحفاظ عليه من خلال صيانته وإعادة تأهيله إلى جانب وضع الاستلهام من الماضي وتوافقه مع العصر أساسا نستند له ونحن نعمر بيئتنا المعاصرة..

**لماذا نحافظ على موروثاتنا المعمارية والعمرانية؟**

- ❖ التراث أدى وما زال يؤدي دوراً مهماً في عملية البناء الوطني.
- ❖ التراث وسيلة لإنعاش المجتمعات فكرياً وثقافياً وفنياً وصحياً.
- ❖ التراث وسيلة تثقيف وتعليم للمجتمع المحلي أو الخارجي
- ❖ والتراث يستنفر المجتمع للالتفات للبيئة والاهتمام بها حاضراً ومستقبلاً.
- ❖ كما أن التراث وسيلة للتعرف بالشعوب وعاداتهم وتقاليدهم وتأريخهم وحضارتهم.
- ❖ والتراث مجال واسع للدراسة والبحث في الوثائق التاريخية.

**ما هو الحفاظ:**

وقد عرف الحفاظ بأنه (الإجراءات التي تكفل حماية الخصائص المعمارية والتاريخية للمناطق والأبنية القديمة ذات الأهمية البالغة، متمثلة بإصلاح أو إزالة علامات التآكل والتهرؤ وتأمين معايير مقبولة لحماية الفضاءات المفتوحة والساحات العامة).

كما يعرف بأنه (صيانة المناطق الحضرية أو المباني التي تتمتع بواقع عمراني جيد، على أن ترتبط عمليا مع استعمالات الأرض ومتطلبات الكثافة السكانية للمنطقة ككل، مع تحسينات عامة تؤكد كفاءتها واستمراريتها الوظيفية).

كما يفهم الحفاظ الحضري بأنه (عملية تهتم بنوعية البيئة الحضرية، بوضع برنامج لحماية المدن والمناطق الحضرية وإبعادها عن التلوث البيئي والبصري).

وعليه لابد أن نحافظ على الموروث، ولكن كيف نحافظ على الموروث؟؟؟

**يتم الحفاظ من خلال مستويات مختلفة اعتمادا على:**

- ❖ حالة المبنى
- ❖ والعوامل التي أدت الى تدهوره

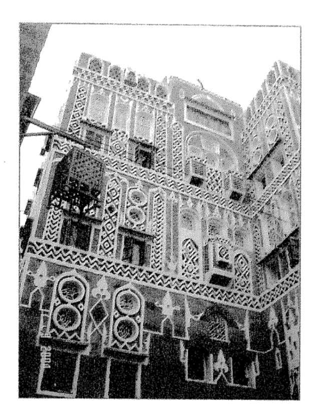
## سياسات الحفاظ على الخزين الحضري والمعماري الموروث

تتفق أكثر المصادر على جعل سياسة الحفاظ على الخزين الحضري والمعماري الموروث متضمنة جانبين:

الأول ويعتمد مختلف العمليات الإبداعية التي تهدف إلى تطوير وزيادة جمالية وكفاءة الوحدات التخطيطية الموروثة معماريا ووظيفيا، وذلك يستدعي أجراء تحويرات داخلية أو خارجية مع تحسين الخدمات والبنى التحتية وفق الوظيفة التي يراد من الوحدة التخطيطية (أو المبنى الموروث) أن تقدمها بعد الحفاظ عليها. مع الأخذ بنظر الاعتبار أمكانية تبديل الوظيفة أكثر من مرة، وهنا تجدر الإشارة إلى أن شكل ونمط قطع أرض الوحدات الموروثة وفضاءات الشارع عنصرين يتصفان بالثبات مقارنة مع الوحدات المعمارية نفسها وطرزها، مما يجعل مناطق الخزين الموروث غنية بالتراث التخطيطي وأن تبدلت وحداتها المعمارية.

الجانب الثاني من سياسة الحفاظ على الخزين الحضري العمراني والمعماري الموروث فيهتم بمعالجة الوحدات التخطيطية التي تقام حديثا وبطريقة لا تجعلها تتنافر أو تسيء إلى الخزين الموروث.

إن كل ما تقدم يؤكد ضرورة الحفاظ على الموروث والذي لا يتعارض في مضامينه مع احترام العصر والتناغم معه ما دمنا لا نتنكر لتراثنا وتاريخنا وموروثاتنا.



مبنى تقليدي في صنعاء القديمة

- ❖ والوظيفة المستقبلية المطلوبة منه.

وهذه المستويات هي وبشكل موجز، وكما يقسمها البروفسور (Bernard Feilden) في مقالته "The principles and methodology of conservation". هي:

- Prevention منع التهرؤ.
- Reservation البقاء.
- Restoration الصيانة.
- Consolidation التقوية.
- Reconstitution إعادة التشكيل.
- Adaptive Re-use التكيف لاستعمال جديد أو Rehabilitation إعادة التأهيل.
- Reproduction إعادة الإنتاج (الاستنساخ Replication).
- Reconstruction إعادة البناء (أمر إعادة تجديد البناء).

## آليات الحفاظ وإعادة تأهيل التراث العمراني والمعماري

هناك خطوات إجرائية لآلية الحفاظ عندما نكون أمام موقع حضري تراثي (أو ربما مدينة تاريخية) مرشح للحفاظ conservation وإعادة التأهيل rehablitation فأننا وكما أجمعت المؤسسات الثقافية والتعليمية والمنظرون والمهتمون بالحفاظ على التراث لابد لنا من:

خلق حالة تكاملية تناغمية في النسيج العمراني بين المنطقة القديمة والحديثة.

إيقاف مد الفقدان والضياع والاندثار في البيئة التراثية الحضرية والمعمارية في خطوة للحفاظ على الشواخص العمرانية والمعمارية الموروثة.

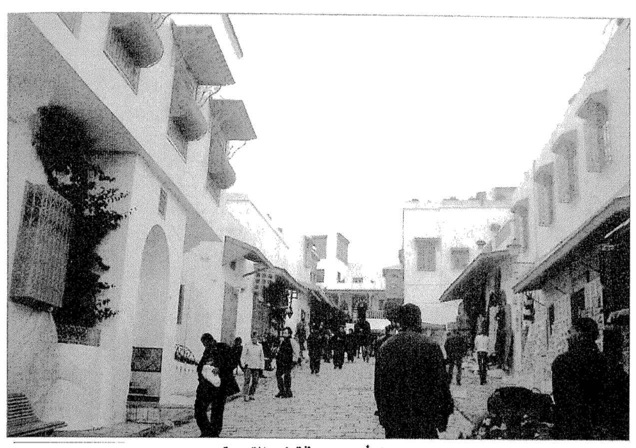
اختيار وظائف وفعاليات مناسبة للمنطقة الحضرية المطلوب الحفاظ عليها لتتم إعادة تأهيلها بما يحقق التجاوب العام مع متطلبات المجتمع المعاصرة

في حال أن الاختيار للحفاظ على الموروث يقع على نماذج وأبنية منفردة عندها لابد من إعادة تأهيلها بما ينسجم وبيئتها القديمة ولكن في عصرنا الحالي.

إعداد الكادر المناسب للقيام بهذه المهمة وبكافة الاختصاصات.

**١- التوثيق:**

وهي مرحلة مهمة في عملية الحفاظ وإعادة التأهيل، ترفد عملية الحفاظ للنماذج التراثية من خلال تسجيلها ووصفها وتصويرها للحفاظ على معالمها ويكون ذلك من خلال إجراء مسح ميداني شامل للخزين الموروث، مع مقابلات للمختصين والأشخاص ذوي العلاقة بالنموذج المعماري أو العمراني الموروث، إلى جانب الاستناد إلى الأدبيات والمصادر التي يمكن أن ترفدنا بالبيانات والمعلومات والوثائق التي تجعل من عملية الحفاظ (وإعادة التأهيل غالبا) عملية دقيقة وسهلة ومدروسة تزيد من قيمة الموروث المعماري والعمراني ولا تكون سببا في الإساءة له في حال الاستناد إلى بيانات ومعلومات غير دقيقة. وتثبت نتائج التوثيق هذه في جداول وسجلات وخرائط لتسهيل مهمة الرجوع لها كلما دعت الحاجة إلى ذلك سواء في مرحلة اتخاذ قرار الحفاظ على تلك النماذج الموروثة أو في مهمة صيانتها وترميمها لتهيئتها للاستخدام الجديد أو ذات الاستخدام السابق بعد جعل الموروث بحالة مناسبة ومتوائمة مع العصر، ولابد لنا من تأكيد أهمية مرحلة المسح الميداني والتوثيق في حالة اتخاذ القرار بالحفاظ على المبنى وإعادة تأهيله أو الحفاظ عليه فقط بعد صيانته أو ربما نتخذ القرار بإزالته وعدم الحفاظ عليه بسبب تدني حالته الإنشائية أو كلفة صيانته وترميمه بحيث تكون عملية الحفاظ عليه غير مجدية ومكلفة نسبة إلى قيمته المعمارية وكفاءته الوظيفية إلى غير ذلك من الجوانب والاعتبارات والتي تعتبر شروطا أساسية لترشيح مبنى تراثي معين أو منطقة حضرية معينة للحفاظ دون غيرها أو ربما إعادة تأهيلها، إلى جانب ذلك تسهم عملية التوثيق والمسح الميداني في تصنيف الوحدات التخطيطية الموروثة أو النماذج المعمارية الموروثة حسب حاجتها إلى الصيانة والتحوير أو درجة هذا التحوير ونوعه وكميته لخدمة ما تتطلبه عملية



حي سيدي أبو سعيد في تونس القديمة

الحفاظ وآليتها ولا يخفى أهمية هذه المرحلة من مراحل عملية الحفاظ في التقديم للمرحلة الثانية.

٢- الدراسة والتحليل:

وتأتي بعد مرحلة التوثيق، على أن تكون دراسة عملية تحليلية لعناصر التراث ومفاهيمه. ويسهم في هذه المرحلة فريق من المتخصصين في العمارة والتاريخ والتراث والتصميم الداخلي والسياحة والصيانة والحرف والاجتماع والاقتصاد والقانون بجهود واسعة لتتضافر جميعها لتحقيق مصداقية عملية الحفاظ وإعادة التأهيل حتى لاياتي النموذج التراثي بعد صيانته وإعادة تأهيله غريب عن عصر تشييده ولا عصر استخدامه وتسهم هذه المرحلة في تأكيد مصداقية القرارات التي اقترحتها مرحلة التوثيق بشان الموروث.

٣- الصيانة والترميم:

وهذه المرحلة إلى جانب سابقتيها تتعلق بالصورة الفيزياوية للنموذج وتتنوع أعمال الصيانة حسب حاجة النموذج، وقد تكون بحدها الأدنى مع التأكيد على إبقاء كل ما هو أصيل في النماذج التراثية، أو أن تكون الصيانة بحدودها القصوى حتى يعود المبنى إلى حالته السابقة فيكون مؤهلا للاستعمال الجديد بإضافة كافة المستلزمات والخدمات والترميمات التي يتطلبها هذا الاستعمال، وهذا يعني إننا ربما نحدد الاستعمال الجديد حتى نقوم بأعمال الصيانة والترميم حسب ذلك الاستعمال وهذا إنما يجعل من المرحلة الرابعة تسبق هذه المرحلة، إلا أن هنالك

ترميمات عامة نقوم بإجرائها بغض النظر عن الاستعمال حيث يتوجب الحفاظ على النموذج ليكون بوضع يجعله مؤهلا للدراسة وإعادة التأهيل وذلك اعتمادا على نوع الأضرار التي تهدد النموذج وكذلك كمية تلك الأضرار والتشوه الحاصل في المبنى.

وبذلك فهناك اتجاهان رئيسيان للصيانة يمكن إجمالها بما يأتي:

الصيانة المتحفظة Conservative Restoration وهو اتجاه يؤمن الحد الأدنى من عمليات الصيانة اللازمة للحفاظ على البناية التراثية أو التاريخية، مع التأكيد على إبقاء كل ما هو أصيل فيها.

الصيانة التطويرية Redevelopment Restoration وهو اتجاه يؤمن بإرجاع البناية إلى ما كانت عليه في فترة زمنية سابقة، مع إيماننا بضرورة عدم تجميد المبنى القديم أو تحنيطه أو الحفاظ عليه كقطعة أثرية من أجل إجراء الدراسات عليه فقط وإنما يجب أن تكون عملية الصيانة جزء من عملية إحياء المبنى وإعادة تأهيله لاستعمال جديد معاصر.

ويجري تصنيف مستويات أعمال الحفاظ والصيانة عادة حسب التدخل التكنولوجي فيها ابتداءً بالحلول البسيطة وانتهاء بالحلول الجذرية الأكثر تعقيدا ولا بد من مراعاة جانبين قبل الشروع بالحفاظ على المبنى:

- نوع الخطر الذي يتهدد المنشأ أو العنصر.
- نوع وكمية الأضرار الملحقة به والتشوه الحاصل فيه.

وللصيانة مفهومان:

مفهوم علاجي؛ ويعني الخطوات المتخذة لمعالجة التلف الناشئ لتوه مثل: إزالة الأملاح الضارة من المواد.

مفهوم الإدامة؛ ويعني الخطوات المتخذة لإدامة شيء ما في حالة جيدة، باتخاذ الإجراءات الوقائية المناسبة ضد التلف، مثل: المحافظة على الشيء من تأثير الضوء، استعمال مبيدات الحشرات.. الخ).

أما الترميم فيعني الخطوات المتخذة لاستعادة الشيء إلى شكله أو قالبه الأصلي ومن المتفق عليه بشكل عام، أن الترميم ينبغي أن يجري بحيث يمكن تمييزه عن الأصل. ومن المتفق عليه أيضا، أن الواجب الأول هو الصيانة أي في الأقل بذل أدنى جهد لجعل الأثر أو النصب مستقرا.

وتتطلب عملية الترميم والتقوية لتحقيق نجاحها وكفاءتها إجراءات متعددة تبدأ بفحص ومعاينة المبنى لتحديد العيوب فيه (كما أن مرحلة التوثيق والدراسة والتحليل تسهم في تحقيق هذا الغرض) متضمنا الفحص البصري والفحص باستخدام التجارب المعملية، يلي ذلك دراسة الرسومات الخاصة بالمبنى ومن ثم تحديد نوعية وأساليب استعمال المبنى لتحديد الأحمال المؤثرة عليه (وكذلك الأحمال والأثقال في حال الاستعمال الجديد) ومقدار العناية به وصيانته، وهنا وبعد تحديد أسباب خلق العيوب في المبنى نضع خطة كاملة لمعالجة هذه العيوب والتصدعات مع المواد المناسبة الواجب اختيارها لإنجاز عملية الترميم.

وقد ساهم ميثاق فيينا لعام ١٩٣١ بتحديده المبادئ الأساسية المرشدة لحماية وترميم المباني القديمة، في تطوير حركة دولية واسعة اتخذت شكلا ملموسا

في الوثائق الوطنية وفي عمل الـ ICOM (المجلس الدولي للمتاحف) واليونسكو والمركز الدولي لدراسة حماية وترميم الممتلكات الدولية.

وقد صادق المؤتمر الدولي الثاني لمهندسي وفنيي المباني التاريخية الذي عقد في فينيسا (البندقية) في ١٩٦٤ م على النص التالي:

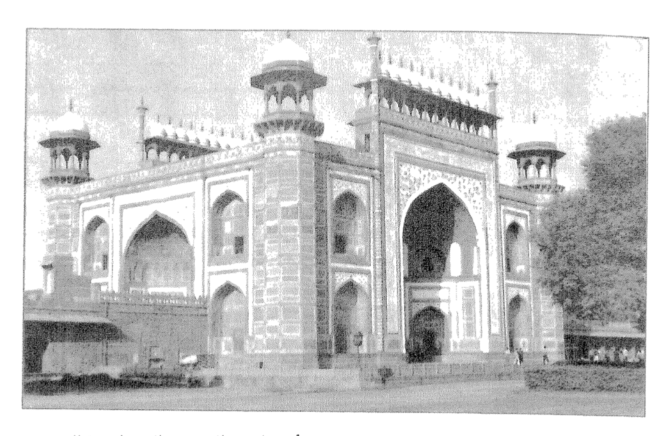
المادة (٢): إن صيانة وترميم النصب التاريخية يجب أن تستعين بكل العلوم والأساليب التقنية التي تستطيع المساهمة في دراسة وحماية التراث المعماري.

المادة (٣): إن الغرض من صيانة وترميم النصب التاريخية هو حمايتها باعتبارها أعمالا فنية وشواهد تاريخية.

المادة (٥): إن تسهيل صيانة النصب التاريخية يتم دائما عن طريق الاستفادة منها لبعض الأغراض المفيدة وأن مثل هذه الاستفادة مستحسنة ولكن يجب عدم تغيير مخطط أو زخرفة المبنى وضمن هذه الحدود فقط فأن التعديلات التي يتطلبها تغيير وظيفة المبنى يمكن تصورها والسماح بها.

كما ويثبت الميثاق في مادته التاسعة أن عملية الترميم عملية متخصصة جدا بدرجة عالية جدا، وهدفها حماية وكشف القيمة الجمالية والتاريخية للنصب وتستند على احترام المادة الأصلية والوثائق


مدينة سوسة القديمة (تونس)



الحقيقية...، وعلى كل حال فإن الترميم يجب أن تسبقه وتتبعه دراسة آثارية وتاريخية للنصب

٤- اختيار الوظيفة المناسبة لإعادة تأهيل النموذج التراثي:

وهذه المرحلة فيها الكثير من الصعوبات لارتباطها بجوانب متعددة لضمان حسن اختيار الاستعمال الجديد فكثير من الأبنية والنماذج التراثية تعرضت للضرر والفقدان بسبب سوء الحفاظ والوظيفة المختارة لإعادة تأهيلها.

ويعتبر موقع النموذج التراثي وقيمته المعمارية ووظيفته الأصلية وتوزيع فضاءاته وحجمه وخدماته وملكيته كلها عوامل وراء اختيار الوظيفة الجديدة المناسبة وبالتالي تهيئة النموذج التراثي لعصر استخدامه الجديد

وفي نظرة متروية لما تقدمنا به نجد أن دراسة الصورة الفيزياوية للنموذج التراثي وكذلك الوظيفة الاستخدامية المقترحة ومن ثم البيئة الفضائية وما تتطلبه من تحويرات لملائمة الاستخدام الجديد، إنما تنعكس وتتجاوب مع المرحلة الثالثة والرابعة من آلية الحفاظ وكذلك المرحلة الخامسة اللاحقة... وهذه المراحل الثلاث بدورها ستشكل مراحل آلية إعادة التأهيل.

٥- التحويرات الفضائية بما يخدم الوظيفة الجديدة:

وهذه المرحلة إنما تكون من خلال التغيير والتحوير بالفضاءات الداخلية وعناصرها التصميمية لتوظيفها بما يتوافق مع إحياء النموذج التراثي وحاجة المستخدمين ومتطلبات الفعالية الجديدة وذلك على مستوى كل عناصر التصميم الداخلي بدءا من محددات الفضاءات الأفقية والعمودية (وبما لا يخل بقيمة

النمـوذج الـتراثي التاريخيـة والمعماريـة والجمالية) والخامات ومواد الإنهاء والأثاث والألـوان وأنظمـة الإضـاءة والخدمـات المختلفة التي يتطلبها العصـر الـذي أعيد تأهيل النموذج التراثي فيه، وان أي خلل في عملية إعادة التأهيل الفضائي إنما تسجل فشلا في عملية الحفاظ وإعادة التأهيل لا يقل ضررا عن الفشل والخطر الناجم عن سوء اختيار الوظيفة المناسبة ودقة الترميم والصيانة والتسجيل والتوثيق لتلك النماذج التراثية.

وهـذه التحويـرات الفضائيـة لا تكـون علـى مسـتوى عنـاصر الفضـاء الداخلـي للموروث المعماري فحسب بل تشمل أيضا ما تحتـاج إليـه مـن تحويـرات فضائيـة في الفضاءات المفتوحة غير المبنية في النسيج الحضري المـوروث وما تتطلبه من تغيرات تتناسـب مـع الوظـائف المختـارة لهـذه المنطقـة الحضريـة الموروثـة دون غيرهـا، اعتمادا على مركزيتها ضمن نسيج المدينة وعلاقتـها بمـا يجاورهـا مـن وحـدات تخطيطية، ومـا تملكـه مـن جـذور تاريخيـة ووظـائف أصليـة إلى جـانب اثـر الوظـائف الجديـدة المقترحـة لتـأهيل المنطقـة الحضرية الموروثـة وطبيعـة الأبنيـة التراثيـة التي تميزهـا وعمرهـا وحالتها الإنشـائية إلى أخر ذلـك مـن مؤثـرات الـتي تكـون مقومـات تشكيل الفضـاء، ومـن ثم تحويره بمـا يتـواءم مـع متطلبـات العصـر واحتياجـات المسـتخدمين لهـذا النسـيج الحضـري الموروث.

## آليات إعادة التأهيل وأسس اختيار الوظيفة المناسبة

تكـون آليـة إعـادة التـأهيل بمراحـل ثلاث، قد تتداخل مـع بعضـها وقـد تسـبق إحداهـا الأخـرى إلا أنهـا تكمـل بعضـها البعض ولا يمكـن الاسـتغناء عـن أي منـها، كما أن فشل وقصـور العمـل في أي مـن هـذه المراحـل يكـون لـه دوره السـلبي في تقليـل كفاءة المبنى الموروث الذي أعيد تأهيله أو ربمـا الحكـم عليـه بالفشـل وعـدم النجـاح، وهـذه المراحـل سنضعها في الـترتيب الـذي نستند إليه في الغالب وهو:

- الصيانة والترميم.
- اختيار الوظيفة المناسبة.
- التحويـرات الفضائيـة لمواءمـة الوظيفـة المختارة.

و في إعـادة تـأهيل الموروثـات القديمة فان مهمة اختيار الوظيفة المناسبة ليست بـالأمر السـهل، كمـا أنهـا ليسـت بالصعوبـة التي تجعلنا نحافظ على المبنى ونهجره ولا نستخدمه، وربمـا تتـأتى بعـض الصعوبـات مـن كـون عمليـة الاختيـار تخضـع لعوامـل متعـددة ولمؤثـرات مختلفـة، علـى فريـق المختصـين الـذي يتبـنى عمليـة الحفـاظ وإعـادة التـأهيل أن يـوازن بينـها ويأخذهـا جميعا بنظر الاعتبار بدءا بطبيعة الموروث (العمراني أو المعماري) وفضاءاته الداخلية وحجمـها وتوزيعـها ومـدى اسـتيعابها للفعاليات الجديدة.

وكذلـك قيمـة المـوروث التاريخيـة والمعماريـة حيـث أن جنـس الوظيفـة المقترحـة إنمـا ينبـع مـن اصـل الوظيفـة المعتمدة للموروث والنابعة من موقعه وزمن تشييده.

و أهـم الأحـداث المرتبطـة بـه إلى جانب طابعه المعماري والعمراني.

و تعتبر ملكية الموروث ذات اثر كبير في عملية إعادة تأهيله وظيفيا فلا تستطيع الجهات المسؤولة دائما من استملاك الموروث وحين يكون ملكية خاصة، حينئذ لابد أن يكون صاحب الملك بوعي متميز لفهم قيمة الموروث والحفاظ عليه ليتحقق التعاون بينه وبين الجهات المسؤولة (حكومية كانت أم غيرها)

و أخيرا يفضل أن تكون الوظيفة المختارة لإعادة تأهيل الموروث وظيفيا، لها جذور تاريخية متناسبة مع بيئة الموروث وتتحقق بأقل قدر من التغيرات لتحقيق الانسجام بين الاستخدام المقترح الجديد والاستخدام القديم للموروث ولكي يكون هذا التغيير بكلفة معقولة بحيث يتم إنجاز هذه العملية بأقل التكاليف والجهد والوقت،

كما لابد في تأهيل الموروث وظيفيا أن نضع في الحسبان إمكانيات الاستعمال المتغير حيث أن الموروث العمراني والمعماري يوظف لأكثر من استعمال من وقت لآخر.

## أنسب الوظائف المعاصرة

أما عن انسب الوظائف المعاصرة التي يتم اختيارها لإعادة تأهيل الموروثات المرشحة للحفاظ فقد اتفق اكثر المختصين في العمارة والتاريخ والتراث والآثار والفنون والصيانة والتصميم الداخلي ممن لهم اهتمامات متميزة في الحفاظ على الموروث على أن:

الوظائف الثقافية (متاحف، مكتبات، معارض فنية وقاعات عرض فنية، مراكز علمية وثقافية.. الخ) تأتي على رأس القائمة في الوظائف المختارة لكونها تطيل في عمر الموروث ولا تتسبب بالضرر له مستقبلا، كما أنها تتناسب مع الجذور التاريخية والقيم الرمزية والمعمارية للموروثات.

وفي الغالب تكون هذه الوظائف ثقافية سياحية تليها الوظائف السياحية، التعليمية، السكنية، الترفيهية، الإدارية، التجارية، والصحية، والصناعية، وتعتبر الوظيفة الصناعية من أكثر الوظائف ضررا بالأبنية الموروثة والنسيج الحضري الموروث لما ينتج عن هذه الوظيفة من أضرار وتصدعات في جسم الموروث تتسبب في ضياعه وفقدانه مع الزمن.

لابد من الاهتمام بكفاءة هذه المراحل والعمل على زيادة هذه الكفاءة من خلال: توفير الوثائق والدراسات والمعلومات المطلوبة، إلى جانب توفير الكادر المختص في شؤون الصيانة والحفاظ والتصميم المعماري والتصميم الداخلي والحرفي المتميز والاقتصادي ومختص الاجتماع وعالم الآثار ومختص السياحة والقانوني، كل هؤلاء يسهم كل من جانبه في زيادة كفاءة عملية إعادة التأهيل، خصوصا إذا تبنتها جهات مركزية مختصة تتولى التخطيط والتمويل ويمكن أن تكون هذه الجهات مشتركة بين جهات حكومية وأخرى خاصة تهتم كلاهما بنجاح عملية الحفاظ وتسعى للارتقاء بها، لأنها تتعامل مع ثروة إنسانية بالاهتمام الدولي والمحلي على حد سواء.

# اسم حلب الشهباء

## بين العلم والأسطورة

أحمد فوزي الهيب*

حلب الشهباء أم المدن وأعرقها، تقع شمالي بلاد الشام، وتعد العاصمة الثانية للجمهورية العربية السورية، وكم تساءل الناس عن اسمها وأصله ومعناه، فتسابق العلم والأسطورة للإجابة عن ذلك، وكان لكل منهما جوابه، ولعل فيما يلي بسطاً لذلك وتوضيحاً:

دخلت حلب سفر التاريخ منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد باسمها الراهن[١]، وإذا كانت في ذلك الزمن السحيق عاصمة، فإنه يدل على أن لها تاريخاً قديماً جداً، يجعل منبتها الأول يضيع في ليل الزمن الساجي، ويجعلنا نقف أمام واحدة من أقدم مدن العالم[٢] التي استمرت آهلة بالسكان حتى يومنا هذا، والتي سكنها الإنسان الحجري، ولما تزل مغاورها شاهدة على ذلك تُدهش من يزورها ويراها.

ذكرت حلب في وثائق بوغاز كوي باسم (حلّب) أو(حلّو) أو(حلفن)[٣]، كما ذكرت أيضاً في اللوحات التي اكتشفت مؤخراً في قصر ماري (تل الحريري، على الفرات، قرب مدينة أبو كمال)، الذي يرجع زمنه إلى سنة ٢٢٠٠ ق.م[٤].

وقد سماها (سلوقوس نيكاتور) أحد قواد الاسكندر المكدوني باسم (بروبا) أو (بيري) أو (باروا) على اسم إحدى المدن اليونانية[٥]، الأمر الذي يعني أن هذه التسمية يونانية[٦]. وعدّ ياقوت الحموي (باروا) اسماً لمدينة حلب بالسريانية[٧]، ولعل خطأ ياقوت ناجم من أن السريان كانوا آنذاك يلهجون باليونانية، لأنهم ورثوا معارفها، فحسبَ أن (باروا) سرياني، بينما اسمها في السريانية (حلبا)، ومعناه البيضاء[٨]، وظلت حلب معروفة باسم (باروا) إلى عهد قياصرة الروم، والأصح أن اسمها كان (حلب)، ولكن لما جددها ملوك الطوائف

---

* باحث عربي سوري، حلب.

السلوقيون أطلقوا عليها اسم (باروا)[٩].

ومما تقدم يتبين أنه كان لحلب اسمان، هما (باروا) و (حلب)، وكان الأول يستعمل في المعاملات الرسمية، ولدى أرباب العلم والتاريخ، ولاسيما الكتب الدينية المسيحية، بينما كان الاسم الثاني (حلب) معروفاً في العصر البيزنطي[١٠]، تداوله الناس في حياتهم اليومية، وظلوا على ذلك حتى الفتح الإسلامي الذي مُحي به اسم (باروا)، فلم يعد له ذكر[١١].

وفضلاً عن ذلك أطلق اليهود على حلب اسم (متّا محسيا)، وكان اسماً لمدينة عراقية، معناه (مدينة ملجأ الله)، أي المدينة التي لجأت إلى الله[١٢]، وذلك لأن حلب كانت قد اشتهرت بمحافلها الدينية، الأمر الذي سوّغ لهم أن يطلقوا عليها اسم المدينة العراقية الشهيرة بصلاحها من قبيل التشبيه، وليس تسمية جديدة لها. وكذلك أطلق اليهود على حلب اسماً آخر، هو (أرام صوبا)، الذي ورد في العهد القديم، واختصروه إلى (صوبا)[١٣]. كما سمى العهد القديم أيضاً سورية (أرام) نسبة إلى (أرام الخامس)، وهو من أبناء سام بن نوح، لأن كثيراً من سكانها الأقدمين كانوا من أعقابه، كما أنه، أي العهد القديم، أضاف اسم (أرام) إلى أعمال عدة، مثل أرام النهرين وأرام دمشق وأرام صوبا[١٤].

وقال بعض العلماء: إن كلمة (صوبا) محرفة عن (صهوبة)، ومعناها (البياض المشوب بالحمرة)، لأن حلب وضواحيها تتراءى للمقبل عليها بيضاء حمراء، كما يحتمل أن تكون كلمة (صوبا) آرامية، ومعناها الناحية أو المجمع أو المنتهى، وهي معان يوافق بعضها معنى (الصوب) في اللغة العربية[١٥]. هذا مع أن المرجح أن (صوبا) مدينة أخرى واقعة جنوب حماة، وهو أصح الآراء، لأنه تدعمه وثائق آثارية. وكذلك مما لا ريب فيه أن اليهود لم يسموا حلب (أرام صوبا) عن طريق النقل كما في (متّا محسيا)، وإنما عن طريق إطلاق اسم مدينة زالت معالمها على مدينة أخرى عامرة، ثم نُسي هذا وعُدّ حقيقة[١٦].

وأقدم نص ورد فيه ذكر حلب جاء في رقيم يرجع عهده إلى (نرم سين) الأكادي[١٧]، وفيه دعيت حلب باسم (أرمان)، وهو قريب لفظاً من اسم (حلوان) الذي كان يطلقه الآشوريون على حلب، وثمة رقيم آخر وُجدت فيه (أرمان) بلفظ (حلْبَأبّا) و(أبْلأبّا)، وبما أن اسم حلب كان (حلبأبا) و(حلاّب) و(حلَبا) لدى الحثيين والميتانيين والسومريين والأكاديين، فلا شك في أن (أرمان) القريبة لفظاً من (حلوان) الآشورية هي مدينة حلب الحالية[١٨].

وكانت الصابئة تسمي حلب (مابوغ)، وعرفت عندهم بمدينة الأحبار[١٩]، بيد أن خير الدين الأسدي استصوب رأي (دو سود) الذي رأى فيه أن (ما بوغ) هي (منبج) الواقعة شمال حلب[٢٠].

ورأى بعض المؤرخين المسيحيين

أن بطليموس، أحد قادة الاسكندر، هو الذي بنى حلب، وسماها باسم ابنته (أشمونيت)، ولم يبق فيها من هذا الاسم إلا عين ماء تُعرف به[٢١]، وقد كان هذا في العام الأول من تاريخ الاسكندر، الأمر الذي يدل على أن بطليموس قد بنى حلب ثانية، ولعلها خربت بعد بنائها الأول، فجُدِد بناؤها، بيد أنني أوافق الأسدي في حكمه ببطلان تسمية حلب بأشمونيت، لأن ابن العديم تفرد بذلك[٢٢].

كما أن ابن العديم ادعى أن اسم (حلب) عربي لاشك فيه، وكان لقباً لتل قلعتها[٢٣]، ولا يمكن أن نقبل ذلك لأنها سُميت به قبل وجود العرب. وكذلك لا يمكن أن نطمئن علمياً إلى الادعاء بأنها سُميت (حلب) نسبة إلى حلب بن المهر من بني الجان ابن مكنف الذي اختطها، وكان مستولياً على قنسرين[٢٤]. لأنه ادعاء أسطوري غير مؤيد بدليل علمي تاريخي. ومثيلته كذلك الأسطورة المنسوبة إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، والتي تقول: إنه إذا اشتمل، أي اتجه شمالاً، من الأرض المقدسة انتهى إلى هذا التل، فوضع فيه أثقاله، وبث رعاءه إلى نهر الفرات وإلى الجبل الأسود، وكان في مقامه بهذا التل يحبس بعض الرعاء بما معهم من الأغنام وغيرها، ويأمرهم بحلب ما معهم، فيتنادى الضعفاء (إبراهيم حلب)، فيتبادرون إليه، فغلبت هذه اللفظة لطول الزمان على التل[٢٥]، كما قال الزجاجي مثل ذلك، ولا يخفى ضعف هذا الادعاء، لأن إبراهيم عليه السلام لم يكن يتحدث العربية[٢٦].

و بعد تلك الآراء الآنفة التي استعرضناها نستطيع أن نرجح، مع خير الدين الأسدي، أن اسم حلب قد رافقها منذ نشأت حتى يومنا هذا، مع أن اليونانيين دعوها (باروا)، وأن اليهود أطلقوا عليها (متّا محسيا) و (أرام صوبا) أو (صوبا) فضلاً عن اسمها، وأن نقف أيضاً مع صبحي الصواف في تأكيده أن حلب سُميت باسم (أرمان)[٢٧]، وكذلك أن ننفي مع الأسدي أن تكون (مابوغ) و(أشمونيت) وغيرهما[٢٨] قد أُطلقت على حلب[٢٩]، لعدم وجود دليل علمي قوي يؤيد ذلك.

ولعل من المفيد، بعدما تأكد لنا أن اسم حلب سامي صاحب مدينتنا منذ نشأتها في ضباب القدم على يد الساميين، أن نحاول معرفة معنى هذا الاسم، فقد رأى عبد الله العلايلي أن أصل مادة (ح ل ب) هو (ل ب)، لأن من الثابت أن جميع الألفاظ الثلاثية هي ثنائية التركيب في بدء الوضع، ثم أُدخلت (الحاء) لتؤيد معنى (ل ب)، وهو الضخامة والخصب والغلظ والامتلاء، وقرر بعد ذلك أن اسم حلب يعني المدينة الخصبة المكتنزة التراب[٣٠]، وقد صحّ ذلك أيضا عند الكرملي كما ذكر عبد الله العلايلي في كتابه القيم مقدمة لدراسة لغة العرب[٣١]. بينما رأى الأسدي أن أصل لفظ (حلب) هو (حلّب) بتضعيف اللام، واستند في ذلك إلى الآثار الواصلة إلينا، ففي مقدمة شريعة (حمورابي) قائمة بأسماء المدن وغيرها، ومن المدن المذكورة (حلّبو). وفي نصب لشلمنصر[٣٢]

ذَكرت (حلّب) بالتضعيف[٣٣]، كما ذَكرت مضعفة أيضاً (حلّب) و(حلّبو) في وثائق (بوغاز كوي) في الألف الثانية قبل الميلاد[٣٤].

مما تقدم نستطيع أن نرجح أن لفظ (حلب) القديم هو (حلّب) أو(حل لبْ)، أي أنه مركب من كلمتين أصليتين منفصلتين، هما (حل) و(لب)، مُزجتا معاً، فكان منهما اسم (حلب)، رُكّب تركيباً مزجياً، مثل (بعلبكّ) و(حضرموت)، ويؤيد هذا أنها دُعيت بلفظ (حل) جزئها الأول أو كلمتها الأولى على سبيل الاكتفاء، وهو أمر كان الساميون يستسيغونه، فهذه آثار (شلمنصر) تدعوها (حل وان)، ولفظ (وان) ملحق خاص بالأعلام[٣٥]. كما نستطيع أن نوافق الأسدي فيما ذهب إليه من أن حلب كانت في الأصل مضعفة، وأن إزالة التضعيف محدَث، دفع إليه التسهيل ليجري لفظ حلب مجرى الثلاثي الطاغي في معظم الكلمات السامية[٣٦].

وثمة تقارب بين مدلول (حل) في العربية والسريانية والأكادية والبابلية والآشورية والعبرية، إذ تعني في جميعها (المكانية)، كما هناك تقارب أيضاً في مدلول (لب)[٣٧] في العربية والأكادية والعبرية والحبشية والسبئية، لأن معناها فيها هو (التجمع)[٣٨].

ونوافق الأسدي فيما ذهب إليه من أن معنى (حلب) هو (محل التجمع)، وإذا أردنا أن يداني اللفظ اللفظَ على ما بين عمومية السامية وخصوصية العربية قلنا: (محل التجمع). ويغلب على الظن أن يكون هذا التجمع للحرب، كما سماها الساميون سكانها الأقدمون، لأن حلب ثغر قائم بين بلاد الساميين وبلاد الآريين، الأمر الذي يجعلها بحكم موقعها الجغرافي هذا عرضة لسلسلة طويلة ورهيبة من النزاع واللدد والخصومة[٣٩]. وغلبة الظن هذه لا تنفي أن يكون هذا التجمع للتجارة والمثاقفة في أوقات السلام.

وإذ وافقنا الأسدي فيما تقدم، نقف موقف الحياد أمام ظنه الذي رآه قوياً يشارف تخوم اليقين في أن أصل (لب) هو (رب) بدليل المواءمة في مدلولي الكلمتين، وبدليل قوة الراء في تأدية هذا المدلول[٤٠]، لأن المصريين القدماء سموا حلب (حرب)، وذلك لأنه لم يستند إلى أي نص أثري يقويه، ولا يغنيه عن الدليل حدوث الإبدال بين اللام والراء في عهد قديم جداً، الأمر الذي أدى إلى نسيان الأصل، كما أن الراء في (حرب) ليست راءً محضة، وإنما هي لثغة بين اللام والراء كما أشار إلى ذلك الأسدي نفسه[٤١].

وفضلاً عما تقدم تُنعت حلب دائما بالشهباء، والشهباء مؤنث أشهب، والشهَب محركة بياض يصدعه سواد[٤٢]، وهي صفة وصفت بها حلب في عهد العرب، ولم تعرف قبلهم، وهذا الوصف كان يطلق على قلعة حلب الفريدة الشامخة، ثم انتقل إلى المدينة[٤٣]، كما رجح ابن شداد أن تكون قد لُقبت بالشهباء والبيضاء لبياض أرضها، لأن

غالب أرضها من الحجارة الحوارة، وترابها يضرب إلى البياض[٤٤]. وفضلاً عن ذلك فإننا يمكن أن نقبل الرأي القائل: لعل العرب عربوا كلمة (حلبا) السريانية، والتي تعني البيضاء، فقالوا (حلب)، ثم نعتوها بمعناها، أي حلب الشهباء، ثم جرت على الألسن هكذا[٤٥].

وبعدُ، لعلنا استطعنا بعد هذا التجوال أن نلقي بعض الضوء على اسم حلب الشهباء، ونميز في استبيانه بين العلم وحقائقه من جهة والأساطير وخيالاتها وأوهامها من جهة أخرى.

**الهوامش:**

١. الصواف، صبحي، كتاب أقدم ما عرف عن تاريخ حلب، حلب ١٩٥٢، ص ٧
٢. الأسدي، خير الدين، حلب الجانب اللغوي من الكلمة، حلب ١٩٥١، ص ٦
٣. دائرة المعارف الإسلامية المترجمة ٢٤/٨، وبوغازكوي هي حاتوشاه القديمة عاصمة الحثيين، تقع شمال وسط تركيا الآسيوية (الموسوعة العربية الميسرة ٤٣٦/١
٤. حلب ٩٤
٥. المرجع السابق ١٣
٦. الغزي، كامل، نهر الذهب في تاريخ حلب، حلب ١٩٢٦، ١٤/١
٧. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩، ٢٨٢/٢
٨. مجلة الضاد، حلب، مقال لعيسى اسكندر المعلوف، السنة ٦، العدد ١٤٥، ص ١٤٥
٩. حلب ص ١٣
١٠. دائرة المعارف الإسلامية المترجمة، كتاب الشعب، مصر، بلا تاريخ ٢٥/٨
١١. الدر المنتخب ص ٣٠
١٢. حلب ٢٣
١٣. دائرة المعارف الإسلامية ٢٤/٨
١٤. الدبس، يوسف بن اليان، تاريخ سورية، بيروت ١٨٩٣، ١١/١
١٥. نهر الذهب ١٣/١
١٦. حلب ٣٨
١٧. أقدم ما عرف من تاريخ حلب ١٥
١٨. المرجع السابق ١٩
١٩. ابن شداد، محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ت: دومينيك سودريل، دمشق ١٩٥٣، ١٤/١
٢٠ ـ حلب ٤١
٢١. ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ت: سامي الدهان، دمشق ١٩٥١، ١٩/١
٢٢. حلب ص ٤٤
٢٣ ـ زبدة الحلب ٩/١
٢٤. الأعلاق الخطيرة ١٤/١
٢٥. الأعلاق الخطيرة١٥/١
٢٦. معجم البلدان ٢٨٢/٢
٢٧. أقدم ما عرف من تاريخ حلب ١٩
٢٨. مثل (يره بوليس) و(ألب) و(تدمر الجديدة) و(قنسرين) ولم أذكرها لضعف أدلتها الشديد
٢٩. حلب ص ٤٤
٣٠. مجلة المشرق سنة١٩٠٧، عدد٢١ ص ٩٦٩
٣١. ص ١٤٥، وانظر كتاب حلب للأسدي ص٩٩
٣٢. أو سلما نصر الثالث (٨٥٩ ـ ٨١٤ ق م) ملك آشوري (قصة الحضارة الجزء ٢ مجلد٢٦٧/١
٣٣. حلب١١١
٣٤. دائرة المعارف الإسلامية ٢٤/٨
٣٥. من تعليقات يوسف اليان سركيس على الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، لابن الشحنة، بيروت، ص ٢٩
٣٦. راجع كتاب حلب ص ١١٥ وما بعدها
٣٧. ألب القوم إليه: أتوه من كل جانب (لسان العرب مادة أ ل ب)
٣٨. حلب ص ١٣٩ وما بعدها
٣٩. المرجع السابق ١٧٥
٤٠. المرجع السابق ١٧٢
٤١. المرجع السابق ٤٦
٤٢. لسان العرب مادة (ش هـ ب)
٤٣مجلة المشرق السنة ٢ العدد١ ص ١٧
٤٤. الأعلاق الخطيرة ١٦/١
٤٥. مجلة الضاد السنة ٦ العدد ٤٠ص ١٤٥.

# الحداثة والتراث

## في عمران المدن العربية

عبد الرزاق الحسين*

**مقدمة:**

ظهرت معالم الحداثة المعمارية والعمرانية في الغرب في أواخر القرن الثامن عشر مع تطور صناعة الحديد والمحركات البخارية، وتمثلت الحداثة على مستوى العمارة في بناء القصر البلوري في لندن ١٨٥١، وبدأ تشكيل المدينة الحديثة يقوم على المنطق المادي الذي يعطي الأولوية للآلات ومنتجاتها، ومداخلاته العمرانية ذات المقياس الضخم، وبتطبيقه لمخططات استعمالات الأراضي (zoning)، وفصله المفرط للوظائف الأساسية.

وتعزز ذلك بظهور علم جديد للتمدن مع ظهور كتاب سيربا (Ildefonso cerba) ١٨٦٧ م بعنوان النظرية العامة للتعمير La théorie générale de l'urbanisation، وترافق ذلك مع ظهور خطابات مثالية تطرح تصورات مثالية للبيئة المبنية على مستوى خيالي من خلال مفهوم النمط كأنجع وسيلة لتجسيد التنظيم على الواقع "المريض" وانتشرت بذلك مبادئ المثالية في إطار علمي يسمح بتحقيق الضبط والتوحيد في نتاج العملية المعمارية والعمرانية، وكان نشر مبادئ هذه النظرية في صالح السياسة الاستعمارية الغربية ورواجها وتأكيداً للهيمنة الثقافية الغربية، مقابل الإفقار الثقافي للشعوب المستعمرة، ومساهمة في ذوبان الخصوصيات الإقليمية والمحلية وطمس الهويات التي طالما عبرت عنها العمارة بوضوح.

ومع بداية القرن العشرين تبنى الكثير من المعماريين عمارة تدعم هذا المفهوم (الحداثة) وتتوافق معه خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، من خلال مدرسة الباوهاوس (Bauhaus) التي تبنت مبدأ التعبير عن الوظيفة انطلاقا من

* باحث آثاري.

الوضع الاقتصادي بدلا من العادات والتقاليد والتراث وظهرت نفس التوجهات من خلال الاجتماع الذي انعقد في جزيرة ديلوس اليونانية عام ١٩٢٧ والذي نتج عنه مبادئ العمارة الحديثة وحضر الاجتماع مشاهير المعماريين والفنانين الغربيين من أمثال لوكربوزييه وبيكاسو..، وأسسوا من خلال الاجتماع جمعية المعماريين العالميين CIAM، وقد عبرت عن فكر عقلاني وعلمي ولم تلتزم بالتكوينات الشكلية للطرز المعمارية السابقة لعدم توافقها مع متطلبات العصر لاغياً معها أيضاً الاهتمام بالمتطلبات الإقليمية وخصوصياتها الثقافية والحضارية... الخ، فجمال المدينة المتمثل بمبانيها الحديثة يحيل إلى رؤية لمدينة المستقبل ولعالم متحرر رافض للطرز وللتقاليد المعمارية التي سبقته ولتاريخها ومحليتها. وأدى ذلك إلى تدمير جزء كبير من النسيج العمراني للمدن القديمة بقدر ما أدى إلى الإضرار بالبيئة المحيطة، وأدى إلى الرتابة البصرية العقيمة بقدر ما أدي إلى ضياع الهوية والشخصية المحلية بالإضافة إلى الاهتمام بمشاكل السير وأعمال البنى التحتية على حساب المقياس الإنساني والفراغات العمرانية العامة، كذلك كان من نتائجها ظهور مستوطنات وظيفية متكاملة سميت بالمدن الجديدة (مدن حدائقية في بريطانيا، مدن ذات وظيفة سياسية كالبرازيل وشندقار في الهند، مدن ذات وظيفة صناعية).

### تأثير تيار الحداثة على عمران المدن العربية

شهدت المدن العربية الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولا على مستوى عزل تحكيم الشريعة الإسلامية ومبادئها عن بعض مناحي الحياة (انحسار المضمون الإسلامي في العمارة والعمران او ما يعبر عنه بالمقومات المعنوية)، واقترن ذلك بمحاولة البحث عن سبل التمدن مع المحافظة على الأصالة كما نادى بذلك النهضويين العرب والمصلحون الذين كرسوا مبدأ الاقتباس من الغرب والاستفادة من علومه (مثل خير الدين باشا، ومحمد بيرم الخامس، ومحمود قبادو، ومحمد عبده.. الخ)، وساعد على ذلك ظهور المبادرات الإصلاحية على مستوى التنظيمات العثمانية تأثرا بالتنظيمات الأوربية المعلمنة، وقد بدأت تظهر هذه القوانين خلال فترة حكم الدولة العثمانية، والتي بدأت تشعر بتخلفها على مستوى التنظيم والإدارة، مقارنة بالدول الغربية فبادرت إلى إعادة النظر في أسلوب إدارة الدولة في كافة المجالات. ومن ضمنها العمارة والعمران، حيث تم في عام ١٨٣٩م، إصدار الأمر العالي المتعلق بالعمران والإنشاء وتم نشره من خلال ما يعرف بالتنظيمات، وهي عبارة عن قوانين ناظمة لآليات العمران في كافة الولايات العثمانية وهو ما كان سببا في بداية فرض أسلوب محدد للبناء والتنظيم الذي أدى بدوره إلى تشابه العمران في مختلف مدن الولايات العثمانية دون مراعاة للخصوصية المحلية

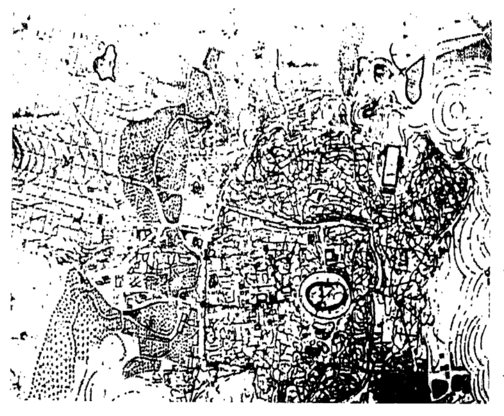
وفي عام ١٨٥٨م تم وضع قانون الأراضي العثماني، الذي يلزم أصحاب الأراضي أو العقارات بتسجيلها والحصول على وثيقة رسمية من الدولة (في دفتر خانة أو الطابو) لدفع ضرائب وفق نسب محددة لتشكل مورد مالي ثابت للدولة وكبداية للحد من سيطرة مالكي العقارات والأراضي بشكل مطلق، وفي عام ١٨٦٩م قام نخبة من العلماء بتحرير المذهب الحنفي (المذهب الديني للدولة العثمانية) في مدونة، ثم نشرتها السلطات العثمانية تحت عنوان: "المجلة" أو "مجلة الأحكام العدلية" في عام ١٨٧٦م، وكانت المجلة بعد تحريرها هي المرجع والدستور التي تعتمد عليه الدولة العثمانية، والتي أخذت طابع القوانين الغربية في التنظيم.

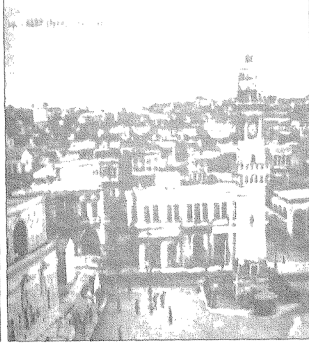
وفحوى هذه الإصلاحات هو أن العلمانية لا تلغي الدين او الممارسة الدينية بل تخرج السياسة والتنظيم الاجتماعي من حيز الممارسة الدينية كما تخرج الممارسة الدينية من الحيز الاجتماعي والسياسي كي تعيدها إلى إطارها الوحيد في الحيز الشخصي.

## حلب
## في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

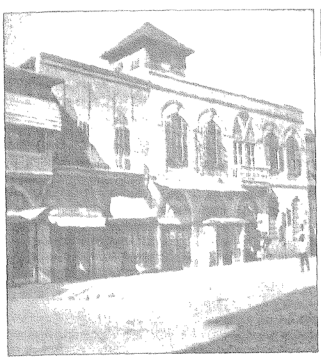
### بداية تأثير الحداثة
### على عمران مدينة حلب

لقد بدأ النفوذ الثقافي الغربي. الذي سبق النفوذ السياسي وما رافقه من آليات، مما اثر في تشكيل صورة للمدينة مغايرة للنسق الحضري السابق وأدى إلى بداية ظهور ازدواجية على مستوى النسيج العمراني للمدينة، بين نواة قديمة للمدينة ذات طراز معماري وعمراني مميز. كان للمقياس الإنساني فيها حضوره واحترامه، وبين أحياء جديدة يتم إنشاؤها وفقا لمبدأ السوق والأيديولوجية المسيطرة على النظام السياسي السائد (الحداثة) واصبح المقياس الرياضي الذي يقوم على التناسب والتناظر





برج ساعة باب الفرج



تغطية الخندق الشمالي ليحل محله شارع عريض تحيط به المحلات التجارية وبعض المباني الإدارية

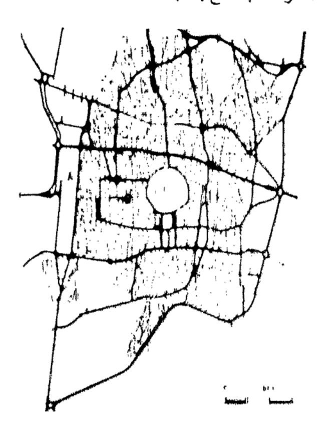
والتقابل في فضاءات المدينة عندما توضع لها المخططات هو السائد ولم يعد هناك فاصل بين العمارة وعمران المدينة وبين عالم الإنسان وعالم السيارة وبين فضاء العمارة الإنساني وفضاء المدينة المادي الذي يقوم على الصناعة والتجارة. وهي في جوهرها نقل حرفي لتجارب الغرب، واتخذ هذا النقل صبغات متعددة طبقا لمفهوم ناقليها وأهدافهم بما فيها السيئ والحسن فمثلا بعض المستعمرين استبدلوا المدن القديمة التي تدعم الروابط الاجتماعية والتقاليد بمخططات لمدن حديثة لتفكيك هذه الروابط لأهداف سياسية واقتصادية بما يدعم أدوات الإنتاج الاقتصادي المرتبط بالسوق الغربي، واصبح المجتمع العربي كمتلق لعملية الإنتاج المعماري والعمراني عاجزا عن التحاور مع المعمار الأكاديمي القادم بفكره وثقافته من الغرب نظرا لاختلاف مرجعياته الثقافية والفكرية من جهة ولعدم وجود المعمار العربي الذي عاصر هذا التحول الفكري المتدرج وكانت هذه بداية الفجوة الفكرية بين المعمار والمتلقي، وترافق ذلك مع نوع من الاتفاق الجماعي النسبي الذي أبداه سكان الأحياء القديمة في بعض المدن العربية في تلك الفترة نحو الصور البصرية الحديثة التي صاحبت إنشاء أحياء سكنية جديدة والتي أدت إلى ظهور مسمى (القاهرة الجديدة، دمشق الجديدة،.. الخ) التي تختلف في أذهان السكان عن القاهرة القديمة ودمشق القديمة. ولكن رغم أن تلك الصور الجديدة أو لنقل ذلك الإعلان المبهر لقيم الحداثة المادية قد ترك أثرا بالغا إلا انه كان سطحيا في البداية على سكان

الأحياء القديمة في المراحل الأولى، وكل ما قام به السكان هو فقط تغيير الشكل الخارجي لمساكنهم.

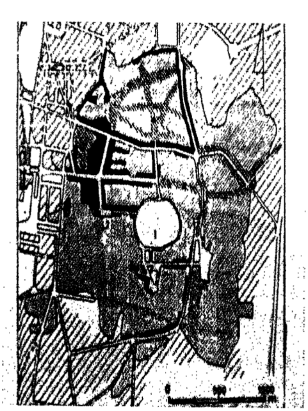
هذه التغييرات تعد ظاهرة عامة في الأحياء القديمة كما أنها تعبر عن صراع الصور الذي سيطر على قرارات السكان المحليين في تلك الفترة فإنسان البيئة التقليدية لم يكن لديه أي استعداد للتنازل عن التوليفة الاجتماعية والفراغية التي كان يعيشها إلا انه في نفس الوقت كانت لديه رغبة ملحة أن يتماشى مع الصور الحديثة وأن يكون حديثاً ولو شكلا.

ولكن سرعان ما تفجرت رغبات أفراد المجتمع بمتابعة الاستمداد من ثقافة الغرب في مجال العمارة الحديثة التي لم يفطن لمخاطرها، والتي أدت إلى التخلي عن التقاليد والحاجات الروحية والمادية وضياع الهوية.

إن سرعة التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي دفعت إلى تكثيف وتسريع العمليات العمرانية فكانت التصاميم والمخططات المستوردة أو التي يقوم بإعدادها خبراء أجانب هي أقصى ما يستطيع أن يسد حاجة المجتمع الملحة خلال العقود الثلاثة التي تلت الحرب العالمية الثانية لترجمة الخطط التنموية في مجال السكن بشكل كمي مكثف يوازي التضخم السكاني.



مخطط كوتون عام ١٩٥٣: اقتراحه خرق نسيج المدينة بعدة شوارع

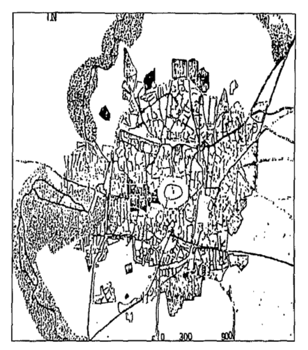


ما تم تنفيذه من المخطط وتوضع المباني الطابقية على أطراف الشوارع التي تم تنفيذها

## المدينة القديمة
## بين ازدواجية الحداثة والتراث

تبرز إحدى أهم التساؤلات عن إشكالية المدينة القديمة من خلال تساؤل مضمونه التالي: لماذا لم تظهر إشكالية المدينة القديمة قبل هذه الفترة التي بدأت تدخل بها المؤثرات الأوربية على المجتمعات العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؟ والإجابة تكون بأنه إضافة إلى الظروف والتحولات الاقتصادية والديموغرافية: البلدان العربية كانت خاضعة للحكم العثماني لمدة أربعة قرون مما جعلها معزولة عن التطورات النهضوية القائمة في أوربا والتفاعل معها تفاعلاً إيجابياً. (ما يعبر عنه بالفجوة الحضارية: تباين في مستوى التطور التقني والفكري) حيث أن العمارة المعاصرة في أوربا قد نبعت ونمت خلال فترات طويلة مرت بتجارب وظهور مدارس متعددة قد تكون قد أخطأت حينا إلا أنها في النهاية وصلت إلى الطريق السليم مستلهمة معانيها وقيمها الجديدة من تراثها القديم وتراث غيرها من الحضارات الأخرى.

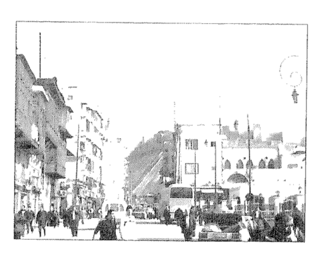
ويمكن تلخيص ما سبق بان مرحلة الحداثة في أوربا في البداية ومن ثم انتقالها إلى المنطقة العربية ساهمت في ظهور إشكالية المدينة القديمة نتيجة القطيعة مع التراث الحضاري المحلي التي مارستها الحداثة طيلة قرن كامل أو يزيد (منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين) ومما ساهم في ذلك، ظهور التقنيات الحديثة ومواد البناء ووسائل مواصلات لم تكن سائدة في المدن القديمة (الصدمة الحضارية: نقل ثقافة وتقنيات مختلف عن الثقافة الحلية والتراث ودرجة التطور العلمي والتقني)



المدينة القديمة بحلب في نهاية القرن التاسع عشر


المدينة القديمة بحلب في نهاية القرن العشرين





وهنـا لا بـد مـن التمييـز بـين مفـهوم الـتراث الـذي كـان سـائدا في مرحلـة الحداثة والقائم على معنى الإرث المادي الجـامد ، وبـين مفـهوم الـتراث المعـاصر لمرحلة مـا بعـد الحداثـة الـذي تولـد عـن الحداثـة بذاتهـا والـذي يعـني المخـزون الثقافي الماثل في جميع منجزات الإنسان عبر تاريخه في نطاق بيئته الثقافية التي تسمى بالبيئة المحلية أو البيئة الإقليمية أو البيئـة القوميـة. وبذلـك فـان مـا أنتجتـه مرحلة الحداثة يعتبر جـزءا مـن الـتراث حيـث أن الـتراث هـو مخـزون العطـاء الإنسـاني الـذي لا يتحـدد بـالزمن الـذي انقضـى بـل بـالزمن المسـتمر. فـالتراث تواصـل بـين المـاضي والحـاضر تمـهيدا للمسـتقبل فيـه الأصالـة بمفـهوم العطـاء المتميز وفيه المعاصرة بمفهوم أن نكون أبنـاء عصرنـا ولكـن في إطـار شـخصيتنا وهويتنـا واسـتمرارا حقيقيـا لمـن سـبقنا وتمهيدا مميزا لمن يأتي بعدنا.

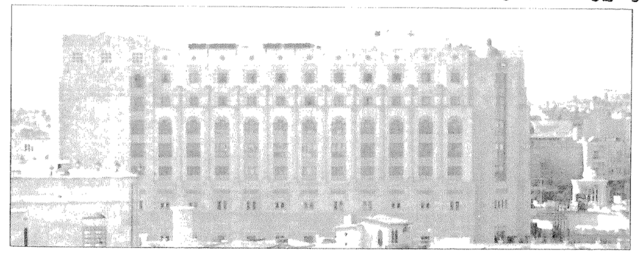
والمقصـود بمـا بعـد الحداثـة (post modernisation) هـي المرحلة التي تعـود بداياتهـا إلى مرحلـة السـتينات مـن القـرن المـاضي، والـتي تشكلت كـرد فعـل على محـددات الحداثـة وهـي مـا زالـت تبحـث عـن الكيفيـة الـتي تعـوض بهـا مـا يمكـن أن تكـون قـد فقدتـه الشـعوب. ولا يقتصـر الأمـر علـى الحركـة المعماريـة والعمرانية التي تهتم بإنتاج بنى معمارية وعمرانيـة جديـدة، بـل يـترافق ذلـك مـع زيـادة الاهتمـام بإحيـاء واسـتعادة بـنى معماريـة وعمرانيـة قديمـة بشـكل يتجـاوز الاقتصـار علـى ترميمـها وصيانتـها. ليـس فقـط بعـد الدمـار الـذي لحـق بـالمدن الأوربيـة وغيرهـا بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة، وإنمـا بـادراك نتـائج قيـام المدينـة الحديثـة بخصائصـها (الشـكل يتبـع الوظيفة) ومنطقها (الوظيفة/الاقتصاد)، مما افرز الاهتمام بتجديد المدن الأوربية القديمـة والحفـاظ علـى معالمـها حـتى اصبح جزءا أساسيا من الاهتمام بالبيئة الحضرية والتأكيد على الهوية.

إذن مرحلـة مـا بعـد الحداثـة تدعـو للخروج من مـأزق القطيعـة التاريخيـة إلى فسحة الانفتاح الكامل على التاريخ بعيدا عن الجمود الأيديولوجي الذي يدعو إليه دعـاة الانغـلاق. والاتجـاه نحـو تأسـيس جديد يقوم على الرجوع للبنى الثابتة والى

الأصول التي انقطع عنها. باحتواء المباني على الذاتيات والتاريخيات كالمحورية في التخطيط والحيوية الفردية في الجماليات والاستعارة من العمارة القديمة وعمرانها كرمز إلى النصوصية والتاريخية والتقليدية وغيرها من الاتجاهات المعمارية المحافظة. وهنا تبرز أهمية صيانة المدن القديمة لأنها صيانة للتقاليد المعمارية والعمرانية التخطيطية التي عبرت عن الهوية المحلية والتي تشكل مرجعية عند البحث عن تأصيل العمارة والعمران والتي تنادي بها أفكار ما بعد الحداثة التي تدعو إلى التأصيل.

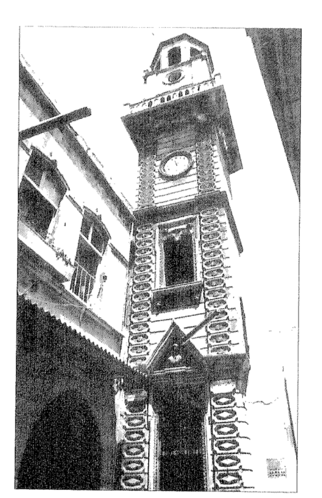
**خاتمة:**

منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي ظهرت في البلاد العربية يقظة عمرانية ومعمارية - ولو أنها جاءت متأخرة - يمكن وصفها بالتراثية أو التأصيلية، للحد من تدهور المدن القديمة وما تحتويه من معالم تراثية ورموز ثقافية من جهة، ولتقويم وتأصيل العمل العمراني والمعماري العربي لبلورة هوية عمرانية مميزة والمحافظة عليها وتطويرها، دفعتها ودعمتها لتحقيق هذه الأهداف؛ الهيئات والمنظمات الدولية التي تهتم بالتراث والثقافة مثل منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) التي دعت بإلحاح لإبراز الهوية الثقافية للأمم والشعوب في العالم، ولقد تبنت مشاريع قامت بدعمها ماديا وفنيا، لإحياء وصيانة التراث المعماري والعمراني وساهمت في توعية المسؤولين ومتخذي القرار والأفراد بأهمية التراث كمصدر أساسي لبناء مستقبل حضاري اكثر أصالة وقوة، وتبعت المنظمات الإقليمية هذا المسار مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (أسيسكو) وتأسست منظمات إقليمية حددت أهدافها في حماية وصيانة التراث مثل منظمة المدن العربية (الكويت) ومنظمة العواصم والمدن الإسلامية (جدة) واللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي (اسطنبول) ومؤسسة الاغا خان (بوسطن)، وقامت الدول بوضع قوانين لحماية التراث ووضع برامج واستراتيجيات لصيانة هذا التراث...



# الشواهد والأوابد الأثرية الأرمنية القديمة في سورية

ألكسندر كشيشيان*



## محافظة حلب

### كنيسة "الأربعين شهيداً" في حلب

تقع الكنيسة في حي الجديدة الذي قام بتشييده مسيحيو المدينة بعد تدمير تيمورلنك التركي لمبان عديدة في المدينة القديمة ورحيله عنها في عام ١٤٠٠م. بنى هؤلاء بيوتهم وكنائسهم خارج الأسوار. وقد ذُكر الحي من قبل القاضي والمؤرخ ابن الشحنة الحلبي في مؤلفه "الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب"وكان مشهوراً بتجاره المحليين الكبار بين الهند وأوروبا والعائلات المسيحية العريقة الذين قاموا ببناء الدور العربية الواسعة الجميلة. ورغم عدم سكن هؤلاء في الحي قبل القرن ١٥م إلا أن بعض الأوابد كانت موجودة حتى ذلك التاريخ ومنها كنيسة الأربعين شهيداً للأرمن الأرثوذكس. هي كنيسة قديمة تقع في بوابة الياسمين شُيدت على أنقاض كنيسة بيزنطية ولا يُعرف تاريخ بنائها الدقيق. يقول الدكتور محمد أسعد طلس في مؤلفه "الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب" أنها شُيدت في القرن ١٠م حسب تأكيدات بعض

* عضو اتحاد الكتاب العرب ومجلس إدارة العاديات.

رجال الدين الأرمن". وهناك احتمال آخر أيضاً بأنها شيدت في القرن ١١م على شكل كنيسة صغيرة ثم قامت الطائفة الأرمنية في الأعوام ١٤٥٢ و١٦٣٩ و١٨٦٩ بتوسيعها وترميمها فتحولت من كنيسة ذات بهو واحد إلى كنيسة ذات أبهاء ثلاثة والبهو الأوسط هو الأعرض مقارنة بالبهوين الجانبيين. نجد أمام المدخل الرئيسي الغربي للكنيسة أضرحة ثلاثة من البطاركة الأرمن: الكاثوليكوس بدروس (توفي عام ١٦٠٨) وخجادور (توفي عام ١٦٢٠) وآزاريا (توفي عام ١٦٠١). وكانت الكنيسة قبل عام ١٥٠٠ صغيرة فقامت عائلة الجلبي الأرمنية الحلبية الغنية جداً وذات النفوذ السياسي الكبير بتوسيعها عام ١٦١٦ إلى جانب أعمال البر العديدة التي كان يقوم بها سانوس وبيديك جلبي.

وقد جاءت كتابة على ساكف المدخل الرئيسي تؤكد على هذه الحقيقة كما ذكر مطران الأرمن في عشرينيات القرن الماضي أردافازد سورمايان واعتبُر في حينها أنه من الحكمة إزالتها بسبب إعدام الخوجا بيديك جلبي في قلعة حلب.

ويذكر الشيخ كامل الغزي في كتابه"تاريخ حلب"حول كيفية حصول الأمير بيديك على إذن بتوسيع الكنيسة قائلاً: ((في عام ١٦١٥ وصل السلطان العثماني مراد إلى حلب واستضافه الأمير الموسور الخوجا بيديك. وقد أمر الأمير بتحضير١٠٠ صنفاً من الأطعمة ووضعها في الصحون الصينية الفخفورية النفيسة لتقديمها للسلطان. وبعد انتهاء الوليمة قام الأمير بيديك بكسر جميع الصحون تحت أنظار السلطان المستغربة. وعندما سأله السلطان مراد عن السبب رد عليه قائلاً: ((ليس هناك إنسان بعدك يستحق تناول الطعام منها)). وتمتاز الكنيسة بالأيقونات واللوحات الزيتية الرائعة ومن أهمها صورة للعذراء مريم تعود إلى فن النهضة الأوروبية وتنتمي إلى مدرسة الفنان الكبير رفائيل ولوحة زيتية كبيرة حول "الدينونة الأخيرة" وبعض الأيقونات والمخطوطات الأرمنية الرائعة.

**المنشأة تحت أرضية كنيسة الأربعين شهيداً**

من فتحة ضيقة لا يمكن إلا لشخص واحد الولوج منها إلى الأسفل دخل المهندس المعماري المرحوم الصديق شاهي دير كيفوركيان إلى هذه المنشأة الأرضية المنقورة في كتلة حوارية وقام بدراستها وتحضير مخطط لمسقطها وقياسات غرفها وأخذ الصور الضوئية لها قبل حوالي العشرين عاماً. وكان المهندس قد قام قبل ذلك بالتنقيب في منطقة جبل سمعان تحت إشراف جورج تشالنكو وجهز درجة الدكتوراه على شكل كتاب تحت عنوان "علاقات هندسة العمارة المسيحية المبكّرة بين أرمينيا وسوريا"وهي دراسة مقارنة بين الكنائس السورية والأرمنية البازليكية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة بين القرنين ٤-٧م الذي ترجمه كاتب هذه الأسطر إلى اللغة العربية في عام ٢٠٠٢. ويفترض الباحث أن هذه المنشأة:

(أ) كانت مخبأ ومكاناً سرياً لعبادة المسيحيين الأوائل.

(ب) يعود تاريخ بنائها إلى الأعوام ما قبل سنة ٣٥٠م لأن المسيحية أضحت دين الدولة الرسمي بعد عام ٣٢٥م فقط وذلك بموجب مرسوم الامبراطور قسطنطين وتمكن السكان من العبادة بحرية وبناء






المنشأة تحت أرضية كنيسة الأربعين شهيد

معابدهم فوق الأرض ابتداء من الثلث الأخير للقرن ٤ م.

(ج) انطلاقاً من مزايا المنشأة المعمارية يُفترض أنها كنيسة وقد أُضيفت إليها بعض العاصر الدنيوية.

**لوحة "الدينونة الأخيرة والرسام نعمة الله**

بسبب الأحوال السياسية غير المواتية هاجر أرمن عديدون إلى إيران وتركيا وبولونيا وروسيا والهند بعد سقوط مملكة كيليكيا الأرمنية عام ١٣٧٥م تحت ضربات قوات مماليك مصر وشكلوا جاليات أرمنية نشيطة. وقد ظهرت الجالية الأرمنية في حلب منذ تلك الحقبة التاريخية الموغلة في القدم وكان معظم أفرادها من الطائفة الكاثوليكية في كيليكيا. الدينونة الأخيرة هي من أعمال الرسام يوسف المصور الكاثوليكي الأرمني الأصل الذي ولد في مدينة حلب وعاش فيها في القرن ١٧ وكان يوسف المصوّر والد نعمة الله من الشخصيات المثقفة جداً في عصره ويتقن عدة لغات فهو في الوقت ذاته مؤلف ومترجم وخطاط ورسام ومصور إيقونات.

وعدا الصور الزيتية زيّن يوسف المصور مخطوطات وأناجيل عديدة بالمنمنمات الملونة الجميلة وبخط عربي بديع. نجد نماذج عديدة من أعماله في المتاحف والمجموعات الخاصة العديدة.

ورغم التشكيك بأصله الأرمني الكاثوليكي يؤكد:

(١) جوزيف نصر الله في مؤلفه "ديوان المخطوطات اللبنانية" أن القس يوسف المصور رسام أرمني-كاثوليكي من القرن ١٧.

(٢) يؤكد الناحية ذاتها مؤرخ الطائفة اللاتينية الحلبية الأب فرديناند توتل في بحث له بعنوان:

[Contribution a l'Histoire d'Alep] Imprimerie Catholique,Beyrouth. Page 46-47.

(٣) جاء في مخطوطة أرمنية تحمل رقم ١٢٣ موجودة لدى المطرانية الأرمنية أن "المعلم يوسف المصور أوصى الخطاط الأرمني أسدفادزادور في ٢٣ تشرين الثاني عام ١٦٦٨ بتجهيز كتاب مقدس له.



لوحة الدينونة الأخيرة

(٤) دراسة الدكتورة مانيا غازاريان مديرة قسم الفنون في أكاديمية علوم أرمينيا.

مع ذلك يصر العلامة ومطران الروم الكاثوليك في حلب المرحوم ناوفيطوس إدلبي في دراسة رائعة له جاءت في "الكتاب السنوي للعاديات" لعام ١٩٧٥ تحت عنوان "الإيقونات الحلبية" بأن نعمة الله لم يكن أرمنياً قائلاً: ((لا نعرف إلا الشيء القليل عن حياة نعمة الله المصور ابن الخوري يوسف المصور وتلميذه وخلفه..

لقد عمل كثيراً في كنيسة الأربعين شهيداً للأرمن الأرثوذكس في حلب مما جعل البعض يعتقد خطأً بأنه كان أرمني الأصل والحقيقة أنه حلبي رومي ملكي شأن والده الخوري يوسف)). ويتابع المطران مؤكداً في حاشية دراسته "أن الأب اليسوعي فرديناند توتل هو الذي روّج لهذه الأسطورة" انطلاقاً من قول هذا الأخير "المصور نعمة بن الخوري يوسف المصور كان ينطق بالضاد ومن المرجّح كان من الجالية الأرمنية".

أيقونة "الدينونة الأخيرة" تزين أحد جداران كنيسة الأربعين شهيداً وتصل أبعادها إلى ٤٤٦x٣٧٥ سم وتمثّل اللوحة السماء والمطهر وجهنم وقد قام برسمها زعيم مدرسة الإيقونات الحلبية نعمة الله وابنه حنانيا ودون في أسفلها: ((صورها بيده الفانية الحقير القسيس نعمة الله بن الخوري يوسف المصور وابنه حنانيا ميساك كاهن بتاريخ ٧٢١٦ لأبينا آدم)) الموافق لعام ١٧٠٨م.

والصورة مقدمة إلى الكنيسة من المقدسي كركور شماع. وقد أجاد الفنانان تصوير قسمات أشخاصهما والحالة النفسية المعبرة لكل منهم حسب المكان الموجود فيه من شفافية وطهارة الفردوس إلى بشاعة نار جهنم وقسمات وجه الأبالسة فيها. وهناك أيقونات أخرى مشهورة عديدة في الكنيسة.

## كنيسة العذراء مريم

هي كنيسة صغيرة ذات بهو واحد تجاور كنيسة الأربعين شهيداً ويطلان سوية على باحة عامة. ذُكرت الكنيسة في مخطوطات تعود للأعوام ١٤٢٩م و١٤٧٦م. قام المطران الحلبي خاتشادور بترميمها وفي ثمانينيات القرن الماضي حُولت إلى متحف تُحفظ فيه الأواني والكؤوس الدينية وعصى المطارنة والمخطوطات القديمة وغيرها.

## كنيسة العذراء للأرمن الكاثوليك

قبل ظهور المبدأ الكاثوليكي بينهم كان الأرمن يصلّون سوية في كنيسة الأربعين شهيداً حتى اكتمال بناء هذه الكنيسة عام ١٨٧٠ في عهد المطرانين باسيليوس عيواظ وبليط وكان مدخلها من جهة ساحة فرحات في تلك الفترة وفي عام ١٩١٠ أصبح مدخلها الرئيسي من جهة شارع التلل. تُعتبر من الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة الجميلة وبعض مداميكها مرتبة بالأحجار الصفراء والبازلتية والحوارية البيضاء وتُذكرنا بفن البناء الإسلامي.

## الهوكيدون Hokedoun

"هوكيدون" كلمة أرمنية مركبة من Hoki=الروح وDoung نزل، بيت أي بيت الروح. لا يُعرف سبب هذه التسمية الحقيقي، إلا أن هناك فرضية تؤكد بأن هذه الآبدة سميت كذلك لأن الحجاج كانوا يطهُرون أرواحهم بحجهم إلى فلسطين والقدس الشريف.

يقع الهوكيدون في وسط سوق التلل تقريباً وله بوابتان كبيرتان أولاهما تُفتح على الشارع المذكور وثانيهما على حارة الصليبة الضيقة وكانتا في الماضي تُغلقان اتقاء لمختلف المخاطر كما في جميع أحياء مدننا القديمة.

أصبحت المسيحية دين الدولة الأرمنية الرسمي ابتداء من عام ٣٠١م قبل ربع قرن من تبنيها من قبل البيزنطيين في عام ٣٢٥م وبعد مدة قصيرة جداً جرى تدفق كبير للمؤمنين الأرمن من مناطق أرمينيا الكبرى التاريخية نحو الديار المقدسة لزيارة قبر السيد المسيح وذلك على محورين: أرمينيا . حلب . دمشق . القدس وأرمينيا . اللاذقية . بيروت . القدس. وقد تجمّع الحجاج مع مرور الوقت حول دير القديس يعقوب وابتنوا بيوتاً بالقرب منه وتشكلت الجالية الأرمنية المقدسية ابتداء من العصور المسيحية المبكّرة جداً.

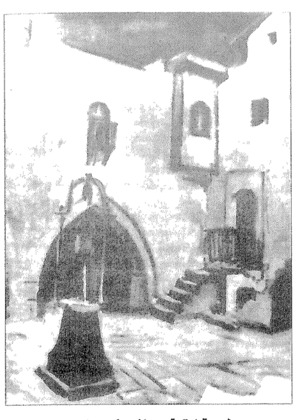
أما رجال الدين الأرمن والعاملون في

الأديرة والكنائس هناك فقد كانوا يعتمدون على عطايا الحجاج وموارد الأوقاف الأرمنية البسيطة.

وبسبب الحروب المستمرة على أرض أرمينيا لقرون عديدة شحّت موارد هؤلاء لذلك فكّرت الجهات المسؤولة عن الدير في القدس بخلق وسائل مناسبة لتسهيل عملية وصول الحجاج وذلك بتأمين إقامة مريحة لهم. ومن هنا بالذات ظهرت ضرورة تشييد النزول (الهوكيدون) أو الخانات في كل من حلب ودمشق واللاذقية وبيروت فقد كانت فنادق مريحة حسب معايير تلك الحقبة الزمنية. شُيدت هذه الهوكيدونات من قبل الموسرين الأرمن وكانت العادة نقش اسم المحسن على واجهة البناء أو على نجفة الباب والتاريخ بالأحرف الأرمنية. وتصل مساحة هوكيدون حلب إلى ٤٣٠ م٢ ويحتوي على ٢٣ غرفة وكان فيه فرن وبئر وقد تم بناؤه في عام ١٦٢٤.

بناء على دراسة مطران الأرمن الأرثوذكس في ثلاثينيات القرن الماضي Súrmeyan Ardavazt صاحب ثلاث دراسات كبيرة: "تاريخ سوريا" و"تاريخ حلب" و"تاريخ الأرمن في حلب" جاءت الكتابة الأرمنية التالية على حجر أساس هذا الصرح المعماري: ((في عهد الأسقف كريكور مطران القدس الشريف وبعون الله شيّد هذا الهوكيدون لذكرى يعقوب والخوجا غريبجان ديلانجي من Van وشقيقه هوفسيب وولديه أميرخان وصاروخان وأحفاده دافيد وسانكار ومريم وناظار وغازار في عام ١٦٢٤)).

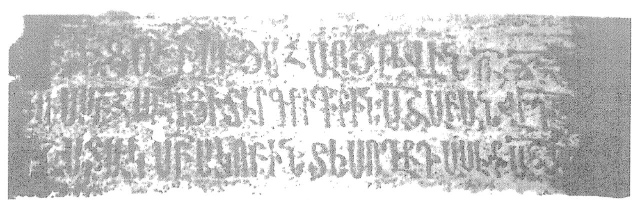
توسعت مساحة الهوكيدون تدريجياً مع الوقت ووصل مسقطه وشكله إلى ما هو عليه اليوم. وبعون المحسنين والأغنياء



لوحة زيتية عن الهوكيدون

الأرمن أضيفت إليه غرف صغيرة وكبيرة حيث يبيت الحجاج الآتون من مناطق أرمينيا العديدة مثل Van وBagesh وJougha وAladagh وzmúrnia (سميرنة) وغيرها تخليداً لذكراهم وذكرى ذويهم.

من المفيد أن نذكر هنا أيضاً بأن هوكيدون حلب وبعد أن فقد أهميته ووظيفته كفندق تحول إلى مأوى للمهجّرين الأرمن من تركيا عام ١٩١٥ وبعد ذلك سكنت في غرفه عائلات فقيرة أرمنية حتى خمسينيات القرن الماضي وشغلت بعض غرفه مطابع أرمنية مشهورة مثل Nayiri وArax وDikris وVoskedar ونادي اليرموك الحالي وتحول هذا النزل العريق مع الأسف الشديد إلى "سوق النسوان" كما ينعتونه فطمس الجهل كما هي العادة في بلادنا بعض معالمه وكتاباته الأرمنية



كتابة أرمنية في الهوكيدون

الجميلة التي تشهد على تاريخه. والأمل أن تقوم الدولة بالاهتمام بهذه الآبدة لأنها جزء عضوي لا يتجزأ من تراث وتاريخ حلب القديمة.

كانت أرضية الهوكيدون مغطاة بألواح حجرية منحوتة كبيرة وفي وسطه بركتان صغيرتان جميلتان بقيتا في المكان حتى عام ١٩٤٩ وتم قلع الألواح الحجرية البيضاء ورُصفت الأرضية بالبلاطات الإسمنية الفضية البشعة. وكان بئر ماء يقع في وسط الباحة سُدت فتحته مع عمليات التبليط.

تمّ اكتشاف ١٣ كتابة باللغة الأرمنية على جدران ونجفات أبواب الهوكيدون وهي عبارة عن أسماء المحسنين والأغنياء الأرمن الذين تبرعوا لبناء هذا النزل قام بدراستها وإتمام نصوصها بشكل علمي البروفيسور ليفون خاتشيكيان مدير دار المخطوطات السابق في يريفان عاصمة أرمينيا.

### الكتابة على البرج الرئيسي لقلعة حلب

انتهت الحروب الطاحنة بين المماليك والتتار بانتصار السلطان المنصور القلاوون في عام ١٢٨١. وقد قام هذا بترميم قلعة حلب التي دمرها هولاغو خان وأمر بنقش أخبار انتصاراته على الوجه الأمامي لبوابة القلعة الرئيسية بكتابة نسخية جميلة يصل طولها إلى ٨٠م وعرضها إلى ٥٠،٠م حيث جاء ذكر الأرمن. أقدم النص الكامل:

((بسمله. أمر بعمارتها بعد دثورها مولانا السلطان الاعظم الملك الاشرف العالم العادل الغازي المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المظفر المنصور صلاح الدنيا والدين أوحد الملوك ناصر الإسلام والمسلمين عماد الدولة ركن الملة مجير الأمة ظهير الخلافة نصير الإمامة سيد الملوك والسلاطين سلطان جيوش الموحدين ناصر الحق بالبراهين محيي العدل في العالمين مبيد الخوارج والمتمردين قاتل الكفرة والملحدين قاهر الطغاة والمارقين قامع عبدة الصلبان اسكندر الزمان فاتح الأمصار وهازم جيوش الفرنج والارمن والتتار هادم عكا والبلاد الساحلية محيي الدولة الشريفة العباسية ناصر الملة المحمدية خليل بن السلطان الملك المنصور قلاون اعز الله انصاره وذلك في سنة احد وتسعين وستمائة بالاشارة العالية المولوية الاميرية الكبيرة الشمسية قراسنقر الجوكوندار المنصوري الشريف كافل المملكة اللبية اعز الله انصاره)).

### دار وكيل

تقع في حارة السيسي في حي الجديدة وهي محفوظة بشكل جيد وتمتاز ببركتها الجميلة ونقوشها وزخارفها على خشبيات الغرفتين المجاورتين للإيوان.

وكانت إحدى قاعاتها الكبيرة تحتوي على جدران خشبية أمر بصنعها عيسى بن بدروس السمسار الأرمني في عام ١٠١٢ هـ=١٦٠٣م حيث نجد أن ملامح الأشخاص المرسومة فارسية والثياب تركية وعليها مناظر طبيعية من نباتات وحيوانات وصيد ومشاهد دينية من العهد القديم وصورة للعذراء مريم مع الطفل المسيح والقديس جاورجيوس وبعض الأشعار والحكم بالأبجدية العربية المذهّبة والفضية.

وقد اشترت هذه الخشبية السيدة الألمانية مارتا كوخ في عام ١٩١٢ ب ١٠٠٠ ليرة عثمانية ذهبية ووضعتها في متحف برلين تحت اسم "الغرفة الحلبية". وتعتبر هذه الخشبية من أندر وأجمل الخشبيات في الدور العربية في القطر.

كانت هذه الدار مأوىً لعجزة طائفة الروم الأرثوذكس وبعد ترميمها تستثمر الآن كمطعم وفندق صغير للسياح.

### بيت غزالة

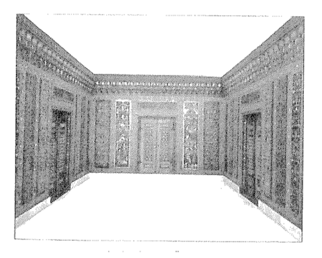
من أجمل الأوابد الأرمنية من القرن ١٧ التي تقع في شارع قسطل أبشير باشا وسوق الصاغة ومن أكبر وأوسع الدور في حي الجديدة حيث كانت تقطنها عائلة مؤلفة من ٤٥ شخصاً.

وكان لهذه الدار حمام خاص كبير يتسع لعدة أشخاص في آن واحد وفيها ثمان خلوات للاستحمام. وتتميز الدار بباحتها وإيوانها ومضافتها الواسعة حيث لا تزال الجدران الخشبية تغطيها. وقد جاءت في إحدى زوايا الغرف الشمالية الكتابة العربية التالية التي تدل على مالكها: ((أنشأ هذا المكان المبارك خجادور بن مراد بالي سنة (١٦٩١)). وتحتوي الدار على باحة واسعة جداً تطل عليها واجهة حجرية شمالية بديعة الزخرفة وقام إلى الجنوب منها إيوان كبير وغرف واسعة وإلى الغرب القاعة الرئيسية التي تمتاز بزخرفة جدرانها الخشبية المطعّمة بالذهب وعليها أشكال النباتات والحيوانات.

وقد سكنت الدار بعد هذه العائلة الأرمنية عائلتا سابا وغزالة ثم تحولت إلى مدرسة ألمانية في بداية القرن ٢٠ وبعدئذ إلى مدرسة ابتدائية أرمنية ثم أُخليت ووُضعت تحت تصرف مجلس المدينة في تسعينيات القرن الماضي لتحويلها إلى متحف.

### مقبرة الأرمن في مدينة حلب

تحوز على قيمة تاريخية وأثرية وهندسية كبيرة. تؤكد الوثائق التاريخية المؤكدة على وجود الأرمن في سوريا وبلاد الشام ابتداء من القرون ما قبل الميلادية إلا أن تشكل جالية أرمنية بكنيستها



جدارية بيت الوكيل

ومطرانيتها ومقبرتها ومؤسساتها الأخرى بدأ في الربع الأول من القرن ١٥. انطلاقاً من ظروف عمرانية وأسباب أخرى مرّت المقبرة بثلاث مراحل وهي:

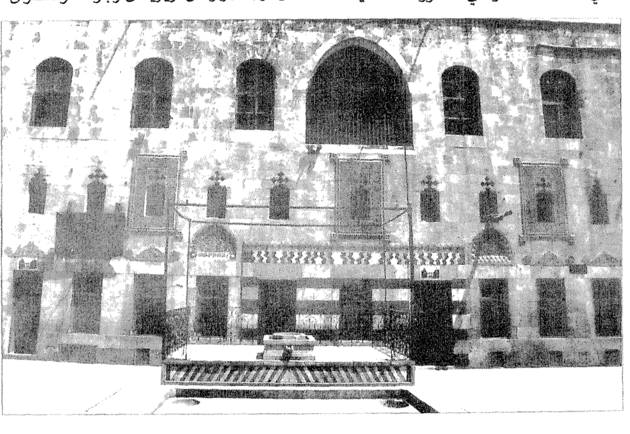
(أ) الحقبة بين القرنين ١٤-١٦م (عام ١٥٧٩)كانت المقبرة تقع على قطعة أرض ضمن أسوار كنيستي الأربعين شهيداً والعذراء مريم الحاليتين في حي الصليبة وكان يدفن فيها رجال الدين والمدنيين معاً. وقد دُفن في هذا المكان بطاركة الأرمن في سيس مثل آزاريا جوغايتسي-١٦٠١ وبدروس كاركاراتسي Gargaretsi-١٦٠٨ ومكرديج كيفسيزيان-١٨٩٤ وبابكين-١٩٣٦. وقد اختفت شواهد والصلبان الحجرية لهذه المقبرة وتم تثبيت بعضها على جدران الكنيسة.

ويعود فن هندسة وحفر هذه الأنصاب إلى مدرسة جوغا الفارسية الأرمنية بين عامي ١٤٥٢-١٦٠٤ وهي منقورة عادة في الحجر الكلسي الأبيض وهناك أنصاب أيضاً جهّزت بحجر جعيدين الأصفر وتحتوي على كتابات أرمنية ونقوش جميلة. ونجد بأن تواريخ هذه المدافن تتراوح بين عامي ١٦٠٨ و١٨٥٧.

(ب) نقلت الرفات إلى المقبرة الجديدة التابعة لجميع مسيحيي حلب التي كانت تقع في حي العزيزية على الجهة الشمالية الغربية من المدينة في عام ١٥٧٩.

وقد اتفقت الطوائف المسيحية على تشييد سور حول المقبرة وتم ذلك بين عامي ١٨٩٤--١٩٠٠.

وكانت مدافن القسم الأرمني بسيطة الشكل ومنحوتة بالصخر الأصفر عامة وبالطراز الأرمني رغم وجود قبور تبنى أصحابها الفن المحلي العربي. وقد دُفنت فيها شخصيات أرمنية مرموقة من أرمن حلب والنازحين من مدن أرمينيا كفان وعرب كير وآكن ويريفان وجوغا. ولمطران



حلب الأسبق أردافازد سورمايان دراسة مفصلة كبيرة حول كتابات شواهد المقبرة تعود إلى الحقبة الممتدة بين عامي ١٥٨١-١٨٥٠.

(ج) بسبب التوسع العمراني أصدرت محافظة حلب قراراً بإغلاق مقبرة المسيحيين في ١ شباط عام ١٩٢٧ ونقل رفات موتاهم إلى مقبرة الشيخ مقصود الجديدة على الطرف الشمالي-الغربي من المدينة.

وتصل مساحة مقبرة الأرمن (الأرمن يشكلون ٥٠٪ من عدد المسيحيين في حلب) إلى ٣٤،٦٨٥ م٢ فقام المجلس الملي في عام ١٩٣١ بتسويرها وجرت عليها ترميمات وترتيبات داخلية وتجميل في الأعوام ١٩٧٣ و١٩٧٧ و١٩٨٠ و١٩٨٥ و١٩٨٧-١٩٨٩ وذلك بشق طرق أسفلتية وتمديد الأسلاك الكهربائية وأنابيب الماء وبناء أنصاب وطنية ودينية مختلفة رائعة وترقيم جميع القبور فيها التي يصل عددها إلى ٨٢٥٣ قبراً.

## محافظة دير الزور

### كتابات أرمنية في صحراء دير الزور

كان للتجار الأرمن في أرمينيا ومدينة جوغا الفارسية علاقات تجارية واسعة جداً مع تجار حلب الأرمن والعرب والقنصليات الأجنبية وخاصة بين القرنين ١٦-١٨ إلى درجة أن مدير الجمارك في الشهباء كان تاجر الحرير الأرمني سانوس جلبي الذي كان وكيل ملك هولندا التجاري في المدينة وأصله من جوغا.

وكانت قوافل الإبل التجارية تتجه من إيران إلى حلب ثم إلى الإسكندرون عبر مدينة حلب. وقد ترك بعض التجار الأرمن كتابات تذكارية على طريق سيرهم في الصحراء السورية وغيرها. وقد اكتشف هذه الكتابات الأرمنية رسام متحف حلب نوبار بارطاميان في أيار عام ١٩٦٥ جنوبي مدينة دير الزور وعلى بعد ٩٠ كم عنها ويصل عددها إلى ٢٠ كتابة والتأريخ فيه بالأبجدية الأرمنية. نقدم فحوى بعض منها:

(١) ليحفظ الله أهل جوغا

(٢) أنا بدروس بن كريكور صلوا من أجلي كي يغفر الله عن خطاياي ١٦٢٨

(٣) أنا طاسالي بن كاسبار ١٦٢٨

(٤) طاسالي بن أفيديك أغايفالي بن مراد آزار بن كاسبار ١٦٢٨

## محافظة اللاذقية

تتألف الأوابد الأرمنية القديمة في محافظة اللاذقية من الهوكيدون وكنيسة مريم ومدرسة في باحة الكنيسة (مدينة اللاذقية) وبعض الكنائس والمزارات المندثرة في القرى الأرمنية (بلدة كسب) وكنيستين (قرية آرامو) وكنيسة (قرية اليعقوبية) وكنيسة (قرية القنية). كانت جميع هذه الأملاك من أوقاف دير الأرمن في القدس وكانت تدار من قبل رهبان معينين.

### هوكيدون اللاذقية

يتألف من ٢٥ غرفة مبيت على طابقين فقد شُيد في عام ١٧٥٥ كنزل للحجاج المتجهين من مختلف مقاطعات أرمينيا إلى الأراضي المقدسة في فلسطين.

وقد تأكدنا من تاريخ بناء هذا النزل من نقش كتابي أرمني فوق ساكف المدخل الأمامي للهوكيدون بالتأريخ الأرمني وهو

عـام ١٢٥٤ أي عـام ١٧٥٥ ميـلادي بعـد إضافـة ٥٠١ سـنة. ونقـرأ في هـذه الكتابـة أيضـاً أن أحـد تجـار الصدفيـات الأرمـن الحلبيـين هـاكوب تـبرع لبنـاء هـذا الـنزل لتخليد روحه ووالديه.

### قرية آرامو

تقـع على الجهـة الشمالية الغربيـة مـن صلنفة على بعد ١٠ كم تقريباً. فيها ثـلاث كنائس أرمنية الواحدة منها المنقـورة كاملة في الصخـر حولهـا السـكان المسـلمون إلى مـزار للخضـر. وتقـع هاتـان الكنيسـتان في غابـة علـى الطـرف الشـمالي الغـربي مـن القرية والكنيسة الثالثة تقع في القرية حيث لم يبـق مـن السـكان الأرمـن سـوى بعـض العائلات عوضاً عن ٥٠ عائلة كانت تقطنها قبل سنوات. ويتألف مقام الخضر من فراغ كبير منحوت في صخور الجبل يُدل إليه من بـاب منخفض عليه رسـم صليـب ويحتـوي علـى مذبـح يرمـز للخضـر(القديـس جاورجيوس) وقد رُسمت عليـه صلبـان مـن الطـراز الأرمـني القـديم المعـروف وهنـاك صلبـان عديـدة أيضـاً خلـف المذبـح وعلـى الجدار الأمامي للمزار من الجهة الخارجية. وعلـى الجهـة اليمـنى لبـاب المقـام توجـد صخرة كبيرة نُقرت فيها فتحة عميقة يمرّر المؤمنـون مـن خلالهـا أطفـالهم الصغـار اعتقـاداً منهم أنهـا تباركهم وتشـفيهم مـن الأمـراض المستعصية. وتعـود هـذه الكنيسـة إلى العهود البدائية لانتشار الدين المسيحي ويعتقد أنها من القرن ٤-٥م.

وعلـى بعـد ١٠ م مـن هـذه الكنيسـة-المـزار توجـد كنيسـة السـيدة العـذراء الصغيرة ذات البـهو الواحـد ويعـود بناؤهـا حسب المصادر التاريخيـة الأرمنيـة الموثقـة إلى عـام ١٤٤٤م وهـي في حالـة لا بـأس بهـا وتحتاج إلى الترميم.

وقـد جـهزت المهندسـة المعمارية هـوري بارسـوميان ملفـين حـول الموقـع: الملـف الأول دراسـة تاريخيـة-هندسـية-طبوغرافيـة حـول الموقـع وملـف ثـان حـول الترميم والحفاظ عليهما كآبدتين سوريتين قديمتـين ووضعـهما تحـت رعايـة المديريـة العامة للآثار والمتاحف.

### قرية القنية

إلى الشـمال مـن جسـر الشـغور ب ١٧ كم كانت تمـر الطريق الرومانية علـى محـور أنطاكيـا -دركـوش في العصـور الكلاسـيكية. زارهـا الرحالـة الأثـري سميـث في عـام ١٨٤٨ ويقول عنها: (هي بلدة مسيحية كان يحكمها الأرمـن الذيـن يتكلمـون اللغـة العربيـة وإلى جوارهـا تقـع قريـة كفـر دبـين الـتي كـانت للأرمـن سـابقاً). وإذا قمنـا بزيـارة مقبرتهـا سنرى أن معظـم المتوفـين هـم مـن الأرمـن وشواهد القبور مع ذلك كتبت باللغة العربية. وقـد تحـول جميـع أرمـن القريـة مـن الأرثوذكسية الأرمنيـة إلى المذهـب اللاتيني وتعربوا كاملة.

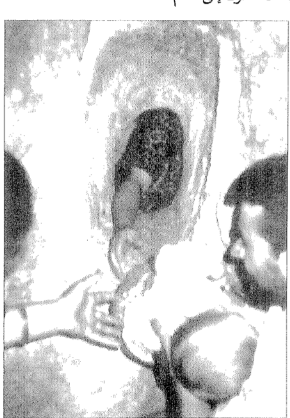
### قرية اليعقوبية

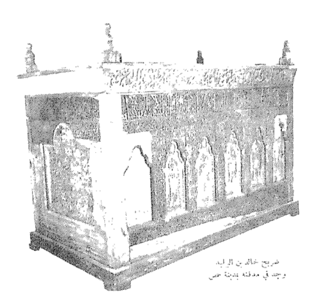
تقـع إلى الغـرب مـن القنيـة بـ١ كـم وتعتبر من المصايف منذ القديم وخاصة في عيد قديستهم آنّا في شهر آب من كل سنة ولها إطلالة جميلة جداً نحو الشرق ووادي القنيـة والعـاصي والـروج وجميـع سـكانها الحـاليين مـن الأرمـن الأرثوذكس ويتكلمـون بالعربيـة أكـثر طلاقـة مـن الأرمنيـة. وفي اليعقوبية كنيسة ذات بهو واحد بسيطة جداً شُيدت في الفترة المملوكية في عـام ١٣٢٠م كما أشار القلقشندي.

## محافظة دمشق

الأرمن موجودون في مدينة دمشق منذ الأزمنة البعيدة ويقل عددهم أو يزيد حسب الأوضاع العامة في البلاد. ويعيش الآن في ربوعها حوالي ٥،٠٠٠ فرداً فقط.

تقع كنيسة القديس سركيس الأرمنية قرب الباب الشرقي وقد جاءت كتابة أرمنية على لوحة هلالية الشكل فوق ساكف مدخلها الرئيسي بأنها شيدت في عام ١٨٦٧. وتقع بناية المطرانية إلى جانبها. وبناء على نقش كتابي أرمني تأسست في عام ١٩٠٦. وفي الكنيسة آنية ذهبية وفضية نفيسة أهديت من قبل المؤمنين وعليها نص الإهداء واسم المحسن وتاريخ الإهداء. وأقدم قطعة فيها تعود إلى عام ١٨٦٣. ومن أقدم الشواهد القبرية في مقبرة الأرمن واحدة تعود إلى عام ١٨٢١.





ضريح خالد بن الوليد
وجد في مدفنه بمدينة حمص

## ضريح القائد الصحابي خالد بن الوليد

ضريح من الخشب النفيس المحفور مزين بكتابات قرآنية من الخط الثلث والكوفي المعقد وزخارف نباتية متداخلة موجود في المتحف الوطني في دمشق في قسم "الخشبيات" جاء عليه (أمر بصنعه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي سنة ٦٤٤ هـ=١٢٦٥م إحياء لذكرى البطل الفاتح خالد بن الوليد في حمص وذلك بمناسبة انتصار المسلمين على المملكة الأرمنية في كيليكيا وفتحهم عاصمتها سيس).

### المصادر المستخدمة


١- (دليل المتحف الوطني بدمشق) ١٩٦ - محمد أبو فرج العش وعدنان الجندي وبشير زهدي.
٢- كتاب "العاديات" السنوي - ١٩٧٥.
٣- (الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب) - محمد أسعد طلس. ١٩٥٦
٤- (الرحالة في محافظة إدلب) - فائز قوصرة - الجزء الثاني.
٥- (تاريخ المقبرة الأرمنية في حلب) - المطران أردافازد سورمايان - ١٩٣٥
٦- (مقبرة أرمن حلب) - المهندسة هوري عزازيان مجلة كانتساسار - ٢٠٠٥
٧- (سلسلة الجبال الساحلية) - إبراهيم العميري.

# خانات حلب القديمة

وضاح مصطفى سواس *

حلب القديمة المعاصرة، حلب التاريخ، تدهش القاصي والداني لما تتمتع به من مكانة ثقافية وفنية وحضارية عبر المسيرة الإنسانية بدءاً بالاستيطان الأول في جوار قويق النهر المقدس (خاليس) وانتهاء بالقرن العشرين، ونحن نعبر إلى القرن الذي يليه، وحلب تتمتع بنسيجها القديم الممتد نحو الحداثة فالأحدث.

ونحن إن كنا نمجد المدينة فلأنها تستحق. وليس الاستحقاق من باب الإطراء والمديح بل هي المدينة التي بلغت ذروة النشاط الاجتماعي والتجاري والثقافي والسياسي في عصر من العصور وأفرزت معطيات أثرت في قناة من قنوات الحركة العالمية ولتكن مثلاً التجارة.

هل نقف عند المأثور التاريخي القائل:

**«المساجد لاستنبول والحمامات لدمشق والخانات لحلب»**

وإن كانت دمشق شام الشريف فحلب التجارة وفي المأثور الشعبي القائل:

**«أعرج حلب وصل إلى الهند»**

كناية عن شطارة الحلبيين بالأمور التجارية، وأواصل استذكار الأمثلة لإيضاح المكانة التجارية لحلب، فما كان يباع في أسواق القاهرة خلال شهر كان يباع بأسواق حلب خلال يوم، وهذه معرة النعمان الطفل الحفيد لأسواق حلب حيث يقال:

**«سوق المعرة ألف بياع ولا شَرّه»**

إن الموقع الاستراتيجي لحلب القديمة كنواة انطلاق ومركز عبور بين الرافدين والمتوسط والأناضول وبلاد الشام، فالجزيرة العربية أو مصر تجعلنا نحتم بل نجزم القيمة الكبيرة لحلب بالموقع الهام، وهذا ما تطلب بناء الخانات عبر الأزمنة لاستيعاب القوافل

---

* باحث سوري في مجال التراث.

التجارية وتقديم التسهيلات الخدمية للتجار فهي بخاناتها التي نافت (٦٨) خان كما يحصيهم علامة حلب المرحوم الشيخ راغب الطباخ في أعلام النبلاء، أعيت المؤرخين بأن يجدوا خانات على مستوى الخمس نجوم في عصرنا الراهن في مدن العالم القديم، وقد خدّمت فنادقها كما هو الحال خانات حلب، لقد اقترنت الكنيسة الصغرى بالمسجد، وأقيمت القنصليات داخل الخانات، وأبدعت يد الفنان الحلبي بمهارة فائقة زخارف جصية نباتية وهندسية فاقت ما يعجز اللسان عن ذكره، استطاع المعمار أن يطوع الحجر بليونة بالغة وكأنه العجين المضفور بالأفاريز والمطعج على شكل محاريب، والمنزّل بالمزرزرات والمنقوش نحتاً بسقوف الأبواب على هيئة الصدف البحري والمقرنصات ويدهش المرء لهذه الواجهات التي تحتشد بها زخارف نباتية وهندسية بديعة ورنوك تشير إلى الفترة التي تمت عمارة الخان أو بشكل رنك زخرفي لتصادفك حركة مدماك الأبلق من تناوب للحجارة الصفراء والسوداء.

كلمة خان تعني الملك وهي اختصار (خاقان) التترية لكنها بالعربية تخالف المعنى فهي نزل للمسافرين ومحطة للقوافل ومستودع لبضائعهم أضف إلى كون الخان معرضاً مؤقتاً لبضائع التجار وسوقاً صغيراً للتبادل البضائعي بين أمصار وبلدان يلتقي الهندي بالتركي والمغربي بالأوربي يتبادلون البضائع فقال جاك سواري في قاموسه التجاري:

لا تضاهي حلب بلدة في تجارتها وخاناتها المكتظة بالتجار من كل الأمصار والبلدان.

إن بروز الخانات في البلاد الإسلامية يرقى إلى عهد المماليك ثم الفترة العثمانية على امتداد القرون الأربعة لكن ومع ذلك لا يرقى الشك إلى معرفة العرب بالخانات منذ عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٩ هـ. ٧٢٨ م) وربما أقدم، فخان الخليفة هشام يعتبر اليوم من الخانات الأولى الإسلامية وهو قريب من قصر الحير بالبادية السورية.

## وصف الخان

يحيط بالساحة الداخلية الواسعة للخان طابقان على مستويين، الأرضي يمثل مستودعات البضائع وإسطبلات الخيول والإبل، والطابق العلوي هو عبارة عن غرف منامة للتجار ومكاتب الاستقبال وعقد الصفقات التجارية.

نلج إلى الخان عبر باب كبير يفتح أثناء دخول وخروج القافلة وهو مصنوع من الحديد المطرق أو النحاس المثبت بمسامير حديدية بحركة زخرفية، وربما تشكل رنوك لوظائف المماليك لدى السلطان، أو ترى الرنوك على الواجهة الحجرية وهناك باب صغير مثبت إلى الدرفة اليمنى من الباب الكبير تسمى (الخوخة) لدخول الناس والنزلاء ولاحتياطات أمنية في الليل، ثم ندخل إلى بوابة مسقوفة بالشكل الغمس وبجانبها غالباً مصعدان من حجر الرخام أو المرمر يوصلان للطابق العلوي حيث

الـرواق المؤطـر لغـرف المبيـت، تقطـع الواجهة الداخلية للطابق العلوي في الرواق عضائد أو أعمدة تحمل أقواساً.

إن معظـم تشـكيلة الخانـات الحلبيـة علـى هيئـة مربـع طـول ضلعـه يصـل إلى (٦٠) متراً وسماكة الجدار من (١ - ١.٥) متراً يطل على باحـة مربعـة تشـرف علـى أروقـة الطـابق العلـوي وأجنحـة الطـابق الأرضـي حيث لا يتجـاوز إرتفـاع العلـوي أكـثر مـن ثمانيـة أمتـار، وعـادة يتوسـط الباحـة مسـجد مربـع أو مثمـن ولـه قبـة مـدورة عثمانيـة الطـراز وبجـوار المسـجد قسطل للشرب

ويتـوزع القسـطل علـى واجهـة البـاب الخـارجي قسطل للشـرب لعـابري السـبيل وآخر للحيوانات كحال خان الوزير.

ولقد سكنت بعض الخانـات من قبل قناصل بعض الدول رغبة منهم أن يكونوا بـالقرب مـن تجـارة بلدانهـم ومصـالح رعايـاهم ولوفـرة الأمـن بهـذه الحصـون الصغيرة.

## جولة في خانات الشهباء

**❖ خان الصابون:**

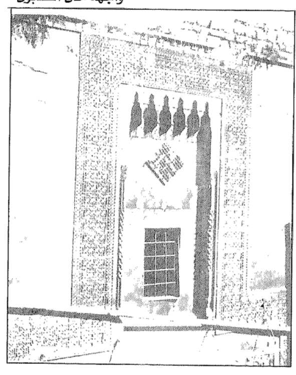
يقع داخل أسواق حلب القديمة سوق الطيبيـة، يتمـيز بجبهتـه ذات النقـوش الرائعة التي لا مثيل لها في خانـات حلـب وهـو بنـاء الأمـير أزدمـر بـن مزيـد أواخـر القـرن الخـامس عشـر الميـلادي وأواخـر القـرن التاسـع الهجـري كـان في الخـان المدرسـة الفاروقيـة وفيـه حاليـاً مختلـف البضائع ومكتبة للكتب التراثية، تم تشويه الواجهـة الداخليـة حـين قـامت الأوقـاف ببنـاء وقـف لهـا سـدّ الإيـوان ذو الزخـارف البديعة وشوه بحجر وملاط.

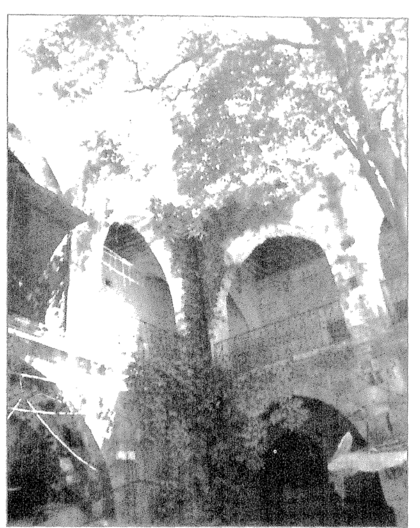
**❖ خان قورت بك:**

يسميه العامة قرطبة وهو في الواقع خان قورت بك نسبة إلى بانيه والي حلب قورت بك بن خسرو باشا الذي حكم حلب سـنة (٩٣٨ هـ - ١٥٣١م) ثم تـولى ولايـة مصر ٩٤١هـ، ثم وزيراً للسلطان العثماني سليمان.

يقـع الخـان في محلـة سـويقة علـي والمؤكد أن الخان يجمع البناء المملوكي ثم يتبعه بالبنـاء العثماني، وقـراءة سـريعة للكتابـة والرنـوك علـى الجـدار الشـرقي يوضـح تأكيدنـا، ويعتـبر مـن الخانـات الكبرى في حلب ذو مدخل أشبه بالحصن ويمتاز عن بقية خانات حلب بعناق الطراز المملوكي للعثماني وكنّا نشـاهد الفسـقية

واجهة خان الصابون





الفناء الداخلي لخان قورت بيك

المفصصة في ساحة الخان وهي من أجمل فسقيّات العالم الإسلامي تشابهها فسقيّة مدرسة الفردوس، وسدّت القناطر وعلاه ورشات صغيرة أتلفت معالمه البديعة والذي كان في أيام قورت بك وقفاً للمدرسة الخسروفية التي بناها والده والي حلب خسرو باشا.

❖ **خان العطشان:**

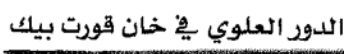
وهو أوج خان في العثمانية وتعني الخانات الثلاث يقع في محلة سوق النحاسين من بناء نائب السلطنة المملوكية خاير بك سنة (١٥١٥م - ٩٢٠هـ) وعرف بخان العطشان.

تعتبر بوابة الدخول والواجهة الأمامية لهذا الخان آية في فن الزخرفة والنقش العربي الإسلامي وختام الفنون المملوكية في حلب لكن الخان تعرض للتجديد التطفلي بأسلوب عشوائي من قبل أصحاب الحوانيت في داخله واختفت درفتا الباب الأصلي.

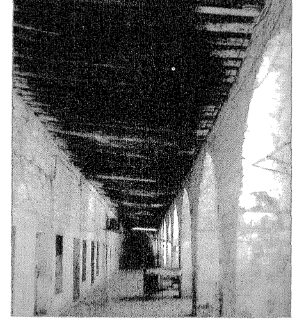
❖ **خان الوزير:**

تم بناء هذا الخان في عهد السلطان محمد الرابع العثماني (١٠٩٣هـ - ١٦٨٢م) حيث قام بالبناء والي حلب آنذاك، ثم أصبح وزيراً للسلطنة في الآستانة.

يقع في محلة المدينة في الطريق الواصلة بين الجامع



الدور العلوي في خان قورت بيك





باحة خان الوزير

الأموي الكبير والقلعة قبالة المطبخ العجمي وبجوار جامع الصاحب (جامع فستق) وكانت حمام الواساني التي هدمت بعد فتح الجادة مع اقتطاع جزء من الخان وآخر من المطبخ العجمي، وبالقرب من الخان وبجوار أصلان داده المدرسة الجرد كية من عمارة عز الدين جردك بك النوري.

يأتي خان الوزير في طليعة خانات الشهباء من حيث غناه بالزخارف والمدماك والنوافذ ذات المشابك المعدنية المزخرفة وهو الخان الوحيد الذي يتميز بواجهتين مزخرفتين خارجية وداخلية، ويضم في جدار الواجهة الخارجية قسطلاً للماء وآخر لشرب البهائم ويأتي وصفه شبيهاً من حيث التوزيع البنائي والطابقي لخانات حلب لكن الجهة الشمالية من الخان أزيلت تماماً بعد تعريض وفتح الجادة وتم بناء جبهة ثانية على طراز الأصلية بعد تصغير حجم الخان كما تبدلت مهمة المسجد في وسط الباحة إلى محلات تجارية لبيع الأقمشة والتحف الشرقية.

### ❖ خان القصابية:

القصابية نسبة للسوق المقابل للخان الواقع في أسواق المدينة وتحديداً

في محلة جب أسد الله في سوق القصابية من بناء نائب القلعة الحلبية الأمير أبرك الأشرفي في زمن السلطان قانصوه الغوري سنة ٩١٦ هـ/١٥١٠م، وأبرك الأشرفي هو الذي بنى باب الحديد سنة (٩١٦ هـ) ونلاحظ أن مهمته مسجّلة على يسار المدخل مطلع الطابق العلوي.

**❖ خان خاير بك:**

هو من بناء الأمير المملوكي خاير بك سنة (٩٢٠هـ - ١٥١٥م) يقع في محلة سويقة علي الملاحظ أن القاعة العظمى ليست من إنشاء خاير بك لكنها ضمت إلى الخان يعتبر خان خاير بك فريداً بالهندسة المعمارية وحسن التخطيط. ويشكّل ثلاث خانات متصلة مع بعضها.

**❖ خان الحبال:**

أقيم أيام العثمانيين ودعى خان الفرنسية لأنه ضم القنصلية الفرنسية في فترة زمنية. نجد أن مدماك الواجهة يصبغ على المدخل جمالية هذا الخان، يقع في سوق الحبال من أسواق المدينة المسقوفة.

**❖ خان الكمرك أو الجمرك:**

يقع في امتداد سوق باب أنطاكية من أسواق المدينة في محلة سويقة علي، وهو من بناء والي حلب العثماني إبراهيم خان زاد محمد باشا سنة (٩٨٢هـ)، ويعتبر من أكبر خانات حلب.

في الخان خمسون مخزناً في الطابق الأرضي وسبع وسبعون مخزناً في الطابق العلوي، ويضم إسطبلا وقيسارية ومنهلين ومسجد سكنه الفرنسيون والإنكليز والهولنديين ومنه انتقل الفرنسيون إلى خان الحبال كما غادره الهولنديون.

ومن خانات حلب، خان القاضي في محلة باب قنسرين، مقابل البيمارستان الأرغوني الكاملي، أُنشئ سنة ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠م، وخان الجوره بالقرب من خان خاير بك، وخان التتن في سوق باب أنطاكية، وخان الشونة المرمم حديثاً مقابل مدخل قلعة حلب ضمّ الحرف والمهن التقليدية في حلب القديمة.

خان الجمرك

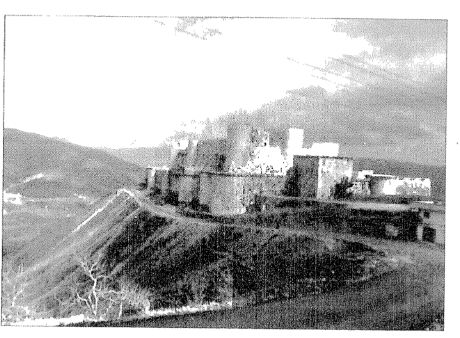


# أخبار آثارية

التحرير

## قلعتان سوريتان تنضمّان إلى لائحة التراث العالمي

### سوريا تستكمل متطلبات تسجيل قلعتي صلاح الدين والحصن ضمن مواقع التراث العالمي في منظمة اليونسكو



أنجزت وزارة الثقافة السورية كل الخطوات اللازمة بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونيسكو) لتسجيل قلعة صلاح الدين شرقي مدينة اللاذقية وقلعة الحصن في مدينة حمص على لائحة التراث العالمي في المنظمة.

وتأتي خطوة وزارة الثقافة السورية هذه استكمالا لاستراتيجيتها الرامية إلى تسجيل ارثها الحضاري من المدن والمواقع التاريخية والاثرية في منظمة اليونيسكو للتعريف بهذا الارث عالميا وللترويج لها سياحيا.

وتهدف ايضا إلى استقطاب المنظمات والمؤسسات العالمية المتخصصة بتقديم المساعدة لترميم الأماكن الأثرية للحفاظ عليها كمعالم حضارية وعمرانية تمثل عصورا عدة من العصر البيزنطي حتى العهد الإسلامي.

يذكر انه تم تسجيل مدن سورية عدة ضمن المدن والمواقع التاريخية والاثرية في منظمة (يونيسكو) مثل مدينة دمشق التي تعتبر من اقدم المدن والعواصم في العالم

ولا تزال مأهولة بالسكان ومدينة تدمر الصحراوية ومدينة حلب شمالي البلاد ومدينة بصرى الشام الجنوبية.

وأكد مدير الأبنية التاريخية في وزارة الثقافة السورية غزوان ياغي ان تسجيل هاتين القلعتين على لائحة التراث العالمي يأتي لاهميتهما التاريخية حيث تعد قلعة الحصن من اعظم القلاع واشهرها في العالم كله وهي فريدة بهندستها الرائعة.

واضاف ان قلعة الحصن تحتل موقعا استراتيجيا مهماً يسيطر على مدخل مدينة حمص وسط سوريا وتتربع على ذروة تل ارتفاعه ٧٥٠ مترا عن سطح البحر متشعب عن جبال العلويين في اواسط سوريا على بعد ٦٠ كيلومترا عن مدينة حمص في منتصف الطريق بين حمص وطرابلس.

واوضح ان اساسات القلعة وضعت من قبل امير حمص في عام ١٠٣١ وشغلتها جالية كردية عسكرية ثم احتلها الفرنجة عام ١٠٩٩ لفترة قصيرة مشيرا إلى ان القلعة تم ترميمها مرات عدة نظرا لتعرضها للزلازل حيث اعيد تعميرها عام ١١٥٧ ميلادي.

كما تم تعمير القلعة للمرة الثانية في عام ١١٦٧ بعد تضررها جراء زلازل ضربت المنطقة في ذلك العام ورممت للمرة الثالثة في عام ١٢٠١، وهاجم الظاهر بيبرس القلعة في عام ١٢٧٠ ووضعها تحت حكم صارم الدين قايماز الذي قام بأعمال إصلاح واسعة فيها، وظلت تستخدم في اواخر العصور الوسطى وشغلها الانتداب الفرنسي خلال فترة الانتداب على سوريا.

وتتألف قلعة الحصن في شكلها العام من سورين احدهما داخل الاخر ويشرف على كل منشآته وبينهما خندق تكمله ارض شديدة الانحدار، وتحمي السور الخارجي للقلعة مجموعة ابراج ضخمة مستديرة أو مربعة الشكل تتوزع على محيطه وهي متعددة الطوابق وسميكة الجدران تدعمها من الخارج جدران استنادية سطوحها منحدرة ومقاومة للزلازل ولأعمال التخريب والتلغيم.

ويتألف الحصن الداخلي من قلعة قائمة بذاتها شيدت فوق قاعدة صخرية مرتفعة يعزلها عن السور الخارجي خندق عريض في الصخر كسيت جدرانه برخم من الحجارة المنحوتة، ويملأ قسم من الخندق بالماء ويطلق عليه اسم "البِركة"، ويشرف الحصن الداخلي على السور الاول ومنشآته اشرافا تاما ويسيطر على الارض المحيطة بالقلعة كلها.

ومن جهة اخرى قال ياغي ان "قلعة صلاح الدين تقع شرقي مدينة اللاذقية الساحلية وتنتصب على ارتفاع ٤٠٠ متر عن سطح البحر فوق قمة صخرية محاطة بواديين عميقي الغور يجري فيهما سيلان يتجمعان سويا تحت قسمها الغربي، وهي في منظرها العام اشبه ما تكون بمثلث متساوي الساقين".

وأضاف "تعود الآثار المعمارية الموجودة داخل القلعة العلوية جزئيا إلى العهد البيزنطي وجزئيا إلى العهد الفرنجي ولكن معظمهما يعود إلى العهد العربي فهناك مسجد بالإضافة إلى حمامات وفق الطراز العربي".

وأشار إلى أن للقلعة تصميما هندسيا عسكريا جميلا نظرا لوجودها فوق جرف صخري ولها منحدرات عمودية تحميها خنادق طبيعية عميقة، حيث يفصلها أخدودان عميقان عن باقي الهضبة من

الشمال قناة منحوتة في الصخر طولها ١,٥ كيلو متر وعرضها ١,٨ وعمقها حوالي ٢,٥ كيلومتر.

واعتبر ياغي القلعة من أشهر القلاع الضخمة على الساحل السوري مضيفا أن "صلاح الدين الأيوبي حررها من الفرنجة عام ١١٨٨ مؤكدا أن وزارة الثقافة السورية تقوم بترميم العديد من المباني الأثرية والتاريخية في أنحاء البلاد كافة للحفاظ عليها لتبقى الشاهد الحي على الأهمية التاريخية وعلى الحضارات المتعاقبة على سوريا".

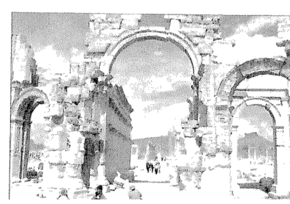
## آثار سورية تـُعرض في متحف اللوفر

اتفقت الحكومة السورية مع متحف اللوفر الفرنسي على عرض للتعاون وتبادل الخبرات في مجال الاعمال الاثرية وعرضها في صالات المتحف الشهير في فرنسا. ووقع مدير الاثار والمتاحف السوري بسام جاموس ومدير متحف اللوفر هنري لوريت اتفاقاً بهذا الشأن في المتحف الوطني في دمشق.

وقال جاموس "اتفاقية ثقافية هامة جدا تتيح الفرصة للاستفادة من خبرة اللوفر وسمعته في تنظيم المتحف هنا، وفي توسيع عرض الآثار السورية في معارض من تنظيمه في فرنسا". وقال جاموس "هناك اهتمام عالمي بعظمة الحضارة السورية كونها قدمت الكثير إلى العالم فأول القرى في التاريخ كانت هنا وكذلك الابجدية والتدوين الموسيقي".

وقال جاموس ان هناك كل يوم اكتشافا جديدا في سوريا وان المعارض الخارجية تجتذب الالاف من العالم وتعرفهم على عظمة الانسان السوري.

وسيقوم اللوفر وفقا للبروتوكول بالعمل على تأهيل العديد من المواقع الاثرية مثل القصر الملكي في موقع ماري على ضفاف الفرات بالاضافة إلى تأهيل قسم الشرق القديم في متحف دمشق الوطني إلى جانب تأهيل الخبرات والاثريين السوريين.



ويفتتح وفد متحف اللوفر أيضا موقع أوغاريت السياحي الذي موله اللوفر كما يلتقي بنائبة الرئيس السوري للشؤون الثقافية نجاح العطار.

وهناك ٢٠ بعثة فرنسية تعمل في العديد من المواقع منها اوغاريت وايبلا ودورا اوروبوس ومناطق في الجنوب السوري.

وتحتوي سوريا على حوالي ٧٠٠٠ موقع أثري يرجع إلى الحقب الرومانية والصليبية والعربية والعثمانية تحاول الدولة إعادة تأهيلها والاستفادة منها بعد عقود من الإهمال.

واستضافت سوريا عددا من الصحفيين الأوروبيين متبنية استراتيجية جديدة لجذب السياح مبنية على الترويج لمواقعها الأثرية الفريدة وإظهار القيمة التاريخية والعلمية من خلال تأهيلها وتطويرها بالتعاون مع بعثات أثرية دولية.

# آداب الحديث والاستماع

## في التراث الحلبي الشفوي

تميم قاسمو*

**مقدمة:**

يشكك الكثير من الباحثين في صلاحية المأثورات العامية الشفوية في أن تكون دلالة على النمط النفسي أو الأخلاقي للجماعة التي تتداولها. ويحتجون بأن هذه المأثورات تتناقض فيما بينها لأنها تعبر عن أهواء الإنسان ومصالحه المتبدلة بين كل موقف وآخر.

لكن التعمق في دراسة هذه المأثورات أدى إلى تقسيمها إلى مجموعات مختلفة من حيث قدرتها على الدلالة فهناك "الأمثال" التي يرددها الفرد عندما يقدم تبريراً لتصرف قام به كأن يقول *"اللي ما بجي معك تعا معو"* وذلك عندما يجد نفسه مضطراً للانصياع إلى أمر شخصية طاغية أو آسرة. أو عندما يريد تقديم تفسير لأمر يستعصي على التفسير فيقول *"إجت والله جابا"*. والأمثال فيها المتناقض والمتعارض فهي لا تصلح لأن تكون دلالة على النمط الأخلاقي وإن كانت تصلح لدراسة النمط النفسي للجماعة.

وهناك مجموعة أخرى من المأثورات هي "الحكم" ولا نرى في هذه المجموعة تناقضاً بل أنها تشكل النمط الأخلاقي العام للجماعة وتساهم في تربية الأفراد منذ نعومة أظفارهم، وضمن هذه المجموعة أصنف هذه الدراسة عن أدب الحديث والاستماع في التراث الحلبي الشفوي وسأتحدث فيها عن أهمية التخاطب وأصوله وأصناف الحديث العامي من حيث موثوقيته ومن ثم أخلص إلى ملاحظات ونتائج.

**أولا: أهمية التخاطب**

تحض العامية أبناءها على أن يحلوا أمورهم بالتي هي أحسن أي بالتفاهم *(التفاهم سيد الأحكام)* وتذم الذي يلجأ إلى العنف قبل أن يستنفد إمكانية

---

* مهندس مدني، باحث في التراث.

الكلام، فتقول عنه *(فلان ضربتو قبل كلمتو)* وهي تقدم مجموعة من الأمثال التي تمدح البراعة في الحديث فتقول *(اللسان عز من دون رجال)* وترى أن *(اللي في تمو لسان ما بيضيع)* وأن الإنسان يتخلص من المآزق ببراعة الحديث *(ما عدمتك يا لساني وين ما درتك بتندار)*.

وهي تلوم من يعجز عن الرد في موطن الرد فتقول له *(ليش وين كان لسانك)* أو *(ليش لسانك أكله القط)*.

وفي نفس الوقت تحذر العامية من أن اللسان سلاح ذو حدين *(لسانك حصانك ان صنته صانك وان خنته خانك)* وان الحديث يصبح دليلا على صاحبه بمجرد لفظه *(كل شي بيلتم الا اللي بيطلع من التم)* و*(البني آدم بينمسك من لسانو)*، وهي لذلك تحذر من الاسترسال في الحديث لأن *(الحيطان إلا ودان)* وتقول في ذلك *(ما في ساقطه الا وراها لاقطة)*.

نخلص مما سبق إلى استنتاج سهل وهو أن العامية تضع فعل الحديث في قمة الأفعال التي يقوم بها الإنسان من حيث القيمة والخطر.

**ثانيا: أصول التخاطب:**

وتورد العامية في مآثوراتها المختلفة ما يمكن اعتباره دليلاً توجيهياً لما هو مستحسن أو مستهجن في التخاطب بين الناس ويمكن إيجاز هذا الدليل في البنود التالية:

**١. في التمهل في الإجابة والإيجاز في الحديث:**

تشجع العامية المتحدثين بها على أن يفكروا مليا قبل أن يعبروا عن مرادهم وتقول في ذلك *(يا ريت إلي رقبة جمل حتى أدوق كلمتي قبل ما أحكيها)*، وتقارن سرعة الإجابة لدى المصري والدمشقي والحلبي فتقول *(جواب المصري في تمو وجواب الشامي في كمو وجواب الحلبي عند أمو)* كنايه على تسرع المصري في الإجابة بدون ترو وتمهل الدمشقي وبطء الحلبي ولا ألحظ هنا نقداً لبطء الحلبي بقدر ما ألحظ فخراً.

وتفضل العامية أن يكون الحديث قصيرا لماحا وتعبر عن ذلك بقولها *(كلمتين نضاف أحسن من جريده وسخة)* والعامية غنية بالتعابير الدالة على هذا التفضيل مثل *(هات من الآخر)* أو *(كلمة ورد غطاها)* وإذا شعر المتكلم بأنه قد أطال بادر سامعيه بقوله *(بلا طول سيره)* أو *(بلا تشبيه ومثال)*.

وتنصح العامية المتحدث بأن يكون مرتب الأفكار فهي لا تعجب بالحديث الذي يأتي *(بكلمة من الشرق وكلمة من الغرب)* وتسخر من صاحبه قائلة *(عم بحكي شندي بندي)* أي من هنا وهناك.

**٢. في الجرس اللطيف ومستوى الصوت المعتدل:**

للعامية رأي في جرس التلفظ وشدته، فهي لا تقر الحديث الرخو الممطوط وتقول عن صاحبه *(جحش حنكه مرتخي)*، فيما تنتقد الحديث الذي يضخم الأحرف فوق الحد المقبول وتصف صاحبه بقولها *(حكيه أبا)* أو *(عم*

*يحكي عالعريض)* ، وتمتد دروس العامية إلى مستوى الصوت فهي لا تستريح للصوت المرتفع فتقول *(لو كان الصوت العالي يبيني بيوت كان للحمير بيوت وبيوت)* ، وفي نفس الوقت فإنها لا تطيق الحديث الهامس الذي يدور في المجلس بين اثنين أي *(من تحت لتحت)* فهو في مفهومها كيد أو نميمة ، وتسمي ذلك *(وتوته ومغمغة وفسفسة)* ، وبالمناسبة فإنها تسمي المرأة التي تنتظر الليل لكي تحرض الزوج على أهله بأنها *(فسفسة المخدة)*.

**٣. في المواجهة أثناء الحديث:**

ترى العامية أن على المتحدث اللبق ألا يشيح بوجهه عن مستمعيه، وتقول في ذلك *(العين مغرفة الكلام)* ، وهو توجيه سليم لأن تعبير العين قد يكون أحياناً أبلغ من الكلام ذاته بل أن العامية ترى أن عدم نظر المتحدث في أعين سامعيه دليل على سوء نيته أو كذبه، ولذلك فقد نسمع من يشك في محدثه يقول *(حط عينك بعيني لشوف)*.

وعلى المتحدث أن يتوجه باهتمام إلى مستمعيه دون تكبر واستعلاء، أي كما يقال *(عم بحكي معو من راس أنفو)* أو *(عم يعطيه من قفا الكيل أو الكيف)* ، وبالطبع فان على المستمع أن يصغي إلى محدثه أي أن *(يعطيه أذنه)*.

والاعتدال في الجلوس أو الوقوف أثناء التخاطب أمر مطلوب، وإن كان الاستقامة والصدق مطلوبين أكثر *(اقعود أعوج وحكي سيوي)*.

**٤. في نظام الحديث والمشاركة:**

تسخر العامية من الذين يتحدثون في آن معا فتصف شأنهم بأنه مثل *(الحمام المقطوعة ميتو)* وتحذر من مقاطعة المتحدث قبل أن يتم ما يقول ولها في ذلك مثل معروف *(ابعص الحكواتي ولا تبعص الحكاية)*. وهم يعلمون الطفل ألا يقاطع من هو أكبر منه، بل إنهم لا يفضلون أن يتحدث الأولاد في مجالس الكبار بل عليهم الاستماع فقط.

والحديث عند العامية شراكة لكل متحدث فيها نصيب تقول في ذلك *(الحكي بشماريه)*.

**٥. الجرأة والقوة في العرض:**

ترى العامية أن على المرء أن يعبر عن نفسه بجرأة، وهذا رأي صائب فالحديث المتردد يفقد صاحبه القدرة على الإقناع وهي تقول في ذلك *(إذا خفت لا تقول وإذا قلت لا تخاف)*. كما أن لها قولا آخر في ذلك *(إذا حكم الميم على القاف احكي ولا تخاف)*.

فيما تجد العامية أن *(الحكي بالوج قوة وبالقفا مروة)* وهذا توجيه أخلاقي رفيع يقضي بأن تواجه الأخر بما فيه من أخطاء وتتحدث عما فيه من خير في غيابه.وهذا المثل يحث على صفتين نبيلتين هما الشجاعة المتمثلة في قول الحق والمروءة المتمثلة في عدم الاغتياب.

**٦.اللطف في التناول والإشارة دون تصريح:**

وتفضل العامية أن يتم تناول المواضيع بلطف ومداراة وتصف الحديث المباشر الفج بأنه *(عالآجق)* أي عالمكشوف من كلمة آجق التركية التي تعني المفتوح، أو *(جباسي)* نسبة إلى الجبس كناية عن أن كلماته ضخمة لا تبتلع، أو *(بالمشرمحي)* من شرح اللحم أي فتحه، وقد يضطر الحلبي أحيانا إلى الحديث المباشر بعد أن لا يفيد التلميح فيبدأ حديثه منذرا *(ترى بدي احكي عالآجق)* أو *(بدي احكي بالمشرمحي)* ثم يبدأ بالحديث الصريح.

وفي جميع الأحوال فان العامية تبتعد عن تسمية كثير من الأمور بأسمائها الصريحة، وخاصة الأعضاء الجنسية وما يتعلق بها من أفعال وتبتكر لذلك أسماء مستعارة أو كنايات عديدة ونذكر مثالا على ذلك بعض ما تكنى به عملية التبول *(بدي أفرا، بدي أطير مي، بدي أتسير، بدي أحاسب القاضي، بدي أفك وضوئي، بدي أختلي)* وتعتبر التصريح في هذه الأمور قلة أدب أو نقصاً بالتربية.

والكنايات والتوريات في العامية الحلبية عديدة جدا تحتاج إلى دراسة موسعة من حيث بنيتها البلاغية ومدلولاتها الاجتماعية والنفسية.

٧. رسوم كاركاتورية باللسان:

لا تكتفي العامية بشرح أصول الحديث والاستماع من خلال حكمها وأمثالها وتعابيرها المختلفة، ولكنها تجعل اللسان رمزا توظفه في تعابير هي رسوم كاريكاتورية مبدعة فهي تعبر عن سخطها على من يتناول في حديثه ما سفه من الأمور بقولها *(فلان لسانه متل مقص الاسكافي ما بينفتح إلا عنجاسة)* والمقصود هنا مقص الحذاء الذي يقص النعال التي تدوس في النجاسة والأقذار، بل إن العامية تنزل إلى مستوى مسف لتصف صاحب اللسان المسف بقولها أن *(لسانه بشطف قفاه)*.

وهناك صورة بارعة أخرى تتحدث بتحذير مقرون بإعجاب خفي عن ذلك البارع في الإقناع والإغواء حتى أن *(لسانو بطالع الحية من درخوشا)* أو *(لسانو بلف عبلد أو بلف عالقلعة)*، وهنا أيضا نلاحظ براعة العامية في الدلالة على طول اللسان والتواء مقصده في آن معا. ويختفي الإعجاب الحذر تاركا المكان للتحذير الواضح من الذي ينال الناس وتتحدث عن *(اللي لسانو متل الكرباج بسبع جطلات)* أي انه *(بلط لط)*. وكثيرا ما تدعو عليه بقولها *(لسانو بدو قص أو بدو قطع)*.

والعامية تستخف بالهاذر الذي يتحدث لمجرد الحديث فلا يكاد يتوقف عنه حتى يستأنفه فتصوره بأن *(لسانو ما بيدخل لحلقو)* وتتساءل مستنكرة *(اشو بالع راديو)*. فيما تكرم صاحب الكلام الطيب فتصفه بأحلى الصور قائلة *(لسانه بنقط عسل أو بينقط شهد)*.

## ثالثا: أصناف الحديث العامي ودرجة موثوقيته:

والعامية إذ توجه أبناءها إلى ما هو مستحسن أو مستهجن في التخاطب، فإنها في نفس الوقت تحتضن كافة أنواع

الحديث من غث وسمين، وتضع تسميات لكل نوع، فتجد في تسمياتها أحكاما نقدية وأحيانا سخرية خفية. ومن تلك التسميات: الكر والشّلي واللقش والعلاك والحَكي والقول والكلام وقد ذكرنا من قبل الفسفسة والوتوتة.

ويمكن أن نصنف تلك التسميات من حيث الموثوقية إلى مجموعات ثلاث:

**١- المجموعة الأولى وتضم الحديث الفارغ من المضمون: ويدخل فيها الگر والشلي واللقش والعلاك.**

ويغلب أن يسمى حديث النساء المسترسل بالگر، والعامية تنظر إليه بتسامح باعتباره صفة نسائية تكاد تكون فطرية، وتقول في ذلك *(الگراره ما إلا جاره والگراره غلبت السّحاره)*. وتشبه الرجل الذي بگر بأنه *(متل العجوز الگراره)*، حتى أنه دخل في اعتقاد أهل حلب أن *(الصبي اذا گرگر كتير مع البنات بتصير دقنو عوجا)*.

ومصدر كلمة الگر هو مصدر سماعي فيما يبدو، وهو حكاية صوت الحديث النسائي المنخفض الجرس المتصل دونما انقطاع.

والشلي هو تناول سيرة الآخرين دون تحفظ، ولا يعني ذلك بالضرورة أن يكون بهتانا، وإنما هو غيبة يمارسها السامرون لملء الفراغ، وهو ممارسة شائعة بين النساء وبين الرجال على حد سواء، وغالبا ما يقال للشخص *(كنا عم نشلي عليك)* فيجيب بتسامح: *(ان شاء الله خير)*.

واللقش هو كما شرح الأستاذ محمد كمال في حاشيته على الموسوعة النطق بمعاريض الكلام وهو يضم قائمة طويلة من أصناف الحديث الذي يقوم فيه المتحدثون باستعراض إمكانياتهم في ابتكار الطريف المسلي من الكلام مضيعة للوقت. والتمجك والقلتنات و.... كلها تدور في مدار اللقش.

أما العلاك فينسب إلى الرجال غالبا، وتستمده العامية من مصدر فصيح، فالعلك في الفصحى هو حركة المضغ بدون بلع، وكذلك العلاك لأنه حديث بدون جدوى أو نتيجة، والعامية تصف العلاك بأنه *(علك مصدي)* أي صدئ من تقادمه وتكراره أو *(علك فاضي)* أو *(علك بلا طعمة)* لأنه خال من المضمون. وكثيرا ما يخاطب الحلبي صاحبه إذا ما علك في موطن الجد *(هلق مو وقت العلاك)*.

**٢- المجموعة الثانية تضم الحديث الذي يحتوي على مضمون قابل للتصديق أو التكذيب ويدخل فيه الحكي والقول:** والحكي هو أغلب الحديث الذي يدور بين الناس في مجالات حياتهم اليومية، وهو يتلون بأهوائهم ومصالحهم، والعامية تعبر عن ذلك بقولها *(كل من بحكي على كيفو)* أو *(الحكي ما عليه جمرك)*.

لكن العامية تتعامل مع (الحكي) بواقعية واعية فلا ترفضه أو تقبله فالمطلوب أن يستمع الإنسان إلى ما يقوله الآخرون وليس عليه أن يصدقهم،

وتبدو هذه المعادلة واضحة في تعابير كثيرة.

فالحكي كثير ونسمع العامية تقول في ذلك *(ما في أكتر من الحكي)*، *(كله حكي بحكي)* *(وفلان حكيو متل حب البركة كل عشرة عرغيف)*.

لكن بعض الحكي فقط مفيد *(إش بيطلع من كتر الحكي)* *(الحكي ما بطعمي خبز)*.

والحكي قد يعبر عن مصلحة قائمة أو ينطلق من مصلحة مفقودة وللعامية في ذلك *(فلان بيحكي متل القاضي المعزول أو الخوري المحروم)* *(كل من بيحكي اللي بوافقو)* *(ما حدى بيقول عن دبسو حامض)*.

وعلى كل فالعامية ترى أن الحقيقة الناصعة لا تحتاج إلى كلام كثير وتقول في ذلك *(ما بدا قال يقول)* أو *(ما بدا كتر حكي)* أو *(ما بدا كلام)*.

والعامية تقرر حقيقة أن الحكي إنما هو محاكاة للواقع وليس مطابقة له وتذكر لذلك بوضوح في قولها *(الحكي مو متل الشوف)*.

**٣- المجموعة الثالثة تضم الحديث الموثوق وتقتصر على لفظ واحد بصيغة المفرد هو (كلمة)**: وفي حين أن العامية تعامل لفظ (الكلام) كما تعامل الحكي والقول وتضعه ضمن مجموعة الحديث القابل للتصديق أو التكذيب، إلا أن الأمر يختلف عندما تتحدث العامية عن الكلمة بصيغة المفرد، حيث يظهر في تعابيرها الاحترام الشديد فترى أن الرجولة تظهر في الشجاعة على الجهر بالكلمة بدون خوف وتقول *(الرجال بيقول كلمتو ولو على دق رقبتو)* وهي ترى أن الرجل الحق هو الذي *(كلمتو كلمة)*، *(كلمتو ما بتصير تنتين)* *(كلمته ما بتنزل الأرض)*. وتثمن عاليا الكلمة عندما تأتي في محلها *(الكلمة في محلها قنطار)*.

كما أن العامية ترفع من شأن الالتزام بالكلمة فاذا رجع أحد عن كلامه تساءلت باستهجان *(حدا بيرجع بكلامه)* *(حدا بيلحس بزقته)*.

**ملاحظات ونتائج:**

**أولاً**: بالرغم من أن المأثورات العامية كثيرا ما تحتوي على الأمر ونقيضه، مما يجردها في عرف بعض الباحثين عن كونها دليلا على فكر الجماعة المشترك، فإنني لم أجد في مأثورات العامية التي تبحث في أصول التخاطب ناقضاً ومنقوضاً مما يدل على أن هذه المفاهيم تجري في العامية مجرى الحكمة، أي أنها أصول ثابتة في فكر الجماعة.

**ثانياً**: تعبر هذه الأصول عن نفسية مدينية، فهي مبنية على تقدير الآخر لأنها تفهم المصالح التي يمكن أن تجنيها من التعامل معه ولذلك فهي تحض على الاستماع إليه وتمكينه من الاسترسال في حديثه من جهة، كما تحض على التمهل في الإجابة وتعبر عن ذلك بقولها *(اشتري ولا تبيع)*. وفي نفس الوقت فهي تدل على نفسية جماعية حذرة لا تصدق كل ما تسمع إلا بعد فحص وتدقيق، بل إن

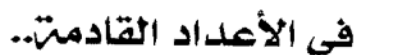
النفسية الحلبية تشك في صدق أو نوايا من يتحدث بحماس في موضوع ما وتبحث ملياً لتعرف المصلحة الكامنة وراء حماسته.

ثالثاً: أن تركيز العامية على احترام الأصول الشكلية في التخاطب مثل مستوى الصوت وجرسه واعتدال المتخاطبين أثناء الحديث وعدم المقاطعة وغير ذلك إنما يعبر عن مجتمع عريق حضاريا لأن استقرار الأصول الشكلية في الموروث الشفوي لا يتم إلا عبر فترة طويلة من الحياة المشتركة للجماعة كذلك فان التوجه الأخلاقي الواضح في ذم الإسفاف في الألفاظ والنهي عن النيل من الآخرين في غيابهم والحض على التلطف في تناول الأمور يدل على القيمة التي توليها الجماعة للخلق الرفيع.

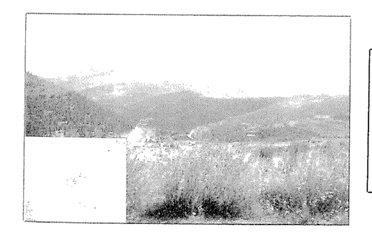
كما أن الاحترام الشديد الذي يظهر في العامية للكلمة بصيغتها المفردة يدل بوضوح على مفتاح اكتساب احترام الحلبي، ألا وهو الصدق في التعامل والالتزام بالعهود وهو صفة ملازمة للمجتمعات التجارية العريقة، وقد أتى حين من الزمن كان تجار المدينة يبيعون ويشترون بالكلمة ويلتزمون ببيوعهم حتى لو تكبدوا في ذلك الخسائر الجسيمة

رابعاً: ومن الموضوعية القول بأن هذه الأصول والآداب التي حملتها العامية ولقنتها لأبنائها عبر العصور ليست متبعة بالضرورة من جميع الحلبيين، فالمصالح والأهواء والأمزجة تختلف من إنسان إلى آخر.

لكن هذه الأصول تبقى الصورة المثالية للتخاطب الصحيح التي يطلبها المجتمع من أبنائه ويقيمهم على أساسها وهي صورة جديرة بأن تؤصل في سلوك الأفراد من خلال التربية والقدوة الحسنة.




- ملف إدلب
- العولمة وحماية التراث الثقافي



# تطور المنهج العلمي في الكتابات التاريخية

## عند العرب

محمد قجة*

**تمهيد:**

قبل أن يصبح التاريخ "علماً" له نظرياته وأسسه الفلسفية وقوانينه وتحقيقاته وتعليلاته، لدى ابن خلدون ومن جاء بعده، كانت الكتابات التاريخية عند العرب تسير وفق أنماط متصاعدة تتفاوت في عمقها وسرعتها وتأثرها بالإقليم والعصر.

ولا بد لنا من إلمامة بتطور تلك الكتابات التاريخية ورصد اتجاهاتها، وتمحيص ما يتصل بها من سرد حوادث، وتيارات سياسية واجتماعية وشعوبية.

ويمكن أن نتوقف عند القرن الثاني للهجرة، ولدى بعض رواة التاريخ والمغازي والسيرة، من أمثال "وهب بن منبه"[1] المتوفى ١١٤هـ - ٧٣٢م. وعروة بن الزبير (ت ٩٤هـ - ٧١٢م)[2]. وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ - ٧٤٠ م) وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ - ٧٣٧م).

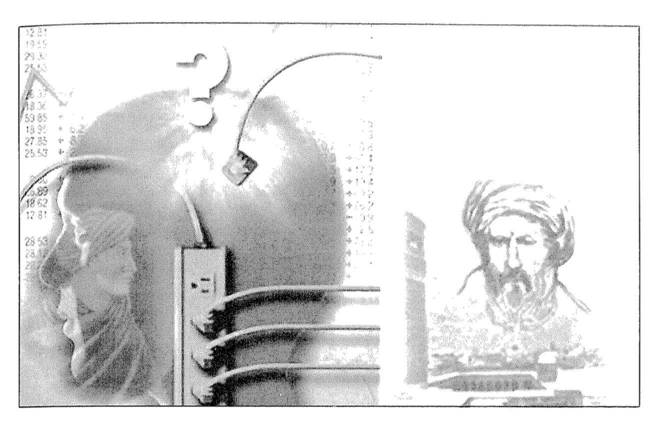
وقد كانت كتابات هؤلاء في المغازي تمهيداً هيأ الأرضية اللازمة لمن جاء بعدهم كالزهري والواقدي وابن اسحق.

فالزهري (ت ١٢٤هـ - ٧٤١م) هو الذي توسع في جمع الروايات وتمحيصها واستخدام عبارة "السيرة" بدلاً من المغازي. حتى إذا وصلنا إلى ابن اسحق (ت ١٥١هـ - ٧٦١م) نجده يمضي شوطاً في الجمع بين الروايات التاريخية والأحاديث الشريفة والشعر والقصص الشعبي. وقد وصلتنا السيرة التي كتبها ابن اسحق منقحة على يد ابن هشام (ت ٢١٨هـ - ٨١٣م) ومن أعلام تلك المرحلة "الواقدي" (ت ٢٠٧هـ) في كتابه المغازي وكتبه الأخرى.

وتبرز لدينا أسماء مثل أبي مخنف[3] وعوانة بن الحكم[4] ونصر بن مزاحم[5]، وذلك في سياق رواية الأخبار، ولعل أبرز

---

* رئيس مجلس إدارة جمعية العاديات السورية.



هؤلاء الإخباريين (المدائني ٢٢٥هـ)[٦]، (وابن الكلبي ٢٠٤هـ)[٧]، والهيثم بن عدي (٢٠٦هـ)[٨] وأبو عبيدة[٩] (٢١١ هـ).

وقبل أن نغادر القرن الثالث للهجرة يقف أمامنا "البلاذري ت ٢٧٩هـ"[١٠] صاحب /فتوح البلدان/ و/أنساب الأشراف/. وهو وإن كان يعتمد على أخبار من سلفه، إلا أنه ينتقد تلك الأخبار ويفحصها وينتقي منها. وكذلك يفعل معاصره اليعقوبي[١١] (ت ٢٨٤هـ) في كتاب "البلدان" الذي يعتبر أول كتاب في الجغرافية التاريخية. ثم ابن قتيبة (ت ٢٧٠هـ)[١٢] في كتاب "المعارف" والدينوري (ت ٢٨٨هـ) في كتاب "الأخبار الطوال".

حتى إذا دلفنا إلى بداية القرن الرابع الهجري نجد (الطبري ت ٣١٠هـ) الذي تكتمل لديه مرحلة نضوج البدايات والتكوين للكتابة التاريخية. وقد اعتمد الطبري على ثقافته الواسعة ومنهجه كمحدث وفقيه يدقق في السند ويمحص الروايات.

وهكذا نجد تفاوت مدارس الكتابة التاريخية في مراحلها عبر القرون الثلاثة، وعبر الأماكن المختلفة في المدينة والكوفة والبصرة وبقية الأمصار وصولاً إلى القرن الرابع الهجري الذي نتوقف معه عند مسكويه[١٣] وتطويره للمنهج التاريخي ثم عند ابن الخطيب وابن خلدون والمقريزي كأمثلة لأبرز المؤرخين أصحاب المنهج الواضح في الكتابات التاريخية.

ترك أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه أكثر من أربعين كتاباً[١٤]. أبرزها كتابه الهام "تجارب الأمم" المطبوع في طهران بتحقيق وتقديم أبي القاسم إمامي. وقد عاش مسكويه قرناً كاملاً (٣٢٠-٤٢١هـ) واعتمد على الطبري بصورة واسعة، كما اعتمد على مشاهداته وتجاربه في حياته الطويلة، واطلاعه على علوم العصر من فلسفة وأديان وحديث ورواية.

ويمثل مسكويه خطوة متقدمة في الكتابة التاريخية الموضوعية، فإنه على الرغم من معاصرة السلاطين والوزراء البويهيين لا نجده يمدحهم أو يتملقهم في كتاباته. ولم يظهر ميلاً إلى تيار أو ملك أو اتجاه، بل حاول أن يرصد عصره ويحلّل أحداثه بعقلانية، إلى درجة أنه لقّب بالمعلم الثالث نظراً لتمكنه من الفكر الفلسفي والإفادة منه في الكتابة التاريخية.

**ويمكن تلخيص ملامح المنهج التاريخي لدى مسكويه على النحو التالي:**

- التاريخ أحداث يمكن أن يستفيد منها الإنسان في أمور تتكرر، أو يمكن أن تحدث مستقبلاً.

- أمور الدنيا متشابهة في الإطار العام وعلى الإنسان تجربتها.

- مقارنة الماضي بالحاضر للإفادة من خبرات الماضي.

- ضرورة غربلة الأخبار من الأساطير والأسمار والمعجزات.

- محاولة تفسير أحداث التاريخ وفق منهج علمي تجريبي قائم على الحذر في تلقي الروايات، والدقة في تحليلها.

- استفاد مسكويه من فكره الفلسفي في تفسير التاريخ. فهو بذلك أول من بدأ فلسفة التاريخ.

- مسكويه موضوعي لا ينطلق من تصور مسبق. وحيادي في قراءة مصادره والإفادة منها.

- يعتبر كتابه: "تجارب الأمم" من أهم المراجع التاريخية لأنه سجل حي لأحداث القرن الرابع الهجري. وقد سجل مسكويه تلك الأحداث من أصحابها وقام بتفسيرها على أساس الاستدلال الفلسفي الواعي، والنظرة العملية، والذهن البنّاء المنظم، والنظرة المحايدة.

ونلمح أثر هذا المنهج بصور مختلفة لدى المؤرخين المسلمين الذين أتوا في العصور اللاحقة مثل رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ) وهو صاحب كتاب "جامع التواريخ" وابن خلدون والسخاوي والمقريزي وبعض مؤرخي الأندلس ممن سوف نتوقف عندهم.

وقد اعتمدت نشأة علم التاريخ في الأندلس على تأثيرات مشرقية، وتبرز لدينا في الأندلس أسماء هامة تراكمت لديها خبرات أخذت تتبلور مع الزمن. ومن هذه الأسماء عبد الملك بن حبيب وأبناء الرازي، وابن القوطية وعريب بن سعد. ثم تغدو الكتابة التاريخية أكثر نضوجاً

وأرسخ قدماً لدى أبي مروان بن حيان صاحب المقتبس. وابن حزم العلامة الموسوعي صاحب الجمهرة والفصل، ثم ابن صاحب الصلاة، وبني سعيد في كتابيهم الموسوعيين "المغرب" و"المشرق"، وسواهم.[١٥]

وحينما نصل إلى القرن الثامن الهجري" الرابع عشر الميلادي"تكون الكتابة في علم التاريخ قد بلغت أوجها لدى ابن الخطيب العلامة الموسوعي، وابن خلدون صاحب فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

❖ ❖ ❖

ونتوقف قليلاً عند المنهج التاريخي لدى لسان ابن الخطيب في كتبه التاريخية المختلفة، وبخاصة الإحاطة في أخبار غرناطة[١٦] واللمحة البدرية[١٧] ونفاضة الجراب[١٨].

**وتبدو أبرز عناصر منهجه التاريخي في الملاحظات التالية:**

١- التاريخ فنٌ غايته نقل الأخبار.

٢- الفن التاريخي مأرب البشر ووسيلة... النشر، يعرفون به أنسابهم في ذلك شرعاً وطبعاً ما فيه، ويكتسبون به عقل التجربة في حال السكون والرفيه، ويرى العاقل من تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره ويشفيه...." [١٩]

وهكذا فالتاريخ معرفة الماضي للإفادة منها في رؤية الحاضر.

٣- التاريخ لدى ابن الخطيب ليس مجرد نقل للأحداث السياسية وسيَر الملوك والسلاطين، بل هو تصوير للحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية بما تشمله هذه الحياة من رقي وازدهار، أو تخلف وتدهور. وهو في ذلك يتابع التفاصيل الدقيقة للموضوع الذي يتحدث عنه.

يتحدث في الرحلة الأندلسية" خطرة الطيف" عن مشهد استقبال السلطان من قبل سكان إحدى المناطق في وادي فردش، فيقول:

"واستقبلتنا البلدة حرسها الله- نادى بأهل المدينة، موعدكم يوم الزينة، فسمحت الحجال برباتها والقلوب بحباتها، والمقاصر بحورها والمنازل بدورها، فرأينا تزاحم الكواكب بالمناكب، وتدافع البدور بالصدور، بيضاً كأسراب الحمام،...."

ثم يقول:" واختلط النساء بالرجال، والتقى أرباب الحجا بربات الجمال.. فلم نفرق بين السلاح والعيون الملاح، ولا بين البنود حمر الخدود..

ويلاحظ هنا دقة ابن الخطيب، كما يلاحظ وصفه للحياة الاجتماعية التي يظهر فيها النساء والرجال. كما يشير في مكان آخر إلى وجود رعايا مسيحيين في مملكة غرناطة خرجوا لاستقبال السلطان وهم يتمتعون بكامل حقوقهم.

٤- يركز ابن الخطيب على الوصف الجغرافي للأماكن التي يتحدث عنها ويجعل هذا الوصف مدخلاً لبحثه

التاريخي. وهذا ما فعله في حديثه عن غرناطة في مقدمة كتابه"الإحاطة" وكذلك في كتابه "نفاضة الجراب" حينما يصف الأماكن التي زارها. ومن ذلك حديثه عن مدينة أغمات في كتاب "نفاضة الجراب" حيث يقول:

"ثم أتينا مدينة أغمات في بسيط سهل موطأ لا نشز فيه، ينال جميعه السقي الرغد، وسورها محمر الترب، مندمل الخندق، يخترقها واديان اثنان من ذوب الثلج، منيعة البناء، مسجدها عتيق عادي، كبير الساحة، ومئذنته لا نظير لها في معمور الأرض..." (٢٠).

٥- يحترم ابن الخطيب التسلسل الزمني بدقة وموضوعية، شأن المؤرخين المحترمين، فهو يستعرض الدول ونشوءها وسقوطها استعراضاً تاريخياً دقيقاً، ولا يقرب دولة لشرفها أو مكانتها كالأدارسة مثلاً. وقد فعل سواه ذلك تقرباً لسلاطين عصرهم.

٦-يدأب ابن الخطيب على ذكر مصادر معلوماته، ويحرص على ذكر المؤرخين السابقين باحترام. وقد أورد من الأسماء ما يشير إلى سعة إطلاع وعمق معرفته. فهو يذكر في مقدمة الإحاطة الكتب التي اطلع عليها كتواريخ للمدن أراد أن ينافسها في كتابه "الإحاطة" ومن ذلك على سبيل المثال: تاريخ بخارى لأبي عبد الله الفخار، وتاريخ أصبهان لصاحب الحلية، وتاريخ همذان لغنا خسرو الديلمي،.... وتاريخ الرقّة للقشيري، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ الإسكندرية لوجيه الدين الشافعي، وتاريخ مكة للأزرقي... الخ.

إن ذكر هذه الأسماء دليل على سعة المعرفة، وأمانة النقل، واحترام الرأي الآخر.

٧-حرص على الاستعانة بالمعلومات من مصادرها القريبة. ومن ذلك طلبه من صديقه سفير قشتالة يوسف بن وقارق معلومات عن تاريخ الممالك النصرانية: قشتالة وأراغون والبرتغال وذلك لتكون معلوماته موثقة ومستندة إلى مراجعها(٢١).

٨-اعتماده على مشاهداته من النقوش والكتابات على العمائر والأضرحة والمنشآت المختلفة، وتوثيق تلك النقوش والكتابات والإفادة منها في مادته التاريخية.

٩- أخلاقيته العالية في منهجه التاريخي، وصدقه وموضوعيته ومثال ذلك رسالته التي نصح فيها الملك القشتالي بدرو القاسي، وقد أوردها المستشرقون الأسبان كشاهد على أخلاقية ابن الخطيب. وقد أورد الحادثة المؤرخ الأسباني المعاصر دي إيالا. ووصفها المؤرخ "جاريباي" بأنها قيم أخلاقية جاءت من هذا المسلم ابن الخطيب، وهي تفوق في قيمها ما كتبه سينكا وغيره من فلاسفة الرواقيين الأقدمين(٢٢).

١٠- مزج ابن الخطيب بين التاريخ والجغرافية والرحلات في إطار من النثر

الفني الرشيق والبليغ. بحيث جاءت كتاباته التاريخية يغلب عليها الطابع الأدبي والسجع اللطيف.

هذه الملاحظات العشر هي التي تميز المنهج التاريخي لابن الخطيب ويمكن مقارنتها مع مؤرخين آخرين أحدهما من القرن الرابع الهجري هو مسكويه. والآخر معاصر لابن الخطيب وهو شيخ المؤرخين العرب ابن خلدون.

وتقوم عناصر المنهج التاريخي عند ابن خلدون على الملاحظات الموجزة التالية[٢٣]:

١- التاريخ علم
٢- محتويات التاريخ والفكرة عنها
٣- العناصر التي تجتمع لصنع التاريخ البشري
٤- قوانين التاريخ
٥- التاريخ علم فلسفي عند ابن خلدون (والفلسفة كل ما ليس له صفة دينية)
٦- التاريخ عند ابن خلدون أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وهو نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها..
٧- ابن خلدون يدحض الأساطير
٨- ابن خلدون يضع القواعد اللازمة لمقارنة الحقيقة
٩- النقد التاريخي عند ابن خلدون يبدو في:

- تبدل الأحوال بتبدل الأيام.
- وحدة النفسية الاجتماعية
- ظروف الأقاليم الجغرافية
- التاريخ الحضاري البشري

أما منهج البحث التاريخي عند ابن خلدون فيعتمد على:

- ملاحظة ظواهر الاجتماع لدى الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.
- تعقب هذه الظواهر في تاريخ الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره
- تعقب أشباهها في تاريخ شعوب أخرى لم يتح الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.
- الموازنة بين هذه الظواهر جميعاً.
- التأمل في مختلف الظواهر للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية واستخلاص قانون تخضع له هذه الظواهر في الفكر السياسي وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

ويرى ابن خلدون في مقدمته:

١- ان دراسة التاريخ ضرورية لمعرفة أحوال الأمم وتطور هذه الأحوال بفعل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
٢- يركز ابن خلدون على موضوع الاستبداد والبطش الذي يقوم به السلطان ضد شعبه وأثر ذلك في الشعب.
٣- يشرح ابن خلدون كيف أن بعض

السلاطين ينافسون رعيتهم في الكسب والتجارة. ويسخرون القوانين لخدمة مصالحهم الخاصة وتسلطهم على أموال الناس، وإطلاق يد الجند في الأموال العامة مما يرسخ الشعور بالظلم والإحساس بالحقد لدى الشعب.

٤- يوضح ابن خلدون أن هذه العوامل الداخلية هي التي تؤدي إلى الخلل في أحوال الدولة أكثر من العوامل الخارجية.لأن المجتمع الذي يعاني من خلل داخلي لا يستطيع مجابهة عدو خارجي.

٥- تمكن ابن خلدون من الربط الدقيق بين العوامل الاقتصادية سابقا بذلك مفكرين أوروبيين بعدة قرون

٦- استوعب ابن خلدون الإرهاصات السابقة في الفكر السياسي لدى الفارابي والماوردي والغزالي وإخوان الصفا والطرطوشي ومسكويه وسواهم. وصاغ من كل ذلك نظريته الناضجة في الفكر السياسي وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

٧- يتضح من قراءة مقدمة ابن خلدون فهمه لفلسفة التاريخ من خلال ثلاث نقاط أساسية:

- الأولى: أن التاريخ علم، وليس مجرد سرد أخبار بلا تدقيق ولا تمحيص.
- الثانية: أن هذا العلم ليس منفصلا عن العلوم الأخرى كالسياسة والاقتصاد والعمران وعلوم الدين والأدب والفن.
- الثالثة: أن هذا العلم يخضع لقوانين تنتظم بموجبها أحوال الدول من قوة وضعف، ورفعة وانحلال.

وقد طبق ابن خلدون هذه النظرية على كتابه "العبر" في سرده للأحداث والتعليق عليها وتحليل نتائجها.

٨- يرى ابن خلدون أن الظلم مؤذن بخراب العمران، ويعدد أشكال هذا الظلم من اعتداء على الناس، وتضييق على حرياتهم، وسلب أموالهم، وإضعاف فرص معاشهم وتحصيل رزقهم. والعمران يفسد بفساد العوامل التي تصنعه، والفساد يؤدي إلى الخراب.

٩- إن الفساد يؤدي إلى هرم الدولة وشيخوختها. والهرم من الأمراض المزمنة التي قد تكون طبيعية مع عمر الدول والأفراد.

وقد تكون طارئة بفعل تفاقم الظلم والفساد والعدوان.

١٠- كان ابن خلدون على قدر كبير من الموضوعية والحياد العلمي في قراءته لأحداث التاريخ وتفسيرها رغم صعوبة الحياد في عصره.

واستمرارا لمنهج ابن خلدون وتطويرا له، ودخولا في التفاصيل الدقيقة يأتي المقريزي في وقت غدت فيه القاهرة مركز العالم الإسلامي ثقافيا واقتصاديا وسياسيا أيام حكم المماليك. وفي القاهرة ولد المقريزي لأسرة أصلها من بعلبك. ويذكر أنه كان سعيدا بولادته

وعيشه في القاهرة[٢٤] وقد ترك عدداً من الكتابات التاريخية الفائقة الأهمية مثل:

- السلوك لمعرفة دول الملوك
- اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا
- عقد جواهر الأسفاط في تاريخ مدينة الفسطاط.
- المواعظ والاعتبار (المعروف باسم خطط المقريزي).
- إغاثة الأمة بكشف الغمة.

وقد أفاد المقريزي من تجارب حياته العملية كاتباً في ديوان الانشاء وقاضياً وخطيباً. كما أفاد من اطلاعه الواسع على الكتابات التاريخية السابقة وبخاصة ابن خلدون.

ولعل أهم ما يميزه:

١- الموضوعية والأمانة التاريخية في السرد والعرض.[٢٥]
٢- وتنبثق عن الموضوعية صفة العفة والأخلاق الرفيعة والترفع عن الإساءة إلى الآخرين.
٣- التدقيق والتقصي والتحقيق والتعليل[٢٦].
٤- الدخول في التفاصيل الدقيقة: أحوال النيل - الحياة اليومية - الفساد - الرشوة - الغلاء - إغراق الأسواق بالنقود.
٥- التركيز على الموضوع وعدم الاستطراد، وعدم الخروج على الموضوع.
٦- الحيادية تجاه الحكام وعدم مداهنتهم والتقرب إليهم.

- التنبه إلى ربط حركة التاريخ بالعوامل الاقتصادية من تجارة وصناعة وزراعة وانتقال أموال وتوزيع ثروات واقطاعات[٢٧]

- رصد كثير من الظواهر الاجتماعية بدقة: شهادة الزور، الزنا، اللواط، الفسوق، الخمر.

❖ ❖ ❖

والآن نخلص إلى بعض الملاحظات العامة والاستنتاجات التي تشمل مراحل تطور الكتابات التاريخية عند العرب:

- إن الفكر العربي التاريخي اتجه أساساً إلى سرد الوقائع والأحداث من خلال الرصد أو الرواية المسندة، مستفيداً من علم الحديث.

٢- إن كلمة "التاريخ" تعني في المعجم الغاية والوقت الذي ينتهي إليه كل شيء. وبذلك يتصل المعنى بحركة الزمن المرصودة وليس بالحكاية الاسطورية التي تشير إليها كلمة History باللغات الأوروبية.

٣- الغاية النبيلة من كتابة التاريخ كعلم، ويندرج ذلك في إطار العلوم جميعاً كعمل يتقرب به صاحبه إلى الله وكأنه شكل من أشكال العبادة، وليس عملاً نفعياً يتوخى مصلحة آنية.

٤- سرد الروايات القديمة بصورة حيادية وترك التعليق عليها وإلقاء مسؤولية روايتها على من أسندت إليه.

٥- الاعتراف بالآخر وعرضه بموضوعية إلى حد بعيد وعدم إلغاء من يخالف الرأي أو الدين أو المذهب أو العرق.

٦- يلاحظ في الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة تأثر المؤرخين العرب بالمدارس القومية أو الماركسية أو العلمانية أو الليبرالية أو البراغماتية. وهم في أغلب الأحيان متأثرون بالعوامل السياسية الضاغطة بصورة أو بأخرى.

٧- بروز التخصصات الدقيقة في الدراسات التاريخية:

- قديمة - حديثة
- مشرقية - أندلسية
- حضارات: مصر القديمة، بابل، بلاد الشام، المغرب
- الحركات الإسلامية - الشعوبية
- تاريخ الأدب
- التاريخ الاجتماعي
- علم الآثار
- التراث غير المادي

٨- محاولة إظهار جانب العبقرية لدى المؤرخين العرب، وبيان مدى تأثر المؤرخين الغربيين بهم.

٩- اللجوء إلى صفحات التاريخ المشرقة هرباً من الإحباط المتلاحق الذي يعيشه العرب اليوم.■

**الهوامش:**

١- حاجي خليفة - كشف الظنون - ١٧٤٧/٢ - استانبول ١٩٤٣
٢- مرجع سابق
٣- الكتبي ابن شاكر - فوات الوفيات - ١٣٥/٢
٤- ياقوت - معم الأدباء - ٩٤/٦
٥- ياقوت - معجم الأدباء - ٢١٠/٧
٦- ياقوت - معجم الأدباء - ٣٠٩/٥
٧- ياقوت - معجم الأدباء - ٢٥٩/٦
٨- ياقوت - معجم الأدباء - ٢٦١/٧
٩- ابن النديم - الفهرست - ٥٣
١٠- البلاذري - أنساب الأشراف - ٣٦/٥
١١- اليعقوبي - البلدان - ٢٣٣
١٢- ابن قتيبة - المعارف - ٧
١٣- مسكويه - تجارب الأمم - تحقيق أبي القاسم امامي - طهران ٢٠٠١
١٤- مسكويه - تجارب الأمم - تحقيق أبي القاسم أمامي - ٢٧/١
١٥- بالنثيا - تاريخ الفكر الأندلسي - ١٩٣ وما بعدها
١٦- ابن الخطيب - الإحاطة - تحقيق عنان - القاهرة
١٧- ابن الخطيب - اللمحة البدرية - القاهرة ١٩٥٥
١٨- ابن الخطيب - نفاضة الجراب - القاهرة
١٩- ابن الخطيب - الإحاطة - ٨٨/١
٢٠- ابن الخطيب - نفاضة الجراب - ٤٦
٢١- ابن الخطيب - أعمال الأعلام
٢٢- دي ايالا - مدونة ملوك قشتالة - ٤٩٣/١
٢٣- بالنثيا - مرجع سابق - ٢٥٩ وما بعدها
٢٤- المقريزي - المواعظ والاعتبار - ٩٥/٢
٢٥- المقريزي - المواعظ والاعتبار - ٣/١
٢٦- المقريزي - السلوك - ٤/ حوادث ٨٢٦ هـ
٢٧- المقريزي - المواعظ - ٨٤/١

# الغزو المغولي لحلب

## ومعركة عين جالوت

عامر رشيد مبيض*

### الفرق بين المغول والتتار

يفرق بعض المؤرخين بين المغول والتتار، في حين يذكر البعض الآخر أن المغول والتتار اسم لمسمى واحد، وقد اختلفت تسميتهما باختلاف العصور حتى صار اسم "مغل" هو السائد بعد "جنكيز خان".

التتار والمغول: جنسان مختلفان وإن تشابها في بعض الصفات. وكانت قبائلهما منتشرة على حدود الصين في صحراء جوبي وسيبريا، ولم يكن لهم مقام مستقر. يتبعون المرعى والأرض الخصبة، ويميلون إلى الارتحال الدائم. وقد اعتادوا أن يغيروا على البلاد الصينية، ويعودوا منها بالأسلاب والغنائم. واضطرت الصين أن تبني سوراً على حدودها لتصد أذاهم عنها، ويرجع هذا السور إلى سنة ٢١٤ ق.م. وكانت مضارب القبائل التترية أقرب إلى الصين



من القبائل المغولية، فأطلق الصينيون اسم "التتر" على جميع القبائل الرحل التي تعيش وراء حدودها، وفيهم التتر المغول والأتراك وغيرهم.

وظهر في صحراء جوبي زعيم مغولي يسمى جنكيز خان: كان اسمه أول الأمر "تموجين" ولد في منغوليا عام ٥٤٩ هـ/١١٥٥م. وقد نشأ المغول الأصليون إذا التزمنا المعنى التاريخي الدقيق لهذه الكلمة، والذي قدر لجنكيز خان أن يولد

* باحث في التراث.

بينهم. في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي، وهي تمتد في أواسط آسيا جنوب سيبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي التركستان. استطاع جنكيز خان أن يضم حوله شتات العشائر المغولية، وأن يُخضع التتر لحكمه. ثم غزا الصين وكوريا وأواسط آسيا. وقد أطلق الروس اسم التتر على أتباع جنكيز وعساكره لسبب غير معروف، وقد قلدهم الأوربيون في هذه التسمية. ويرجع أن مقدمة جيش جنكيز خان التي بدأت بغزو روسيا كانت من العناصر التترية. وكان المغول يكرهون أن يسموا بالتتار، ويعتبرون أنفسهم سادة على التتار. فالبلاد الخاضعة لهم هي الإمبراطورية المغولية، وعاهلها هو "خان المغول الأعظم"، وذريته تتولى العرش بعده. وقد يحظى التتر بمرتبة الأمراء أو القواد، ولكنهم لا يرثون العرش.

🗗 انقلبت الآية في عهد تيمورلنك، فدان المغول للتتار، واختفوا وراء الستار، وسميت البلاد التي فرض هذا الرجل حكمه عليها إمبراطورية التتار وتوارثها بعده أبناؤه وأحفاده. وتلك الأيام نداولها بين الناس.

🗗 يذكر المستشرق "بارتولد" أن اسم "التتر"، كان يُطلق في جميع المصادر الصينية والإسلامية والروسية والأوربية، على الشعب الذي هزَّ بغزواته أركان الدول جميعاً من الصين حتى البحر الأدرياتي.

وعلى هذا فإن اسم التتر أو التتار هو أعم وأشمل، أما المغول فهم جزء من هذه الشعوب الكثيرة، أراد لهم جنكيز خان أن يحتفظوا باسمهم القديم، بعد أن طغى اسم التتار عليهم، وكان أحفاد جنكيز خان يطلقون على أنفسهم اسم المغول، بينما كان يطلق عليهم الآخرون اسم التتار. فعندما جاء غازان إلى دمشق ذكر في بيانه الذي قرأه فيها أن الذين يقاتلون معه هم من "المغول والكرج".

### الغزو المغولي للشام

كان من الطبيعي أن يتلو غزو العراق، مهاجمة بلاد الشام. في ذلك الوقت، كان الناصر يوسف، صاحب حلب ودمشق، أقوى الأمراء الأيوبيين، وقدَّر أن هولاكو وجنوده سوف يستولون على بلاد الشام إن عاجلاً أو آجلاً، وإن هذا البلد لن يجد من يحميه من المغول أو مماليك القاهرة. وكانت بلاد الشام في ذلك الوقت تخضع لحكم الأيوبيين. أما في مصر فقد كان الحكم للمماليك الذين كانوا على علاقات غير ودية مع الأيوبيين.

🗗 وقد حاول هولاكو الاستفادة من تلك الأوضاع، فعرض على الناصر يوسف، صاحب حلب ودمشق أن ينحاز إليه ضد المماليك، لكن الناصر كان يحاول كسب الوقت على أمل أن تلوح في الأفق بادرة تنقذ الموقف العصيب.

🗗 ويبدو أن أخبار قسوة المغول ووحشيتهم وعنفهم، كانت تسبقهم دائماً إلى البلاد التي لم يصلوا إليها بعد، فيسرع الأمراء والحكام إلى استرضائهم والاستسلام لهم طلباً وتجنباً لسوء

العواقب. وهكذا أسرع أهالي "الحلة والكوفة وواسط" في العراق إلى استقبال جند هولاكو ورسله "وأقاموا الأفراح ابتهاجاً بقدومهم" وفعل ذلك حاكم الموصل وسلطان سلاجقة الروم، وعدد من حكام البلدان الإسلامية المجاورة.

أما ملوك الأيوبيين وأمراؤهم بالشام فلم يكونوا أحسن حالاً، إذ أسرع الملك الأشرف موسى سليل أسد الدين شيركوه الذي لم يكن يملك في ذلك الوقت إلا قرية تل باشر الصغيرة قرب الرها، وكافأه هولاكو على ذلك بأن رد إليه إمارة حمص التي أخذها منه الملك الناصر يوسف قبل ذلك باثني عشر عاماً ٦٤٦ هـ/١٢٤٨م، وجعله قائده العام في الشام. أما الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق، فأسرع إلى إعلان خضوعه للمغول، بعد أن تلقى رسالة التهديد من هولاكو يطلب منه الاستسلام والمثول بين يديه، فاكتفى الناصر يوسف بعد مشاورات مع كبار رجاله بإرسال ابنه الملك العزيز إلى هولاكو محملاً بالهدايا النفيسة والأموال.

ولما كان الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق قد أرسل ابنه العزيز إلى هولاكو من قبل، تظاهر هولاكو بقبول الهدايا التي بعث بها الناصر يوسف، وبقبوله لخضوع الملك الناصر يوسف له، وبقبول عذره في عدم الحضور بنفسه لأن بلاده تقع في وسط بلاد الفرنج، فما يمكنه أن يتركها ويحضر. فأظهر هولاكو قبول العذر وباطنه بخلاف ذلك، إلا أن غزو الشام قد حان وقته، ولم يشفع للملك الناصر يوسف أن أرسل ابنه العزيز إلى هولاكو، لأن الأخير تحجج بأن عدم حضور الناصر يوسف بنفسه إليه واكتفائه بإرسال ابنه يعد إهانة شخصية بالنسبة لهولاكو. وأصر على حضور الناصر يوسف بنفسه وإلا سيلاقيه في الشام. ثم عاد العزيز ابن الملك الناصر إلى أبيه قائلاً: قد قال ملك الأرض: نحن للملك الناصر طلبنا لا ولده، فالآن إن كان قلبه معنا يجيء إلينا وإلا فنحن نمشي إليه.

ويروي المقريزي أن الملك العزيز ابن الملك الناصر يوسف وصف لوالده ما حلّ ببغداد على أيدي المغول وأنذره بسوء العاقبة إن لم يستسلم للمغول فوراً دون قيد أو شرط وإن هولاكو يفضل دخول مدينة حلب بالأمان. أما الملك الناصر يوسف، فإنه رفض الاستجابة لمطالب هولاكو، وفي الوقت نفسه أرسل ابنه العزيز مرة ثانية إلى هولاكو الذي رفض استقباله، وطلب حضور الملك الناصر، فرفض الملك الناصر يوسف المطلب ثانية، وردّ على رسالة هولاكو برسالة كلها قذف وسباب، ودفع ثمن ذلك غالياً فيما بعد.

وقد جاء في رسالة هولاكو التي حملها الملك العزيز لوالده الملك الناصر يوسف أنّا نحن قد فتحنا بغداد بسيف الله تعالى، وقتلنا فرسانها، وهدمنا بنيانها، وأسرنا سكانها... ودعاه إلى الاستسلام الفوري، قائلاً له: إذا وقفت على كتابي هذا فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض

شاهشناه "ملك الملوك على وجه الأرض" تأمن من شره وتنل خيره، ولم ينس هولاكو في رسالته هذه، أن يحذر الملك الناصر من الاعتماد على المماليك أو تعليق الآمال عليهم، فقال له: وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرها، انهزموا بأموالهم وحريمهم إلى "كروان سراي: أي مصر، فإن كانوا في الجبال نسفناها، وإن كانوا في الأرض خسفناها".

### الزحف المغولي على حلب

اضطرب الملك الناصر وأرسل حريمه إلى الكرك، وحدث ذعر شديد في البلاد الشامية، وخاف الناس بدمشق خوفاً كثيراً لعلمهم أن المغول قد قطعوا الفرات وسار كثير منهم إلى مصر، وكان الوقت شتاء، فهلك منهم خلق كثير، وبعث الملك الناصر يوسف كمال الدين ابن العديم إلى مصر يستنجد بالملك قطز على قتال المغول.

وفي جمادى الأولى ٦٥٨ هـ/١٢٥٧. ١٢٥٨م، اندفع هولاكو بقواته للاستيلاء على حلب وأملاك الأيوبيين، واستولى في طريقه على آمد ونصيبين واستسلمت له كل من الرها وحران، وكانت في مملكة الناصر يوسف، ولما رفض أهل سروج الاستسلام دخلها هولاكو عنوة وقتل كل أهلها، لم يبق بعد ذلك بين جيوش المغول ونهر الفرات سوى مسافة قصيرة، فسيَّر هولاكو ابنه أشموط إلى الشام وأمره بقطع الفرات وأخذ البلاد الشامية، فسبق الجيش الرئيسي إلى عبوره والتقدم نحو حلب عن طريق ناحية تل باشر. وعبر قسم من جيش هولاكو نهر الفرات، وعاثوا فساداً وسلباً ونهباً وتدميراً في المدن والقرى والحصون السورية المطلة على الفرات. ووصل الخبر إلى حلب، وكان نائب الملك الناصر يوسف بحلب المعظم تورانشاه، فخاف الناس بحلب، وغادر قسم كبير منهم المدينة إلى دمشق، حيث كان السلطان الناصر يوسف مقيماً، وعظم الخوف عند الحلبيين، واستعد الملك المعظم تورانشاه وجميع نواب البلاد الحلبية، وصارت حلب في غاية الحصانة بأسوارها المحكمة البناء وكثرة الآلات.

ثم أمر هولاكو بإقامة ثلاثة جسور على نهر الفرات وعبرت القوات المغولية نهر الفرات نحو الغرب بواسطة هذه الجسور، فعاث المغول في مدينة منبج فساداً، فسفك جيش هولاكو دماء أهلها.

### استعدادات حلب لمواجهة المغول

وبعد أن قطع المغول الفرات واقترب هولاكو من حلب، عزم الملك الناصر يوسف على مقاتلة هولاكو، وكان مقيماً في دمشق بمنطقة برزة، وكتب إلى الملك المغيث صاحب الكرك، وإلى الملك المظفر قطز، يطلب منهما نجدة للمرة الثانية على قتال المغول لم تصله. غير أن الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق، لم يكن على ثقة من الانتصار على هولاكو، كما أنه لم يكن على استعداد للثقة في المماليك.

## دخول جيش هولاكو إلى حلب

وفي العشر الأخير من ذي الحجة ٦٥٧ هـ/١٢٥٨م، زحف جيش المغول ونزلوا في قرية المسلمية وامتدوا إلى قرية حيلان "١٠ كلم عن حلب" وسارت فرقة من جيش المغول إلى مدينة حلب نفسها وكانت حلب تعصف بها الرياح الشديدة البرودة والأمطار الغزيرة، فخرج عسكر حلب إلى أماكن تجمع المغول ومعهم عامة الناس، فلما علم عسكر حلب بكثرة عدد المغول عادوا إلى حلب.

وفي اليوم التالي تحرك المغول باتجاه مدينة حلب، في حين اجتمع جيش حلب وتشاوروا في الأمر، وقرروا القتال وفيما يفعلون، فأشار الملك المعظم تورانشاه عليهم ألا يخرج أحد من المدينة، لكثرة المغول ولقوتهم وضعف المسلمين على لقائهم، فلم يوافقه على ذلك جماعة من العسكر، وأصروا على الخروج للقتال حتى لا يطمع العدو فيهم.

خرج العسكر إلى ظاهر حلب، ومعهم عامة الحلبيين واجتمعوا بجبل بانقوسا، لكن المغول كمنوا لعسكر حلب ولعامة الحلبيين الذين خرجوا لمقاتلة المغول وصمد عسكر حلب ساعة من النهار، ثم ازداد عدد المغول، فهرب المسلمون جميعاً نحو حلب والعدو يطاردهم ويقتل فيهم حتى دخلوا المدينة وأختنق في أبواب حلب جماعة كبيرة من المسلمين الهاربين من جيش المغول الجرار، وهاجم المغول مدينة حلب طوال النهار، ثم رحلوا إلى أعزاز، فتسلموها بالأمان.

## رسالة هولاكو لنائب حلب المعظم توران شاه

وفي اليوم الثالث من شهر صفر ٦٥٨ هـ/١٢٥٩. ١٢٦٠م، تحركت قوات المغول إلى حلب وحاصروها سبعة أيام. أما هولاكو، فإنه نزل بنفسه على حلب، ونصب المنجنيقات واستضعف في سورها موضعاً عند باب العراق وأكثر القتال والزحف عليه، وتمكن المغول من اقتحام حلب التي رفض ملكها المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يسلمها دون قتال. وفي يوم الأحد ٩ صفر ٦٥٨ هـ/ ١٨ كانون الثاني ١٢٥٩ .١٢٦٠ م، دخل المغول رسمياً مدينة حلب من عند حمام حمدان في أسفل قلعة الشريف وقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً وأسروا النساء والأطفال ونهبوا وسبوا. والتجأ إلى قلعة حلب والجامع الأموي جموع غفيرة من سكان حلب.

قضى المغول في حلب خمسة أيام من نهار الأحد ٩ صفر ٦٥٨ هـ/ ٢٣ كانون الثاني ١٢٦٠م، إلى يوم الجمعة ١٤ صفر ٦٥٨ هـ/ ٢٨ كانون الثاني ١٢٦٠م، وعساكر المغول يقتلون ويحرقون ويخربون كل ما صادفوه في حلب من إنسان وحيوان وعمران وخاصة الجوامع والمشاهد والمدارس، كما امتلأت الطرقات من القتلى، وصارت عساكر المغول تمشي على جيف من قُتل. وأسر المغول من سكان حلب من بقي على قيد الحياة، ويقال إنه أسر من حلب زيادة على مئة ألف من النساء والصبيان، حيث تم بيع معظم الأسرى الحلبيين كرقيق في بلاد الفرنج.

ودام حصار المغول لقلعة حلب نحو شهر، حتى اضطرت إلى التسليم بالأمان واستسلم من كان في قلعة حلب، وكان بينهم أقارب الملك الناصر فاعتقلهم هولاكو، وقتلهم جميعاً. وقد بقيت قلعة حلب مدمرة نحو ثلاث وثلاثين سنة ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م حتى سنة ٦٩٠ هـ/ ١٢٩٢ م، وفي هذه السنة، كان الأمير قرا سنقر نائب حلب، قد شرع في عمارة حلب، فأحكم بنيانها وأدار سورها وأقام شعائر جامعها، وأكمل عمارة قلعة حلب، وكُتب عليها اسم الملك الأشرف خليل بن قلاوون.

## هولاكو يغادر حلب

غادر هولاكو حلب، ووصل إلى حارم وطلب تسليمها، فامتنع أهلها، فغضب هولاكو من ذلك، وأمر بقتل جميع أهل حارم عن آخرهم وسبى النساء. وكان لكل ذلك صدى مخيفاً في أنحاء بلاد الشام جعل الجميع الملوك في الدول المجاورة يسارعون إلى معسكر هولاكو لإعلان خضوعهم له. فأسرع الأشرف موسى صاحب حمص إلى هولاكو معلناً ولاءه وخضوعه، فأقره هولاكو على ما بيده من أملاك على أن يكون تابعاً له. كما فرَّ إلى مصر المنصور بن المظفر صاحب حماة بأهله تاركاً أهل حماة يسارعون بطلب الأمان من هولاكو الذي أجابهم إلى مطلبهم وبعث إليهم بنائب مغولي ليحكم المدينة.

وعندما علم الملك الناصر يوسف أن هولاكو أخذ حلب في منتصف صفر ٦٥٨، وغدر بأهلها، هرب من دمشق مع أمرائه واتجه إلى غزة في يوم الجمعة ١٥ صفر ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م، بصحبة أمرائه وأهله تاركين دمشق خالية من المدافعين عنها "وأهلها على الأسوار يشتمونهم ويدعون عليهم ويقولون تركتمونا طعماً للمغول لا كتب الله عليكم السلامة". وعندما وصل الملك الناصر يوسف إلى غزة تردد في دخول مصر خوفاً من قطز، واكتفى بإرسال زوجته شقيقة علاء الدين كيكاوس سلطان السلاجقة، وبعض أمرائه إلى مصر، حيث ظن قطز أنها مكيدة من الأيوبيين لدخول مصر وأخذها منه، فأمر بمصادرة كل ما مع أهل الملك الناصر يوسف من أموال، وبعث إلى السلاجقة بزوجة الملك الناصر. وبهروب الملك الناصر يوسف من دمشق تنقضي مملكته في الجزيرة وحلب ودمشق، وتنقضي معها دولة بني أيوب في بلاد الشام.

## رسالة هولاكو إلى الملك المظفر قطز

"من ملك الملوك شرقاً وغرباً، القان الأعظم. باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء. يعلم الملك المظفر قطز، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتنعمون بأنعامه، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك. يعلم الملك المظفر قطز، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، إنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من حلّ به غضبه. فلكم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر،

فاتعظوا بغيركم، واسلموا إلينا أمركم، قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا ويعود عليكم الخطأ. فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى. وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم العباد. فعليكم بالهرب، وعلينا الطلب. فأي أرض تأويكم، وأي طريق تنجيكم، وأي بلاد تحميكم؟ فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص. فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال. فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يُسمع. فإنكم أكلتم الحرام، ولا تعفون عند كلام، وخُنتم العهود والأيمان، وفشا فيكم العقوق والعصيان. فأبشروا بالمذلة والهوان. فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم. فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم، فلكم مالنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتم هلكتم، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم. فقد حذر من أنذر، وقد ثبت عندكم أنْ نحن الكفرة، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وقد سلّطنا عليكم من له الأمور المقدرة والأحكام المدبرة. فكثيركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل، وبغير الأهنة ما لملوكم عندنا سبيل. فلا تطيلوا الخطاب، وأسرعوا برد الجواب".

فجمع قطز الأمراء المماليك، واتفقوا على قتل الرسل. وسار قطز ومعه عساكره ونزل بالصالحية في مصر، وطلب الأمراء وتكلم معهم في الرحيل، فأبوا كلهم وامتنعوا من الرحيل. فقال لهم: يا أمراء المسلمين! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين. ثم نزل السلطان قطز بالعساكر إلى غزة وأقاموا بها يوما، ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج.

## معركة عين جالوت وانتصار المماليك على المغول

لم يبق أمام المغول بعد احتلال المدن الشامية سوى احتلال الأراضي المصرية، فاتفق الملك المظفر قطز مع أمرائه على تجهيز العساكر المصرية، وصمموا على لقاء المغول. فبعد أن تحدى سيف الدين قطز الإنذار المغولي خرج بجيشه، وما أن علم المغول باقتراب جيش المماليك من غزة بقيادة الأمير بيبرس البندقداري حتى أسرعوا بالفرار من المدينة واقتربت قوات المماليك من عكا، وحتى يأمن قطز جانب الصليبيين، فقد بعث إليهم يطلب حيادهم بينه وبين المغول، وأن لا يعترضوا طريقه، وأن "لا يكونوا له ولا عليه، وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذى عسكر المسلمين رجع وقاتلهم قبل أن يلقى المغول".

وهكذا تفرغ قطز لملاقاة نائب هولاكو كتبغانوين وقواته، ووصل قطز إلى عين جالوت في يوم الخميس ٢٤

رمضان ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م، فخرج كتبغا من حمص ووصل إلى عين جالوت فجر اليوم التالي الجمعة ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، حيث "التقى الجمعان وفي قلوب المسلمين وهمٌ عظيم من المغول، وأبلى الأمير بيبرس البندقداري بلاء حسناً بين يدي السلطان". ويذكر اليونيني صاحب كتاب ذيل مرآة الزمان "وأرسل الملك المظفر خلف المغول الأمير بيبرس، فتبعهم إلى حمص وقتل وأسر منهم خلقاً كثيراً ورجع إلى دمشق". أما كتبغانوين فقد قُتل في موقعة عين جالوت على يد نائب حلب الأمير الكبير جمال الدين أقوش الشمسي.

وقد ذكر رشيد الدين الهمذاني أن كتبغانوين وقع أسيراً في يد السلطان قطز، فقتله بعد مناقشة مثيرة معه أظهر فيها كتبغانوين الغرور وإساءة الأدب رغم وقوعه في الأسر، فأمر قطز بقطع رأس كتبغانوين وطاف به البلاد. وذكر اليونيني: فقتل كتبغانوين وأخذ رأسه وأسر ابنه وكانت الوقفة بين المغول والمسلمين على عين جالوت يوم الجمعة في الخامس والعشرين من شهر مضان، ووصل الخبر إلى دمشق في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، فانهزم في تلك الليلة من كان بدمشق من المغول. وفي تلك الموقعة انتصر المماليك، وانهزم المغول شر هزيمة وولوا الأدبار.

## القبض على الملك الناصر يوسف

عندما علم كتبغانوين بمكان الملك الناصر يوسف أرسل إليه بعض العساكر المغولية للإمساك به، فأحضروه إلى عجلون، ثم أرسله إلى دمشق ثم إلى حماة ومنها سار إلى حلب وعندما مرَّ الناصر يوسف إلى حلب ورأى ما قد حلَّ بها، وهو أسير لدى المغول، تضاعف تألمه، وأنشد:

**يعز علينا أن نرى ربعكم يبلى**

**وكانت به آياتُ حسنكم تُتلى**

**ولي أسوةٌ مع آل بيت محمد**

**فبعضكم أسرى وبعضهم قتلى**

## مقتل الملك الناصر آخر ملوك الأيوبيين

ومن حلب نقل الملك الناصر يوسف إلى العراق، فلما وصل الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق إلى هولاكو أحسن استقباله وأجرى له راتباً، واختص به وأجلسه على كرسي قريباً منه وشرب معه، وأخلع عليه وأعطاه خيولاً كثيرة وأموالاً، ووعده برده إلى مملكته عندما يستولي على مصر. وأغلب الظن، ووفقاً لما تشير إليه بعض المصادر، أن هولاكو أحسن استقبال الملك الناصر، لأن الأخير استطاع إقناع هولاكو بأن جيش الشام ما زال في طاعته ضد المماليك، بدليل أنه ما أن وصل إلى هولاكو خبر هزيمة المغول في عين جالوت، حتى أحضر الملك الناصر يوسف وأخاه الملك الظاهر غازي، وقال له: أنت قلت أن عسكر الشام في طاعتك، فغدرت بي، وقتلت المغل، فقال الملك الناصر: لو كنت بالشام ما ضرب أحد في وجه عسكرك بالسيف، ومن يكون ببلاد

"توريز" كيف يحكم على بلاد الشام، ولم يكن أمام هولاكو إلا الانتقام من الملك الناصر يوسف، فقتله ومن معه جميعاً بجبال سلماس في جمادى الأولى ٦٥٩ هـ/١٢٥٩ - ١٢٦٠م.

ولم ينج من القتل سوى الملك العزيز ابن الملك الناصر الذي شفعت به طقز خاتون زوجة هولاكو لصغر سنه وبقي الملك العزيز عندهم مدة طويلة وأحسنوا إليه، ثم مات.

## الأسباب المساعدة لانتصار المسلمين في عين جالوت

مما لاشك فيه أن انتصار المماليك في عين جالوت أظهرهم في صورة القوة التي تتحمل وحدها عبء الدفاع عن المنطقة، ولم يعد للبيت الأيوبي شأن كبير، فهم بين مهزوم وهارب ومقتول. كما أصبحت معركة عين جالوت من المعارك الفاصلة في التاريخ، نظراً لما ترتب عليها من نتائج خطيرة.

فلو انتصر المغول في تلك المعركة لفعلوا بمصر وأهلها مثلما فعلوا بالعراق وسورية، أو على الأقل لأقاموا واستقروا بالشام مثلما أقاموا واستقروا بالعراق، ولمرت بقية البلدان العربية في دور مظلم هالك طويل تحت حكم المغول.

وإذا كان المؤرخون قد اتفقوا على أن معركة عين جالوت كانت إحدى المعارك التاريخية الحاسمة، وإن انتصار المسلمين. وهزيمة المغول. في هذه المعركة قد غير ما كان بدا أنه مقدر للشرق الأدنى الإسلامي، من شكل تاريخي يشبه ما قدر لشرق آسيا وشمالها ؛ إلى الشكل التاريخي الذي ضاع الأمل في تحقيقه بموت صلاح الدين الأيوبي، والذي نجح المماليك في تحقيقه والعمل على استمراره لمدة تقترب من الثلاثمائة عام، إذا كان الأمر كذلك، فإنه من الأحرى الوقوف على أسباب انتصار المسلمين الحقيقية في هذه المعركة.

### ١- دعم القبائل العربية للجيش المملوكي:

يقول المستشرق العلامة "ل. أ. سيديُو" في كتابه تاريخ العرب العام: ترجمة عادل زعيتر "...انضمت عدَّة قبائل عربية إلى المماليك فساعدتهم على نيل النصر" وكان للقبائل العربية دور كبير في الاحتفاظ بالأراضي المقدسة، ودرء خطر المغول والصليبيين عنها ومساعدة قطز في الانتصار في المعركة، لأن الأمراء المماليك كما يقول المقريزي المقريزي في كتابه "السلوك": أبوا كلهم المشاركة في المعركة وامتنعوا من الرحيل مع قطز. فقال لهم قطز: يا أمراء المسلمين! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين.

### ٢- الدور الأيوبي في انتصار المماليك في معركة عين جالوت:

إنَّ الدور الكبير الذي لعبه الملك الأيوبي الأشرف موسى صاحب حمص،

كان حاسماً ورئيسياً وهاماً في انتصار المماليك في معركة عين جالوت، فقد قام بمساندة قطز وساعده على هزيمة المغول وأيضاً مملوك الملك الأشرف موسى صارم الدين أزبك، فحين هاجم المغول حلب تخفى بزيهم وتقرب من هولاكو بحسن حديثه وسرعة بديهته، ويذكر ابن أبيك في كتابه "الدرة الزكية"، وكان الأشرف موسى الملك الأيوبي صاحب حمص قد وصل إلى حلب لمقابلة هولاكو الذي منحه مرسوماً بأن يكون نائب المغول في دمشق وبلاد الشام بعد أن توسط له مملوكه صارم الدين أزبك الذي تقرب من هولاكو وصار يتظاهر بالخضوع له.

ومن رواية أزبك التي أوردها المؤرخ قيرطاي كما رواها له أزبك، نقف على طبيعة الدور الذي لعبه صارم الدين أزبك والأشرف موسى في هزيمة المغول. وأيضاً على حقيقة ما حدث في تلك المعركة. فغالبية المؤرخين يذهبون إلى أن قطز كلف بيبرس البندقداري، بأن يذهب ببعض قواته لمناوشة المغول والانسحاب أمامهم لجرهم إلى مكان يكمن فيه قطز لهم مع الجزء الأكبر من جيشه، ثم ينقض عليهم ويباغتهم. ووقع المغول في كمين المماليك بالرغم من أنهم كانوا يألفون أسلوب القتال هذا. وكان آخر ما أوصى به هولاكو صارم الدين أزبك مملوك الأشرف صاحب حمص قبل أن يغادر هولاكو الموصل ليلحق بكتبغا نوين الذي توجه للقاء قطز هو قوله: "يا صارم إذا وصلت إلى كتبغانوين، وبيدرا، ساعدهما على فتح بخش الفأر، يعني بذلك الديار المصرية، فإني أمرتهم أن يفتحوا مصر".

فقد وصل صارم الدين من الموصل إلى معسكر كتبغا نوين وهو على نهر الأردن في طريقه لمواجهة جيش قطز وبعث صارم الدين بغلام لديه، على أنه جاسوس للمغول، إلى قطز وبيبرس ليعرفهم أن المغول لا شيء فلا تخافوا منهم، وأن تكون ميمنة المسلمين قوية بالخيل والرجال، وأن المغول في عسكر قليل، وأوصيته أن يوصي المسلمين أن يكون الملتقى عند طلوع الشمس، وأنا الملك الأشرف في ميسرة المغول، فإذا رأيتم رنكي "علمي" احملوا عليَّ وعلى أصحابي وأنا والملك الأشرف ننهزم بين أيديكم.

فبالرغم من معرفة قطز برحيل هولاكو مع غالبية قواته، إلا أنه حتى وصوله إلى عين جالوت كان يخشى قوة المغول، ولم يؤكد له قلة أعدادهم عن المعتاد سوى الرسالة التي بعث إليه صارم الدين أزبك مملوك الملك الأيوبي الأشرف صاحب حمص الذي جاء مع سيده بصحبة المغول إلى مكان المعركة.

وهكذا فبالإضافة إلى العوامل السابقة، فإن انسحاب صاحب حمص ومماليكه من بين صفوف المغول كان هو السبب المباشر في كسر ميسرة الجيش المغولي الذي لاقى المسلمين بعد المسير طوال الليل، وبعد أن اشتد الحر بعد طلوع الشمس، ونال من المغول التعب في الوقت الذي انقض عليهم قطز بقواته

الأكثر عدداً أو الأكثر راحة. ولم تكن هزيمة المغول في عين جالوت هي النتيجة الوحيدة لهذه المعركة، بل تلاها انتهاء السيادة المغولية في بلاد الشام.

٣- ومن العوامل المساعدة لهزيمة المغول في معركة عين جالوت، عودة هولاكو إلى فارس ومعه معظم جيشه، كان سبباً كبيراً في إضعاف قوة المغول بالشام. ولا يخفى أن وجود هولاكو نفسه في المعركة ضد المماليك كان من الممكن أن يؤثر تأثيراً معنوياً خطيراً في نفوس رجاله من المغول وأعدائه من المماليك جميعاً.

٤- ولا شك أنه بوصول المغول إلى بلاد الشام كانت حركتهم الضخمة قد بلغت نهايتها في ذلك الاتجاه الجنوبي الغربي.

٥- إن حياد الصليبيين الذي حققه قطز قد جنب المسلمين القتال على الجبهتين في وقت واحد.

٦- كان جيش قطز يضم بين صفوفه القوات المملوكية المصرية إلى جانب من "وصل إلى مصر من عسكر الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق".

٧- كان لأكراد الشهرزورية في شمال العراق، الذين هربوا بأعداد غفيرة إلى الشام ومصر، من وجه المغول بعد أن استولى هولاكو على بغداد، دور هام في معركة عين جالوت، حيث وقفوا مع قطز في المعركة، وتزوج بيبرس من هؤلاء وحالفهم وكانوا ممن يكرهون المغول.

٨- كما لعب تركمان العراق الذين هربوا من المغول

## وصفوة القول

إذا كان المماليك قد حققوا الوحدة بين مصر والشام، أقول إن هذه الوحدة لم تقم إلا على جثث أكثر من ثلاثة ملايين مسلم عراقي وسوري طحنتهم جحافل هولاكو المغولية. وفي ذلك يذكر المقريزي "وأمر هولاكو بعدِّ القتلى في بغداد، فبلغت الألفي ألف قتيل". ويذكر المؤرخ الحلبي ابن العبري المعاصر لغزو هولاكو لحلب: "وقتل في حلب أكثر من الذي قتل في بغداد". وقال ابن العميد إن المغول قتلوا من سكان حلب عدداً لا يحصى، فاق ما قتل في جميع المدن الإسلامية. والمماليك يتفرجون على تدمير بغداد، وحلب، ودمشق وغيرها من المدن السورية. كما تكاسل الأمراء المماليك عن الجهاد، لأن عينهم على السلطة بعد زوال الحكم الأيوبي، يقول المقريزي: "قال قطز: يا أمراء! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون". وقطز هنا يوجه خطابه إلى الأمراء المماليك في مصر.

وهذه العوامل مجتمعة أسهمت في نصر المماليك، الذين عجزوا عن التحرك قبل مغادرة هولاكو بلاد الشام، ورفضوا حتى مساعدة الملك الأيوبي الملك الناصر الذي استنجد بهم لإنقاذ حلب ودمشق. وسبق لهولاكو أن حذر الملك الناصر صاحب حلب ودمشق من الاعتماد على المماليك أو تعليق الآمال عليها. وبانتصار المماليك في عين جالوت حصلوا على ما كان ينقصهم من مجد لا بد منه لتثبيت أركان دولتهم.

# حلب وملكتها ضيفة خاتون

## (٥٨١ - ٦٤٠ هـ/ ١١٨٥ - ١٢٤٢ م)



إعداد جوزيت فتال فحمة (بالفرنسية)
ترجمة: م. عبد الله حجار

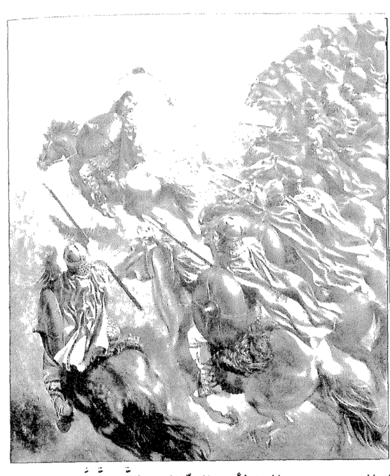
### حلب وصلاح الدين

عندما علم صلاح الدين الأيوبي بمرض الصالح اسماعيل بن نور الدين زنكي صاحب حلب أوعز لإبني أخيه تقي الدين وعزّ الدين ليكونا على أهبة الإستعداد. وبحجة قيام اضطرابات في ديار بكر قام بجولة على جميع المدن والإقطاعات والقلاع في الجزيرة وسواها ليتأكّد من ولائها له، ثم عاد ليجتاز الفرات قاصداً حلب حيث احتدمت المعركة مع جيش عماد الدين صاحب حلب بعد وفاة الصالح اسماعيل. وأصيب تاج الملوك أخو صلاح الدين بجرح في ركبته. وعن طريق مبعوث صلاح الدين المفاوض يوافق عماد الدين على وقف القتال شريطة مبادلة حلب بسنجار موطنه الأصلي. يوافق صلاح الدين ويعطيه بالإضافة إلى سنجار الخابور والرقة ونصيبين وسروج. ويقول له الحلبيون: "يا حمار بدّلت حلب بسنجار!".

ويدخل صلاح الدين مع جنوده قلعة حلب عام ٥٧٩ هـ/١١٨٣ م على ضوء المشاعل وقرع الطبول والموسيقى مع سماع صوت الأذان، ويقول جملته الشهيرة: "ما سررتُ بفتح مدينة كسروري بفتح حلب، والآن تبيّنتُ أن ملكي قد استقرّ". وقد سمّى نفسه "سلطان بلاد المشرق جميعاً" Orientalium Rexomnium regum، وذلك في الكتاب الذي أرسله إلى البابا إليوسيوس الثالث عام ١١٨٣ م بشأن بعض الأسرى المسلمين لدى الفرنجة (الصليبيين).

ويموت تاج الملوك أصغر إخوته متأثرا بجرحه ثمناً لحصوله على حلب، وكان يؤثره بحبّه فيأخذ رفاته ويدفنه بدمشق. ثم يحتل حارم التي كانت بيد سرخك مملوك نور الدين. ويعود في الربيع إلى حلب ليعيّن ابنه الظاهر غازي سلطانا عليها مع تعيين حكام للمواقع المجاورة الهامة، ويُعلم الخليفة العباسي في بغداد والأمراء بامتلاكه حلب.

وبعد ستة أشهر يلتقي صلاح الدين في الأردن، وهو في ضائقة مالية شديدة، بأخيه الملك العادل ممثله في مصر، والمستشار المفضّل لديه، فيقول له العادل: "ان كل ما لديّ من أملاك أضعه بين يديك، وما أنا سوى رجل تحت إمرتك. وأرغب أن تعطيني حكم مدينة حلب وأن تكتب لي عقد بيع وشراء بالمدينة". عندها نهض صلاح الدين وقال وهو ينظر إلى وجه أخيه بغضب: "ألا تعلم أن البلاد لا تباع لأنها ملك أهلها، وما نحن سوى مؤتمنين على أموال المسلمين وحماة الدين وحراس الأملاك". وعيّن صلاح الدين أخاه العادل في حلب وما حولها من حماه إلى الفرات، وذهب إلى دمشق ورجا ولده الظاهر أن يسلم مفاتيح حلب إلى عمّه، وقد سلّمه إياها في الرستن. وقيل إن الملك العادل دفع مبلغ ٣٠٠٠٠٠ دينار مصرية، وقيل دون ذلك، مقابل الحصول على حلب. ولم يبق الظاهر بحلب سوى ستة أشهر فقط وقد غادرها على ألم. ودخل العادل حلب، ووزع الهدايا على كبار مستقبليه وأمراء الجيش، وسمّى معاونيه من بين الرجال الذين اختارهم. وقد أحب حلب منذ زمن بعيد وكانت بالنسبة اليه حلماً قد تحقّق. كان متسامحاً، محباً للأبّهة والاحتفالات والأعياد، وكلمة"ملك" تناسبه تماماً. أجل لقد غادر الظاهر غازي حلب إلى دمشق



طاعة لأبيه لكنّ قلبه ظلّ معلّقاً بحلب.

تمّت الوحدة بين مصر والشام وبلاد الجزيرة بدخول كل من حلب وميافارقين والموصل تحت إمرة صلاح الدين. وكان قد هاجم بلاد الإسماعيلية وحاصر قلعة مصياف عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م، فأرسل شيخ الجبل راشد سنان الدين إلى شهاب الدين الحارمي صاحب حماه وخال صلاح الدين يسأله أن يشفع فيهم لدى صلاح الدين، فأجابه صلاح الدين إلى طلبه ورحل عنهم. وقد قيل انه كان بإمكان الإسماعيلية اغتيال صلاح الدين لكنهم لم يفعلوا لأن شيخ الجبل كان يعلم انه سيموت بعد صلاح الدين بأربعين يوماً.

أجل تحقّقت تلك الوحدة التي ظلّ صلاح الدين يسعى إليها طيلة اثنتي عشرة سنة ٥٧٠ - ٥٨٢ هـ/١١٧٤ - ١١٨٦ م، وذلك تمهيداً للإعداد لمرحلة التحرير من احتلال الفرنجة، والتي اكتملت بمعركة حطين قرب بحيرة طبريا واستعادة القدس عام ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م.

وعندما مرض صلاح الدين سمع نصيحة ابن جندر بتسليم الأمور إلى أولاده بدل إخوته، عندما روى له ما يلي: "إذا أراد الطائر أن يعمل عشاً لفراخه قصد أعالي الشجر ليحمي فراخه. وأنت سلّمت الحصون إلى أهلك، وجعلت أولادك على الأرض. هذه حلب بيد أخيك وحماة بيد تقي الدين وحمص بيد ابن شيركوه وابنك العزيز مع تقي الدين بمصر يخرجه أي وقت يريد.

وهذا ابنك الآخر مع أخيك في خيمة يفعل به ما يشاء". فقال له صلاح الدين: صدقت. أكتم الأمر. ووضع ابنه الظاهر غازي في حلب بدل أخيه الملك العادل الذي أرسله إلى مصر وأعطاه الجزيرة، وزوّجه ابنة عمه العادل واسمها غازية خاتون. وقبل بإقامة هدنة ثلاث سنوات وخمسة أشهر مع الفرنجة الذين كانوا على الساحل في عكا ويافا، وعاد إلى دمشق بعد غياب أربع سنوات. وقد وجّه صلاح الدين إلى ولده الظاهر غازي عام ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م وصية قيّمة في محبة الرعية وقيادتها بالعدل، جاء فيها: "أوصيك بتقوى الله فإنها رأس كلّ خير، وأحذّرك من الدماء والدخول فيها والتقلّد لها، فإن الدم لا ينام، وأوصيك بحفظ قلوب الرعيّة والنظر في أحوالهم، فأنت أميني وأمين الله عليهم، وأوصيك بحفظ قلوب الأمراء وأرباب الدولة والأكابر، فما بلغت ما بلغت إلاّ بمداراة الناس. ولا تحقد على أحد، فإن الموت لا يبقي على أحد...".

وإثر مرض ملك الإنكليز ريشارد قلب السد يرسل إلى الملك العادل أن يسأل السلطان صلاح الدين في الصلح. وعقدت هدنة في البرّ والبحر الأربعاء ٢٢ شعبان ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م مدّتها ثلاث سنين وثلاثة أشهر. وتوفي صلاح الدين عام ٥٨٩ هـ/١١٩٣م بدمشق وله من العمر ٥٧ عاماً خاض منها حوالي ٣٠ عاما من الحروب والمعارك ضد الفرنجة وكان يخطّط لكل معركة قبل حدوثها.

وقد وزّع كل ماله على أولاده وإخوته ولم يكن معه عند وفاته سوى دينار وأربعين درهماً، وقد عرف بالكرم والتقوى وإغاثة الملهوف، وفرَض احترامه وتقديره حتى على أعدائه من الفرنجة.

## الظاهر غازي وضيفة خاتون

عندما تولى الظاهر غازي ملك حلب وما حولها تزوّج غازية خاتون ابنة عمه الملك العادل عام ٥٨٢ هـ/١١٨٦ م. وعندما توفت أرسل القاضي بهاء الدين بن شدّاد يخطب أختها ضيفة خاتون الإبنة الثانية لعمه الملك العادل، وكان زواج عقل عام ٦٠٩ هـ/١٢١٢ م.((وكان العقد على خمسين ألف دينار، وكان معها من القماش خمسون بغلاً ومئة

بختي وثلاثمائة جمل، ومن الكجاوات وغيرها ما يحمله مائة جمل. وكان معها مائة جارية وصيفات ومائة أخرى يعملن الصنائع البديعة. وقد قام الظاهر غازي باستقبالها باحتفال عظيم بحلب، وكان في مقدمة المستقبلين في قاعة العرش والى يمينه ابن شدّاد، وقدّم لها خمسة وخمسين عقد جوهر قيمتها مائتان وستون ألف درهم وعصابة مجوهرة وعشر قلائد عنبر وخمس عشر مذهّبة ومائة وخمسين قطعة من الذهب والفضّة وعشرين تختاً من الثياب الفاخرة وعشرة خدّام وعشرين جارية.))

كانت ضيفة خاتون أميرة بكل معنى الكلمة والإبنة المفضّلة لدى الملك العادل لأسباب عديدة. فقد كانت جميلة ناعمة تتمتع بعينين سوداوين ونظرة حلوة وثاقبة. اجتازت الممرات إلى قاعة العرش بخطى رشيقة وهي تستمع إلى ما يقال في غرف سكن العبيد وحتى همسات الحريم. انها تعرف كيف تفرض طاعتها وبصوت ناعم وسيعرفون طيبتها. خلال طيلة الرحلة التي قادتها إلى حلب حاولت ضيفة خاتون أن تتخيّل كيف ستكون حياتها فيها.

لقد كان ابن عمها الظاهر غازي زوج أختها، وهو شاب جميل حاز محبة القلوب بذكائه وديبلوماسيته. كما كانت بدورها تستمع من وراء الستائر المذهّبة لقسم النساء إلى قصائد الشعراء التي كانت تلقى في بلاط والدها والأمراء والتي كانت غنيّة بمعاني الفروسية والحب. وأحيانا عند المساء، وهي في سريرها وهواء الصيف يتلاعب بلهب الشمعدان محاولا إخماده، كانت تتخيل ظلالاً وحكايا تُروى.

تعثّرت عربتها الفخمة بشيء ما وكأنها اصطدمت بحجر كبير جعلها تتأرجح بدون مساعدة خادمتها التي أصلحت من وضع العصابة المذهّبة على ضفائرها السود... ونظرت ضيفة وقلبها يخفق اضطرابا إلى الجموع المحيية والسعيدة المتجمعة حول خندق القلعة تنتظر ملكتها الشابة التي كانت ولادتها في قلعة حلب.

توقفت العربة امام كبار المستقبلين المحيطين بحاشية الملك مع رنين أجراس الخيل النحاسية. لملمت ضيفة وشاحها ورفعت قليلا ثوبها الفضفاض لتحرّر رجلها وتنزل درجتي العربة على صوت الأبواق. وبمساعدة وصيفاتها تقدّمت إلى مدخل القلعة للقاء الملك. كان واقفا عند البوابة الكبيرة الفخمة ماداً ذراعيه لاستقبالها مع ابتسامة رضى على شاربيه السوداوين. إنه رجل يعرف كيف يرضي.. والى يساره كان اثنان من أخوته مع عائلتيهما والى يمينه كان القاضي بهاء الدين بن شدّاد مع أولاده. وتلألأت قاعة العرش بنور ألف مصباح. لقد نجح الملك الظاهر بتقديم انطباع الأبهة والعظمة والكرم لزوجته الجديدة. وفي ركن صغير كانت فرقة موسيقية تعزف لحنا تعرفه مع لازمة ملآى بالفرح تستعاد باستمرار. جلست ضيفة قرب الملك تشارك عرشا تغطيه سجادة ثمينة. وكانت هناك نساء

تتهامسن، فخمّنت ضيفة أنهن يتحدثن عن عقد زواجها الذي كان بين شروطه بالإضافة إلى البدائع والتحف دفع خمسين ألف دينار. وكان في ودّها أن تهمس أنها جلبت معها خمسين بغلاً محملة بالثياب الثمينة وأشياء أخرى كثيرة مما يمكن أن يحمله ثلاثمائة جمل ومائة حصان. كما أرسل معها والدها الملك العادل مائة امرأة بين وصيفات وإماء ومائة إمرأة أخرى تهتم بالأشغال والتطريز.

كانت تنظر إلى ما حولها دون أن ترى شيئاً، عندما أوقف الملك الظاهر بإيماءة منه عزف الموسيقيين. وجاء عبدان يحملان صندوقاً خشبياً مطعّماً الصدف، تقدّما ووضعاه أمام قدمي الملكة. ورفعت وصيفتها وشاحها وهمست بأذنها: يقدّم لك الملك كذلك عشرة خدم وعشرين عبداً العديد منهم موسيقيون.

ابتسمت الملكة ضيفة، كانت تحب الموسيقى منذ صباها. وكانت تتسلّل إلى مخادع حريم والدها من أجل سماع صوت جميل. رفعت الطاولة وبدأ المدعوون يغادرون المكان.

وقادها الملك بهدوء نحو غرفتها، يتقدّمه خدم يحملون شمعدانات كبيرة. وفتح باباً ثقيلاً من الخشب المبطّن بقماش مذهّب من الداخل ومغطّى من الخارج بمسامير نحاسية على شكل رسوم جميلة. كانت الغرفة مضاءة بالكامل بشمعدانات كبيرة وصغيرة مما ذكّرها بطفولتها عندما كانت تخترع حكايات قبل النوم وتكلّم نفسها مع الظلال المتراقصة على جدران القلعة.

ومع اليوم التالي عادت الحياة إلى مسيرتها الطبيعية. لقد كان الملك الظاهر مثل أبيه رجلاً يتدفق حيوية.

كانت ضيفة سيدة طيبة القلب وقوية في الوقت نفسه.. عندما كان الملك يأتي إلى غرفتها مساء كانت تحاول محادثته وبصوت منخفض حول كل ما له علاقة بالقلعة.. ورسائل والدها وآراء الأمراء.. وتُبدي له أنها تأخذ ذلك على سبيل الدردشة النسائية. وكان الظاهر يبتسم؛ كان يعرف أنها تلاحظ كل شيء وتحاول مساندته ودعمه، لكنه، كشرقي طيّب له إباؤه، لم يكن يصرّح بمعرفته بذلك.

كانت ضيفة تراقب كلّ ما يدور حولها وكانت تشعر بخمول ولا مبالاة، لكن ابتسامتها لم تكن تفارق شفتيها. وبالإصغاء إلى وصيفاتها فقد كانت ملكة سعيدة مغمورة بالنعم تنتظر مولوداً. لكن الملك الظاهر كان لديه ولده البكر واسمه الصالح وولد آخر من سواها. ولكي تقنع نفسها كانت تقول ان كل شيء سيمرّ على خير، لكنها حرارة الحب...إنّ روحها لم تقنع قلبها، هذا القلب الذي خُلق ليحبّ بقوّة.

وبعد سنة من زواجها، أي في عام ٦١٠ هـ/١٢١٣ م، ولد العزيز محمد ابن السلطان الظاهر من ابنة عمه ضيفة ابنة الملك العادل. وأطلقت الأبواق وعمّ الفرح أنحاء المدينة التي لبست أجمل حلتها مع

رفع أعلام السلطنة في كل مكان. لقد أحبت مدينة حلب ملكها وقامت تشاركه أفراحه. وتتابعت أيام الأعياد، وقام الملك بهذه المناسبة السعيدة بختان ولده البكر الملك الصالح وعمره ٩ سنوات مع أولاد كبار الأمراء مقدّما لهم الهدايا.

كان الظاهر غازي (ولد في القاهرة عام ٥٦٨ هـ/١١٧٣ م) سياسياً يجيد التصرّف في المواقف الحرجة وبخاصة مع عمه الملك العادل. أجرى تحالفاً مع السلاجقة الروم (كيقباذ) خوفاً من قوة عمه الملك العادل، ورافق والده صلاح الدين في معظم المعارك. وعندما توفي صلاح الدين وزّع كل ما يملك على أولاده وإخوته وأولادهم. وعمل كل حاكم بعد وفاته على توسيع أملاكه فدبّ الخلاف والصراع ولم تمضِ سنة على وفاته؛ حاصر العزيز أخاه الأفضل بدمشق، وتدخّل العادل والظاهر لحل النزاع. وانتزع العادل دمشق من يد الملك الأفضل ووطّد حكمه في الجزيرة وجمع بذلك شمل دولة صلاح الدين الفتيّة عام ٥٨٨ هـ/١١٩٨ م بعد أن مدّ سلطانه على الكثير من شبه الجزيرة العربية وجنوبي سورية والقدس وشرق الأردن وكان سلطان مصر في الوقت نفسه.

أقنعت ضيفة خاتون زوجها بحكمتها بإمكانية حلّ الأمور والخلافات بين افراد الأسرة الواحدة. وقد أرسل الظاهر غازي بهاء الدين بن شدّاد مبعوثا إلى عمه الملك العادل في مصر ليبارك تسمية العزيز محمد وليا للعهد من بعده وهو ابن ابنته ضيفة خاتون، لكنه لم يقطع علاقته مع كيقباذ السلجوقي جاره في الشمال. لقد اهتم الظاهر بأمرين احتار بينهما وهما تأمين مستقبل ولده من جهة والخوف من فقدان ثقة عمه الملك العادل من جهة أخرى. وكان ينهض ليلا وقد جفاه النوم وعيناه شاردتان والصداع يملأ رأسه يجرجر قدميه في ممرّات القصر والقلعة المظلمة إلاّ من مشاعل بالكاد تنيرها..ويتوقف أحيانا في أحد الأبراج يحدق بعينيه في المدينة التي طالما أحبها مثل والده صلاح الدين من قبله. هذه المدينة التي أرادها محصّنة امام غزاتها، قوية وخالدة خلود قلعتها. كما أرادها مزدهرة ومتألقة وقد خطّط من أجل ذلك.

لقد كان معماراً ممتازاً قام بتحصين مدينة حلب وترميم أسوارها وتوسيعها بتعميق خندق الروم وجعله السور الشرقي للمدينة. كما قوّى أبراج القلعة وبنى قصراً عظيما في القلعة أسماه "قصر العزّ"عام ٥٨٣ هـ/١١٩٣ م وبنى مسجد إبراهيم الأعلى في شمال القلعة وجدّد القصر الأيوبي بعد حريقه عام ٦٠٩ هـ/١٢١٢م وسمّاه "دار الشموس"، وجدّد باب النصر(كان اسمه باب اليهود) ورمّم قناة الماء التي تشرب منها حلب وذلك خلال سنوات ٦٠٥ - ٦١٠ هـ/١٢٠٨ - ١٢١٣م، كما رمّم وأضاف في بناء مشهد الحسين غربي القويق عام ٥٨٥ هـ/١١٨٩ م، وبدأ ببناء المدرسة السلطانية خارج الأسوار (تم بناؤها بعد وفاته في عام ٦١٦ هـ/١٢١٩ م)...وأقام

علاقات تجارية مع دولة البندقية وسواها منذ عام ٦٠٦ هـ/١٢٠٧ م.

كانت ضيفة قلقة على زوجها وقد عرفت طبعه لذلك لم تكن تنبث ببنت شفة. وفي فجر أحد الأيام الأكثر رطوبة من سواها أصيب السلطان الغارق بتأمله الحزين ببرد.. ودخل القصر وطلب إشعال النار، وتمدّد بهدوء على وساداته وقد أصيب بالحمّى. وازدادت الحمى وأحس بالألم في كل أجزاء جسمه.. كانت عيناه تتابعان بصمت حركات الملكة ووصيفاتها. وفرك يديه بقوة وطلب حضور الأمراء وكبار المملكة. وعندما تحلّقوا حوله حلّفهم بالوفاء لابنه الملك العزيز محمد ومن بعده لابنه الملك الصالح ومن بعدهما لابن أخيه وابن عمهما الملك المنصور محمد بن الملك العزيز عثمان. وسلّم مسؤولية الجيش للأمير سيف الدين بن علم الدين وعهد بالمال والقلعة وتربية الأولاد لشهاب الدين طغريل، ورجاه أن لا ينسى كل ما يتعلق بالدار والعائلة. وسرّح حاكم قلعة حلب وأعطاه بدلا عنها قلعة نجم وما فيها من سلاح ورجال مع بلدة زردنا القريبة من حلب وتسع من أجمل القرى. كما حلّف الظاهر إخوته لاحترام وصيته، وأمضى أيامه الأخيرة ضعيفا وعيناه شاردتان..

ومات الظاهر غازي عام ٦١٣ هـ/١٢١٦ م مخلّفا ضيفة خاتون في حزن شديد. ودفن في القلعة، وينقل بهاء الدين رفاته إلى المدرسة السلطانية مقابل مدخل القلعة بحضور ولديه العزيز والصالح وكبار المملكة. عمّ الحزن في قلوب الحلبيين إثر موت الظاهر الذي لم يكن ملكهم فقط بل كان محبوبا للغاية. قام الملك السلجوقي كيكاوس بارسال مبعوث يقدّم تعازيه بموت صديقه الملك الظاهر. ويبارك الملك العادل تولي ابن ابنته العزيز محمد. واجتمع الأمراء بحلب واتفقوا على ان يكون شهاب الدين طغريل وصيا على الملك العزيز محمد، وعمره ثلاث سنوات، يساعده الملك الصالح أخو الملك العزيز في إدارة المملكة إلى أن يتمكن من الحكم بنفسه. لكن أمراء المدن والحصون المجاورة والتابعة لمملكة حلب لم يعجبهم ذلك.

ويوزّع الملك العادل البلاد بين أولاده. كان يصيّف في الشام ويشتّي بمصر، وعاش أرغد عيش. وعندما توفي في إحدى قرى دمشق عام ٦١٥ هـ/ ١٢١٨ م كُتم أمر وفاته، وقام ولده الملك المعظّم بتنظيم الأمور، ثمّ نعاه ودُفن بالمدرسة العادلية بدمشق. وكان ملكاً عظيماً حنّكته التجارب حازما وداهية حسن السيرة ومحبّا للعلماء.

وتحزن ضيفة خاتون على والدها، وتتذكر زواجها السياسي وأخذها مكان أختها غازية وكان زوجها الظاهر غازي فخورا بها. عرفت انه يمكنها الإعتماد على عتيق زوجها ومربّيه شهاب الدين طغريل الطيّب والقوي والذي يضحّي بنفسه من أجلها ومن أجل عائلتها.

## ضيفة خاتون والعزيز محمد وشهاب الدين طغريل

استلم الملك العزيز محمد حكم حلب عام ٦٢٩ هـ/١٢٣٢ م ونزل إلى قصر العدل حيث كان والده الظاهر يحكم من قبله ويجيب على تساؤلات الشعب مباشرة. كان يجمع من حوله العلماء ويناقش معهم الأمور الدينية في ليالي أيام الجمعة. بينما تستمع اليهم والدته ضيفة من وراء ستارة. وفي رمضان كانت توزع الهدايا الفاخرة على أمراء وكبار المملكة من مدنيين وعسكريين. وجاءته هدايا ابن عمه الملك الكامل من مصر.

ويتزوج العزيز محمد من فاطمة خاتون ابنة الكامل شريطة أن يتخلى الكامل عن دمشق ويأخذ حوران والرها والرقة وبالقوة بعلبك. وتلد أمة للملك العزيز ولدا يسميه "الظاهر" على إسم أبيه، وفي السنة نفسها ولد آخر سماه "العادل" وولد ثالث سماه "الناصر"، وأوصى بولاية العهد للناصر لأن الولدين الآخرين توفيا.

ويظهر ولاء ووفاء شهاب الدين طغريل لملكه الظاهر غازي وعائلته جليا بعد وفاته. عندما قامت فرقتان من فرسان المعبد والمستشفى (الداوية والإسبتارية) بغارة على جبلة عام ٦٢٨ هـ/١٢٣١ م، وهي مع اللاذقية من أعمال حلب وتؤلف جيبا فاصلا بين إمارتي انطاكية وطرابلس، وسيطرت الفرقتان عليها عدة أسابيع. قام شهاب الدين بارسال جيش بقيادة أحد أمرائه الموثوقين واسترد الأسرى واستعاد السيطرة على المدينة. وقام شهاب الدين طغريل بالوصاية على الملك العزيز محمد على خير وجه إلى أن تسلم جميع صلاحياته في الحكم عام ٦٢٩ هـ/١٢٣٢ م. عندها انسحب شهاب الدين إلى داره. ونتيجة لهو ومرح العزيز محمد مع مجموعة من الشباب المغامرين، وبناء على نصيحتهم طلب تل باشر من صاحبها شهاب الدين طغريل فأعطاه إياها.. مات شهاب الدين طغريل عام ٦٣١ هـ/١٢٣٤ م وأوصي شفهيا بإعطاء ما يملك إلى ضيفة خاتون والعزيز محمد. ويبكي الملك العزيز محمد وهو يشيع جنازة شهاب الدين طغريل. ويذكر انه لم يكن هناك من يفوق شهاب الدين في تقواه سوى الخليفة العباسي في بغداد. ولا يدفن شهاب الدين في المدرسة الأتابكية التي بناها له ولده عام ٦٢٠ هـ/١٢٢٣ م داخل الأسوار قرب باب النصر بل يدفن في مدرسة الحنفية خارج باب الأربعين وقد ألحق بها رباط أو خانكاه.

يعود العزيز محمد من حارم إثر رحلة صيد مريضا بالحمى، وبعد أن يأخذ البيعة لولده صلاح الدين يموت عام ٦٣٤ هـ/١٢٣٧ م. ويخلفه ولده الناصر صلاح الدين يوسف وعمره سبع سنوات، فيسير الأمور بحلب شمس الدين لؤلؤ وعز الدين بن محلة والوزير جمال الدين الأكرم، وذلك بالرجوع دوما للأم الوصية ضيفة خاتون صاحبة الكلمة الأخيرة. ويوافق الكامل في مصر على البيعة

للناصر يوسف شريطة أن يقوم الملك الصالح على تثقيفه وتربيته، ولم تكن تلك رغبة أمراء حلب والحاشية. ويرسل الملك الكامل خلعة هدية للملك الناصر وخلعاً أخرى للأمراء وخلعة خاصة للملك الصالح ويرجوه الإنضمام اليه في عينتاب. ولم يعجب ذلك الوصيّة ضيفة خاتون والأمراء لأن الخلعة يجب أن تقدّم للملك وليس لحاشيته، وأن ترسل مع المبعوث نفسه خلعة الملك الصالح وليس بشكل منفرد وخاص.

ولا يبقى للملك الأشرف سوى دمشق فقط بعد ما أخذ الملك الكامل منه معظم الحصون والقرى المجاورة. كما يستولي كيقباذ على خلاط التي لا يزورها الملك الأشرف سوى مرة واحدة وهو في طريقه إلى دمشق. وهكذا يجتمع الأشرف والملكة ضيفة والأمراء الآخرون ضد الملك الكامل وبدون حضور ملك حماه.

ويدخل الملك الناصر حلب ويحضر أهل السلطان والملك المعظّم ليقسموا ولاء الطاعة للناصر يوسف. ويضيف الحلبيون الخوارزمية والجنود التركمان إلى جنودهم.

## الخوارزمية والمغول والفرنجة والخلاف في البيت الأيوبي

تنسب جيوش الخوارزمية إلى السلطان جلال الدين بن خوارزم الذي استنجد به الملك المعظّم عيسى عندما دبّ الخلاف بينه وبين الملك الكامل والملك الأشرف موسى ابناء الملك العادل بعد وفاته وأطمعه في البلاد. ويراسل الملك الكامل الامبراطور فريدريك الثاني في صقلّية يستحثّه القدوم إلى عكا واعداً بإعطائه بعض ما بيد المسلمين من مدن الساحل. وتوفي الملك المعظّم في دمشق عام ٦٢٤ هـ/١٢٢٧ م وخلفه ابنه الملك الناصر داؤود، ولم تصلح الأحوال بينه وبين عمه الكامل الذي قرّر إعادة توحيد البلاد تحت سلطانه. وقدم فريدريك إلى عكا وعقدت هدنة وصلح مع الملك الكامل سلّم بموجبها بيت المقدس للفرنجة. وكانت مدّة الهدنة عشرة سنوات وخمسة أشهر وأربعين يوماً اعتباراً من ١٨ ربيع الأول٦٢٦هـ/١٨ شباط ١٢٢٩ م. وشغل أولاد الملك العادل بالمنازعات فيما بينهم مدة عشرة أعوام.

تحرّك جنكيز خان عام ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠ م قاصدا بخارى انتقاما من خوارزم شاه.

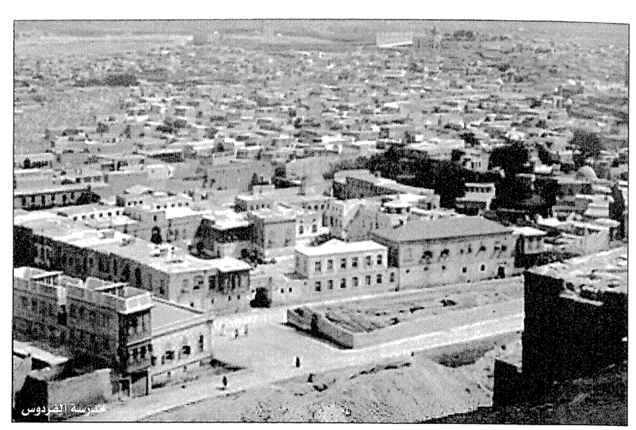
وبعد مقتل خوارزم شاه على يد التتار انساح عساكره الخوارزمية المرتزقة يبيعون خدماتهم لمن يرغب من الأمراء والملوك، واستمالهم الملك الصالح نجم الدين أيوب في حصن كيفا وبمعرفة والده الملك الكامل. وقصد بهم دمشق بعد وفاة والده عام ٦٣٥ هـ/١٢٣٨ م. وقامت في مصر حرب أهلية بين الملك الصالح أيوب الإبن الأكبر وأخيه العادل الثاني الذي تسلطن بمصر. وفي دمشق

تمكّن الملك الصالح من طرد الملك الجواد ابن أخي الكامل، وقصد مصر ليستخلصها من أخيه الملك العادل. عندها تزعّم عمه الصالح اسماعيل إنقلاباً في دمشق وسيطر عليها فلجأ الصالح أيوب إلى الملك الناصر داؤود صاحب الكرك الذي سجنه أول الأمر ثم انحاز اليه وأمدّه بالعسكر لمهاجمة مصر. ونجحت مؤامرة دبّرها وزراء الملك العادل في مصر لإقصائه عن الحكم لسوء سلوكه (تعلّقه بعبد أسود كان له)، وقرّر المتآمرون دعوة الصالح أيوب لتولّي الحكم في مصر. وتلا ذلك نزاع مدّة عشرة سنوات بين الصالح أيوب في مصر والصالح اسماعيل في دمشق مزّق الدولة الأيوبية، وقد زاد الطين بلّة انتشار الخوارزمية في بلاد الشام يعيثون تخريبا وهدما دون رادع، ويقدّمون خدماتهم كمرتزقة. وحاول طوران شاه بن الملك الصالح المحافظة على أملاك والده في الجزيرة رغم استيلاء السلاجقة الروم على عدد منها، بينما قام الناصر يوسف بالدفاع عن حلب ضد الغزاة من الشمال، وحافظ أميرا حمص وحماة على ما لديهما من عبث الخوارزمية.

وتطبيقاً لمبدأ المصاهرة التقليدي، يأتي مبعوث من غياث الدين كيخسرو السلجوقي عام ٦٣٥ هـ/١٢٣٨ م إلى ضيفة خاتون طالباً يد غازية خاتون إبنة العزيز محمد أخت السلطان الناصر يوسف لسلطانه غياث الدين، كما يتزوج الملك الناصر يوسف أخت غياث الدين كيخسرو. وتفرح حلب والملك الناصر بذلك الزواج الذي كان سيئاً بالنسبة للملك الصالح الذي احتلّ كيخسرو أراضيه بسبب هربه من مواجهة الخوارزميّة. وتعمّ الخلافات بين أولاد العم ويطلبون من عمتهم ضيفة خاتون مساندتهم.

### بناء مدرسة الفردوس

وصل الملك "الحافظ" (نور الدين أرسلان شاه) أخو ضيفة خاتون إلى حلب، وقدّمت له أخته داراً أسفل القلعة معروفة باسم دار صاحب عينتاب، وقد عاش مشلولا في آخر سني حياته، وعندما توفي في اعزاز عام ٦٣٩هـ/١٢٤١ م نقل إلى حلب ليدفن في "مدرسة الفردوس" التي بنتها ضيفة خاتون عام ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥ م. خارج أسوار المدينة مدرسة ومدفناً ورباطاً. كانت آية في الإبداع من حيث كتل الفراغ والبناء وتيجان أعمدتها الرقيقة بأوراقها النباتية الناعمة وبمحرابها الملوّن الجميل والفريد. كان فيها ذلك الإيوان الخارجي وغرف الإقامة إلى كل من طرفيه يمتدّ أمامه منظر جميل وممتع لحديقة غناء فيها أحواض الماء تطلّ عن بعد على قلعة حلب الشامخة.. كأنّ مكان إقامة الجدة ضيفة يشبه الفردوس أو الجنّة بالكتابات الصوفية الجميلة على جدران الباحة الداخلية وفوق جدار المدخل الشرقي، والتي تعد المؤمنين بدخول الجنّة حيث يخدمون بصفائح من ذهب. وتذكر الكتابات الشعرية التي تصف نشاطات


مدرسة الفردوس

الصوفية المجتمعين في المدرسة العارفين أن مكافأتهم في الختام هي رؤية وجه الله الخالق وسماع صوته والشرب من كأسه.. أي انهم من خلال الرياضات والتأملات الروحية يصبحون في حالة تستأهل الوجود الإلهي أو الفردوس على الأرض، أي صورة الفردوس الأرضي. لذلك كانت كلمة الفردوس في التسمية مقصودة ولم تأتِ اعتباطاً.

ويؤكد ذلك ما كتب على الجدران الداخلية للإيوان والباحة: "لله درّ أقوام إذا جنّ عليهم الليل سمعت لهم أنين الخائف وإذا أصبحوا رأيت عليهم تغيّر ألوان.

**إذا ما الليل أقبل كابدوه**

**ويسفر عنهم وهم ركوع**

**أطار الشوق نومهمو فقاموا**

**وأهل الأرض في الدنيا خشوع**

أجسادهم تصبر على التعبّد وأقدامهم ليلها مقيمة على التهجّد لا يرد لهم صوت ولا دعاء، تراهم في ليلهم سجّدا ركعا قد ناداهم المنادي وأطربهم الشادي.

**يا رجال الليل جدّوا**

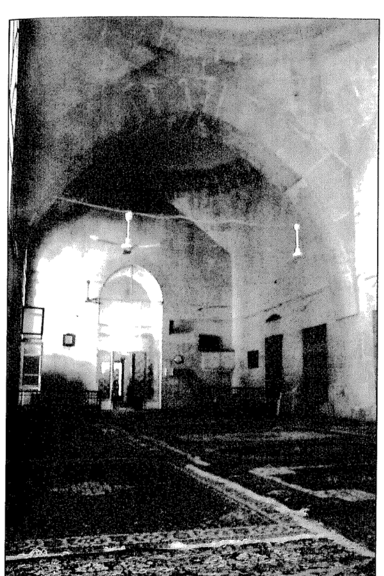
**ربّ صوت لا يردّ**

**ما يقوم الليل إلاّ**

**من له حزمٌ وجدّ**

كما كتب على جانب المدخل الغربي الذي يعلوه مقرنصات بديعة: "باسم الله يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم وأزواجكم تحزنون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب فيها ما تشتهيه الأنفس

وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون. هذا ما أمر بإنشائه الشرف الرفيع الجناب المنيع الملكة الرحيمة عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر أيوب تغمّدهم الله برحمته وذلك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المؤيّد المظفّر المنصور صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمّد ابن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب ناصر أمير المؤمنين عزّ نصره بتولّي العبد الفقير عبد المحسن العزيزي الناصري رحمه الله في سنة ٦٣٣ هـ(١٢٣٥ م)".



## مسحة الحزن والإيمان

وبدت ضيفة خاتون حزينة جداً وهي تستمع إلى المتاعب التي تحملتها جيوش حلب بطغيان أخبار الخوارزمية بقيادة الملك جواد بن منصور والصالح بن الملك المجاهد وعلي بن هديسة واحتلالهم البلاد والعيث فيها فساداً ودماراً..، والخلافات المستشرية بين إخوتها وأبناء عمومتها في البيت الأيوبي.. وأطلقت سراح نسائها بسبب ألم في أحشائها أخذ يزداد.. لم ترد أن ترى علامات الشفقة تظهر في وجه وصيفاتها.

لقد حافظت على ضبط أعصابها طيلة أيام حياتها. لقد عرفت أن زواجها كان لأسباب سياسية وقبلته دون معارضة والدها. أخذت مكان وزوج أختها غازية التي لم تكن سعيدة، وقد اهتمت بتنشئة ولدها وأبناء زوجها الآخرين وقبلت أمهاتهم دون اعتراض. وفي وحدتها الروحية القاتلة كانت بقعة الضوء الوحيدة تتمثل بوجود شهاب الدين طغريل وتعلقه وارتباطه الوثيق بزوجها ومن بعده نحوها ونحو أولاده. لكنه مات بدوره ووجدت نفسها في وحدة موحشة.

نظرت من النافذة إلى هذه المدينة التي طالما أحبّتها والتي نامت مع مغيب الشمس. هذه المدينة التي ولدت فيها، عندما كان والدها يستقبل في احدى الأمسيات ضيفاً، فأسماها "ضيفة". وأمضت فيها طفولتها عندما كانت تحبو، وتتذكر كل زاوية من زوايا قلعتها. وتدربت على السير بين ممراتها السرية؛ كان والدها يؤنبها على ذلك بشدّة. وتركت حلب وقلعتها الجميلة لتذهب مع والدها إلى مصر. وتمر السنين والأيام وتعود اليها بحلّة العرس والثياب المزركشة باللآلىء والذهب؛ عروسة لابن عمها الظاهر.

أمام القلعة، وهي تضع قدمها على الأرض والجنود تحيّيها، أحسّت ان القلعة، هذا الصرح الرائع، قد ابتسم لها في ضوء القمر، لكن شرفاتها المنيرة مثل أذرع طويلة أمسكت بها سجينة.

لقد كانت سجينة بملء رغبتها بمفهوم الواجب الذي أدخله في خلدها والدها. إنها ملكة ساعدت زوجها دون أن يعمل حساب أن يكون محبوبا من الشعب. وقد هدّأت مرّات عديدة من حدة غضبه خوف أن تتركه يتصرّف تحت سيطرة الغضب.. كما ساعدت ولدها العزيز محمد خفية لأنه كان له طبع الملوك، وطالما ساعدته باختياراته وتوجيهاته من وراء الستائر المخملية.

آه ولدها... وسالت الدموع بهدوء من عيني ضيفة الجميلتين على الوجنتين بدون حساب.. ولدها أيضا مات كأبيه في عزّ شبابه وحيويته، وهو يعهد اليها بولده بنظرة واحدة، وقد فهمت ذلك. وخلال السنوات الست التي مضت، أبعدت بوصايتها الرصينة الأعداء عن هذا الطفل. كانت تعرف أبناء صلاح الدين وعملت كل جهدها كي تعدّ لحفيدها مستقبلا آمنا وأكيداً. حتى انها زوّجته إبنة خسرو وزوّجت أخته لإبن السلطان نفسه كي يتم التحالف بينهم، لأنها أحسّت بداخلها أن التحالف لن يكون لمدة طويلة.

وثبّتت ضيفة نظرتها في البعيد... ما كانت حلب سوى تتابع نقاط مضيئة.. لقد طلبت النور.. جلست أمام القرآن الكريم ذي الجلدة الخضراء المذهّبة وبدأت بقراءة سوره البيّنات.

## (النهاية)

**تتمة: وفاة ضيفة ونهاية الدولة الأيوبية:**

يعلمنا ابن العديم وفاة الملكة ضيفة خاتون بسبب قرحة في مراقّ بطنها ازداد ورمها وحدث لها حمّى بسببها إلى ان توفيت إلى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة الحادية عشرة من جمادى الأولى من سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢ م ودفنت بالقلعة مقابل ولدها العزيز رحمه الله. وكان مولدها بقلعة حلب حين كانت بولاية أبيها الملك العادل في سنة ٥٨١ أو ٥٨٢ هـ/١١٨٥ م. وكان لديه ضيف، فلما ولدت أسماها "ضيفة". وهكذا كانت ضيفة خاتون ترنو بحنان، من المدرسة التي أسمتها خصيصا "الفردوس" مكان تجمّع المتصوفة والنسّاك، إلى القلعة السامقة مسقط رأسها، وحيث كان لها رأي مسموع في إدارة دفّة الحكم أيام حكم

زوجها وولدها وحفيدها.

لم يهنأ الناصر يوسف بالحكم بعد وفاة جدّته عام ٦٤٠ هـ/١٢٤٢ م حيث يستولي المماليك عام ١٢٥٠ على الحكم بمصر(توفي الملك الصالح قبل أن يرى انتصار جيشه على الفرنجة في دمياط بفضل تصميم وشجاعة زوجته شجر الدرّ التي أخفت نبأ وفاته، واستدعت ابنه طوران شاه من حصن كيفا (شمال الجزيرة من بلاد الشام) لتولي السلطة وقيادة البلاد. ورغم انتصار طوران شاه في المنصورة ودمياط بفضل مماليكه لم يحفظ صنيع زوجة أبيه وأساء معاملتهم تمهيداً للتخلّص منهم فتآمروا عليه وقتلوه. وهكذا انقرضت الدولة الأيوبية في مصر عام ١٢٥٠ م بعد أن حكمت ٨١ عاماً.

ويرسل منكوخان ملك التتار أخاه هولاكو للإستيلاء على بلاد الرافدين ويصل ديار بكر وميافارقين بغاراته عام ٦٥٠ هـ/١٢٥٢ م. يقضي هولاكو على الخلافة العباسية بتدميره بغداد عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م وحلب ودمشق عام ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م، ويأخذ الناصر يوسف وأخاه الظاهر غازي معه رهينة إلى عاصمته تبريز. وعندما يندحر جيشه بقيادة آقبغا أمام المماليك بقيادة قطز وبيبرس في عين جالوت في فلسطين يقوم هولاكو بقتل الناصر يوسف وأخيه عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م. وبذلك تنتهي حياة آخر ملوك الأيوبيين.

إذا اعتبرنا أن حكم السلالة الأيوبية في حلب وما حولها امتدّ منذ عام ٥٧٩ هـ/١١٨٣ م وحتى سقوطها على يد هولاكو عام ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م. أي مدّة سبعة وسبعين عاما، فإنّ ضيفة خاتون إبنة الملك (العادل) وزوجة الملك (الظاهر غازي) وأم الملك (العزيز محمد) وجدّة الملك (صلاح الدين يوسف) كانت منارة متألقة في تاريخ حلب طيلة ثلاثين عاما، منذ زواجها من ابن عمها الظاهر غازي عام ١٢١٢م وحتى وفاتها عام ١٢٤٢م.

ويحق لحلب المحروسة في احتفالية اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية عام ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ أن تباهي بملكتها ضيفة خاتون الحكيمة.

**ترجم النص عن الفرنسية: م. عبد الله حجار**

## المراجع:


١- موسوعة خير الدين الزركلي

٢- الكامل في التاريخ ابن الأثير

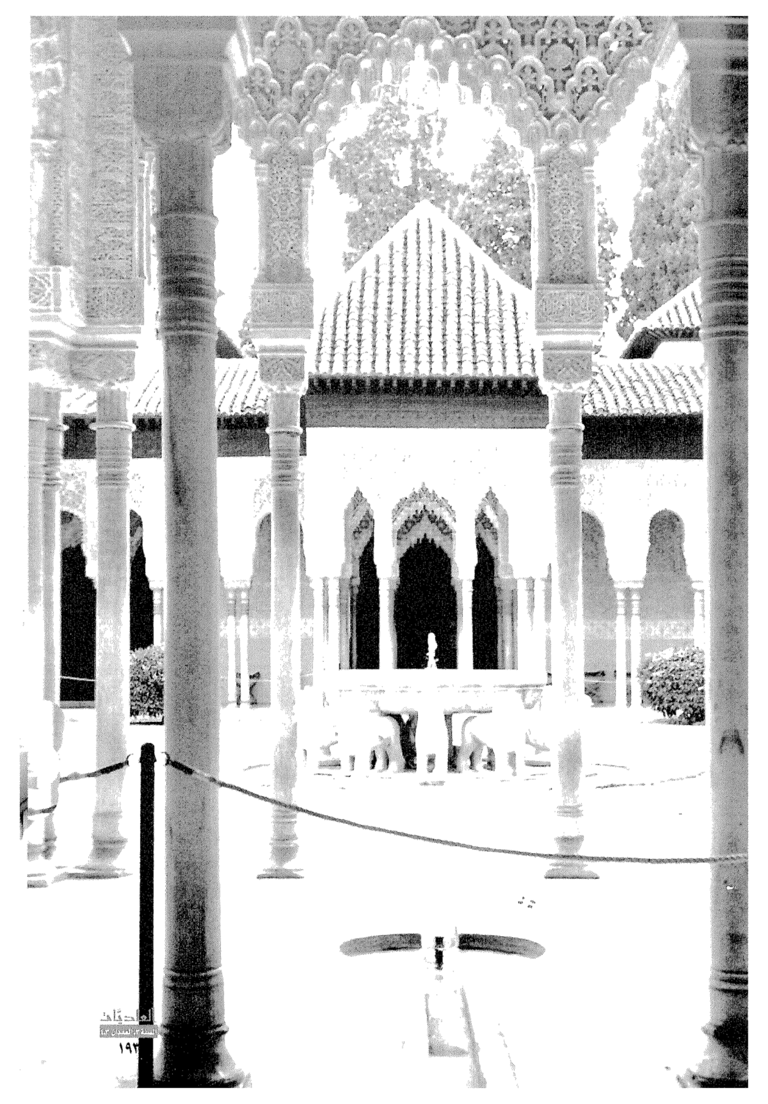
٣- سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة (٥٧٠-٥٨١ هـ/١١٧٤-١١٩٣ م) رسالة ماجستير تأليف دريد عبد القادر نوري، مطبعة الإرشاد- بغداد ١٩٧٦

٤- زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم، تحقيق سامي الدهان الجزء ٣ دمشق ١٩٦٨

٥- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب تأليف أحمد بن ابراهيم الحنبلي، تحقيق ناظم رشيد العراق ١٩٧٨

٦- الدول الإسلامية تأليف ستانلي لين بول (جزءان) نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي فرزات وعلّق عليه محمد أحمد دهمان دمشق ١٩٧٣

٧- معالم حلب الأثرية عبد الله حجار حلب ١٩٩٨.



# رثاء الأندلس

## أبو البقاء الرندي*

## ٦٠١ - ٦٨٤ هـ / ١٢٠٤ - ١٢٨٥ م

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان
أين الملوك ذوي التيجان من يمن ... وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ماشاده شداد في إرم ... وأين ماساسه في الفرس ساسان
وأين ماحازه قارون من ذهب ... وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له ... حتى قضوا فكان القوم ماكانوا
وصار الأمر من مَلكٍ ومن مُلك ... كما حكى عن خيال الطيف وسنان
كأنما الصعب لم يسهل له ... سبب يوماً ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدنيا أنواع منوعة ... وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها ... ولما حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له ... هوى له أحد وأنهد ثهلان

---

* صالح بن يزيد بن صالح بن شريف الرندي، أبو البقاء.
وتختلف كنيته بين أبي البقاء وأبي الطيب وهو مشهور في المشرق بأبي البقاء.
وهو أديب شاعر ناقد قضى معظم أيامه في مدينة رندة واتصل ببلاط بني نصر (ابن الأحمر) في غرناطة.
وكان يفد عليهم ويمدحهم وينال جوائزهم وكان يفيد من مجالس علمائها ومن الاختلاط بأدبائها كما كان ينشدهم من شعره أيضاً.
وقال عنه عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة كان خاتمة الأدباء في الأندلس بارع التصرف في منظوم الكلام ونثره فقيهاً حافظاً فرضياً له مقامات بديعة في أغراض شتى وكلامه نظماً ونثراً مدون.

في العين في الإسلام فارتزأت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان
فأسأل بلنسية ماشان مرسية ... وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما ... عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ... ما فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر تبكي وهي عيدان
ياغافلاً وله في الدهر موعظة ... إن كنت في سنةٍ فالدهر يقظان
وماشياً مرحاً يلهيه موطنه ... أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... ومالها من طوال الدهر نسيان
ياراكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
لماذا التقاطع في الإسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله أخوان
يامن لذلة قوم بعد عزتهم ... أحال حالهم جور وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم ... واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم ... عليهم في ثياب الذل ألوان
يارب أم وطفل حيل بينهما ... كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت ... كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مُكرهة ... والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يبكي القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

# تداعيات غرناطية..

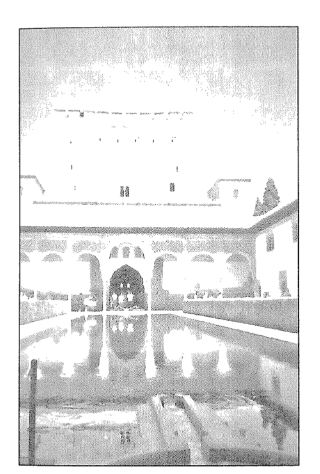
محمد جمال طحّان *

اكتظ الصالون الأدبي بالحاضرين، اتّخذ كل منهم مكانه المعتاد، المدخنون في آخر صف، قرب الباب، والذين يرغبون بالظهور أمام الكاميرا سارعوا لاحتلال الصفوف الأمامية مخلّفين بعض الأمكنة لصاحب الصالون وبعض الشخصيات الثقافية. أما أصحاب المناصب الرفيعة فقد اتخذوا مواقعهم في وسط الصف الأول الذي يبقى محجوزاً سواء حضروا أم لم يحضروا.

على غير العادة، وربما بسبب امتلاء القاعة بدأت الأمسية في موعدها المحدد.

حين رحب المحاضر بالحاضرين، انسحب اثنان منهم على الفور احتجاجاً على محاضرة مبتورة لم تبدأ بالبسملة، التفت صاحب الصالة وبدت على ملامحه نظرة احتجاج على قرقعة الكراسي في الصفوف الخلفية.

لم يكترث المحاضر بما حدث بل



ازداد ثقة بنفسه وهو يرى هذا الجمهور الغفير الذي بدأت أساريره تنفرج حين بدأ أحمد بالكلام.

* عضو اتحاد الكتّاب العرب.

يتحسس شعار النقابة المثبّت على ياقة معطفه وهو يلقي مقدمته المكتوبة... لم ينتبه أحد إلى أي كلمة مما قال، غير أن القاعة استعادت عافيتها في إصغاء الحاضرين عندما صمت المحاضر برهة ثم تابع الحديث بقوله: وكان آخر ملوك غرناطة، أبو عبد الله محمد، الملقب بالصغير. هو الذي سلّم مفاتيح غرناطة. الصغير هذا ثار على أبيه الحسن وقاتل عمّه الزَغل بعد أن اتحد مع الملكين الإسبانيين لقاء وعدٍ بأن يملّكانه غرناطة. وبعد أن انتصر علي عمه قلبا له ظهر المجنّ وأجبراه على تسليم المدينة.

صمت المحاضر برهة ثم قال:الآن نعرض عليكم شريطاً مصوّراً يجسّد الواقعة يبدو أبو عبد الله الصغير وهو ينتحب على إضاعة مُلكه، تقترب منه أمه مؤنّبة: ابكِ مثلَ النساء مُلكاً مضاعاً، لم تحافظ عليه مثلَ الرجال.

ثم يظهر الملكان فرديناند وإيزابيلا وقد أطلقا الجند لتمزيق أهل غرناطة.

يعرض الشريط محاكم التفتيش، وصوراً من ألوان التعذيب التي لحقت بأحفاد موسى بن نصير وصقر قريش.

الشريط يدور، والمحاضر يتفرّس في وجوه الحاضرين:

سراب بين الحاضرين؟.. غريب.. هل تخلّى عن اعتباري منافساً له، أم أنه جاء ليتصيد العثرات ويحصد موضوعاً لشائعاته خلال الشهرين القادمين؟..

سلمى؟مسكينة، ما تزال تحضر الأمسيات بحثاً عن عريس.

-آه... هذا أيضاً بين الحضور... سأقطع يدي من جذورها إذا كان يفهم شيئاً مما يقال.

ينقل المحاضر نظره بين الحاضرين.. أستاذي الجليل... هاهو بين الحاضرين وتبدو على ملامحه علائم التأثر على حضارة سلفت...

وتكاد الدمعة تطفر من عينيّ ماجدة...

سابح.. ها..ا..ا.. هذا الرجل الذي خلّف وراءه ثمانين عاماً من المناصب.. لو كان يشاهد الشريط الآن لكان بكى على أمجاده الغابرة حين كان، كما يقولون (على سروج خيله)... إنه جالس مع الحضور... لكنّه كالعادة، يغط في نوم عميق.

ويبدو أن أجواء الأمسيات مكان مناسب لغفوته أوّل كل مساء.

فتاة ترتدي قميصاً فاقع اللون.. تتثاءب وتفكّر: لو يتأبط محسن ذراعي لكنت ذهبت معه إلى آخر الدنيا.. المحاضر ينقّل نظره بين الحاضرين..

عفراء تحمل ستين عاماً خلفها وتنظر إليه نظرة استجداء: آه.. لو يتزوجني فوق امرأته.. سأشيله على الراحات وسيغدو كلُ ما أملكه مباحاً له بغير حساب.

محمود ينقل نظره بين الشريط الذي يُعرض والمحاضر: بوركت أبا سالم.. ما تفتأ تنتقل من نجاح إلى آخر من خلال اجتهاد متواصل يثبط عزائم الأشرار

ويغيظ الحاسدين. أحمد يتأمل شريط الأندلس.. يلمح عائشة الحرة الأندلسية بقوامها الرشيق.. آه يا أم الصغير... لو كانت زوجتي تملك جمالك ورشاقتك. كنت ملكت القلعة..

وهي لا تملّ من (النقّ) ولا تتوانى في كل مرة عن مقارنتي بأبي سالم.. شوف أبا سالم.. شوف أين وصل، وكيف يحترمه الآخرون؟.. آه.. إنها لا تكف عن الحسد.. مالنا والرجل.. لماذا لا نرضى بما نحن عليه؟!..

يدور نظره في فضاء الصالة.. تقع عيناه على عاليه.. لو كانت زوجتي... كنا شكلنا فريقاً أدبياً معتبراً.

أبو سالم يلقي نظرة على شريطه: الملك يخرج من غرناطة مع أسرته وحاشيته وأمه عائشة الحرة وهو على فرسه فوق تل البَذول ينظر إلى غرناطة الدرة الفريدة المضيئة التي سلّمها إلى العدو الصليبي...

أبو سالم يتذكر قول محمود درويش:

**كنّا هناك ومن هنا ستهاجر العربُ**
**لقصيدة أخرى، وتغتربُ**
**قصبٌ هياكلنا**
**وعروشنا قصبُ**
**في كل مئذنة حاوٍ، ومغتصبُ**
**يدعو لأندلسٍ**
**إن حوصرت حلبُ**

ينتهي الشريط.. يختم أبو سالم محاضرته بالقول: الآن نتساءل: هل يعيد التاريخ نفسه؟... ومن الذي يسلم مفاتيح غرناطة الجديدة؟..

لقد خرج أجدادنا من الأندلس.. والخوف الذي يعتريني الآن نابع من مؤشرات ما نسعى إليه، ما نخافه الآن أننا مقدمون على مرحلة قد نخرج معها من التاريخ إن لم نبادر إلى حلول جذرية تغيّر ما نحن فيه.

جئت خجلاً من المحاضر الذي اتصل بنا قبل أن تنتهي الأمسية تحسّر فريد: شغلة فاضية... لو أننا حضرنا حفلة نانسي عجرم بالتلفزيون كان أفضل... بس تورّطنا...

صفق الحاضرون بحرارة، وهموا بمغادرة القاعة، لكن سابح استيقظ على صوت التصفيق... فرك عينيه واستوقف مدير الصالة ليلقي كلمة..

وقف بتثاقل سنيه التي تمتد منذ /١٩٢٥/ وقال: استقلّت الأندلس عن العباسيين وكوّنت إمارةَ قرطبة.. ثم تلاشت الإمارة وتوزعت في دويلات حكمها ملوك الطوائف، ثم المرابطون فالموحدون. هُزموا أمام الإسبان ثم انحصر سلطان العرب في مملكة غرناطة. ونحن الآن نعمل على استعادة غرناطة.. إننا أمّةٌ عربية واحدة ننتقل من نصر إلى نصر.. سندحر الغاصبين ونحرر الأراضي المحتلة ونستعيد غرناطة وإنطاكية.. سنمتدُّ من المحيط إلى الخليج، بلا حواجز.. تكلّم سابح وتكلّم إلى أن قاطعه أحد الشباب قائلا: أبوس أيديكن سكّتوه.. سابح بيك... هو أحد أسباب هزائمنا المتوالية.. أمثاله هم الذين صنعوا وليد..



بربّكم ألا ترون نموذج الصغير يتكرر بشخصية وليد الذي جهز مفاتيح كثيرة للمدينة كي يسلم من يشاء نسخة منها.. أين نحن اليوم من عبد الرحمن الداخل... نحن نحرق السفن كي لا نقوى على مقارعة أحد.. كفوا عن التشدق بالشعارات... يرحمكم الله..

أنت يا سابح بيك... تحمل -بالكاد- بكالوريا صناعية، ومع ذلك تقلدت أرفع المناصب لأسباب غامضة.. أنت من حوّلت محسن إلى قسم الجمع.. محسن الذي يحمل إجازة محاسبة ولديه شهادة خبرة أكثر من عشر سنوات في لبنان جعلته يدقق الجمع خلف محاسب معه شهادة تاسع.. كاملة. كنت تتعمد تحقير موظفيك أصحاب الشهادات.. كنت تسقط شكالة الورق متعمّداً وتأمرهم بالتقاطها لك... أنت واحد من كثيرين زرعتم في نفوسنا الذل متعمّدين.. أنتم صنعتم منّا نماذج دونكيشوت..

ألم تعلّمونا أنتم أنه لا خوف من الصهاينة وأن بصاق العرب يغرق دولة "إسرائيل" خلال ساعات... نشف ريقنا وأغرق البصاق لحانا.. وما نزال نظن أننا ورثة خير أمة أخرجت للناس. فكروا معي بهذه التواريخ: لقد كانت مفاوضات استسلام غرناطة، ثم التخلّي عنها في تشرين عام ١٤٩١ وبعد خمسمئة عام كان مؤتمر السلام لفلسطين بمدريد في تشرين عام ١٩٩١. فهل كان هذا مجرد صدفة أم أنه يحمل الكثير من الدلالات؟... لم ينه الشاب كلامه غير أن صوته اختفى عن مكبّر الصوت.. خيّم الظلام على الصالة.. ارتفعت حرارة المكان.. تفرّق المجتمعون على غير هدى.. رحت أجوب الشوارع.. أهرب من صدى يلاحقني: أمسينا نأمر بالمنكر وننهى عن المعروف ولكننا، أبداً، لا نقنط من رحمة الله.

# الحوار الديني ضرورة للأمن العالمي

أسعد السحمراني*

**تمهيد:**

إن الإنسان في عالم اليوم تؤرقه الصراعات، ويضنيه البحث عن مناطق آمنة في أية بقعة من العالم، هذا العالم الذي تمتلك فيه بعض الدول أسلحة دمار يمكنها تدمير العالم عشرات المرات.

والإشكالية الكبرى تنبع من أن القوى الدولية الأكثر قوة واستباحة للقيم هي التي تدعي أنها تمثل النموذج الواجب الإقتداء به، وفي رأس قائمة هذه القوى العالمية "الصهيوأمريكان" الذين يمارسون الإستعلاء ويتبنون فكراً عنصرياً يهدد الإنسان فرداً واجتماعاً بشرياً.

إن هذا الواقع المشحون بمقولات صدام الحضارات، ومزاعم الشعب المختار، وادعاءات الأمة المختارة والعرق المنتقى، والذي يفترض بعضهم فيه أنه المثل ومن خالفه يكون قد خرج عن السبيل الصحيح، يضاف إلى كل ذلك تهمة الإرهاب التي يوزعها الإرهابي المتربع على كرسي السلطة في واشنطن، والتي ينعت بها الإسلام أو المسلمين، كما انه وهو يمثل مع حليفه الصهيوني الشر كله يعطي لنفسه حق تصنيف العالم إلى محاور بحيث يصنف أن كل من يتمرد على صيغة الإستتباع بأنه مع الإرهاب وأنه ينتمي إلى محور الشر.

إن الإنسان القلق من كل هذا من حقه أن ينشد النجاة، وأن يسأل عن الحلول، وأساليب العلاج.

**الحوار وقبول الآخر من الموقع الإسلامي:**

إن أساس الحوار المقترن بالإيجابية، وبمقصد نبيل هو التلاقي والائتلاف لا يكون إلا إذا تأسست العلاقات على منهج قبول الآخر وفق أسس ومعايير، يضاف إلى ذلك الإقرار بالتنوع كأساس إجتماعي.

* أستاذ العقائد والأديان في جامعة الإمام الأوزاعي- بيروت، مسؤول الشؤون الدينية في المؤتمر الشعبي اللبناني

إن الإسلام شرّع هذه القواعد، وأبلغت شريعته السمحة بأن التنوع أساس إجتماعي، وأن إرادة الله تعالى جعلت الناس وقد تكاثروا من آدم وحواء أمماً شتى إن لجهة التكوين المجتمعي القومي، أو الروابط الأسرية والقبلية، أو لجهة المعتقد والدين. وقد جاءت النصوص القرآنية تبيّن ذلك، وتوجه إلى أن الأصل أن يتحاور الناس وأن يعرف بعضهم بعضاً دون تشاحن ولا عدوان أو ظلم.

قال تعالى: "يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير". (سورة الحجرات- ١٣)

وهذا التنوع يشمل الجانب الديني فإن الله تعالى دعا الناس جميعاً للإيمان به سبحانه، وتوحيده، وإفراده بالعبودية، قد بعث الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم لينقلوا الناس من الظلمات إلى النور فتنوعت بذلك الرسالات السماوية الخالدة، وتوزع الناس أمماً وطوائف ومذاهب مع أن الكل مرجعهم إلى الله تعالى، والساحة متروكة أمامهم للمنافسة والتسابق إلى العمل الصالح، وفعل الخير.

قال تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون". (سورة آل عمران- ٤٨).

تأسيساً على ما تقدم فإن الاختلاف عقيدة وشريعة ومذاهب وأفهاماً قد بات قاعدة وسنة كونية، وهي ماضية إلى أن يشاء الله غير ذلك. وبالتالي ما كان الناس ولن يكونوا على مذهب واحد أو فهم واحد، وقد قال تعالى: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين".

إن هذا القرار الإلهي الذي نص عليه القرآن الكريم، وهو التنوع بين البشر إنما يدحض الفكر العنصري الذي يدعو إلى مجتمع يقوم على الإنتماء الآحادي لأن ذلك يناقض التكوين المجتمعي، وبالتالي ستكون فوضى وأشكال من التنازع لمجرد أن يعمل أو يدعو أحد لآحادية الإنتماء في وقت يؤكد فيه الحق سبحانه: "ولا يزالون مختلفين". إن التنوع يؤسس للتكامل وهذا التكامل الذي يسود في كل الكائنات وعلى رأسها الإنسان يحقق الإستقرار في العلاقات، عندما يسلم به الناس أمماً ودولاً وأدياناً ويبنون على أساس ذلك قواعد التعارف، ويضعون الآليات للتعاون رائدهم إسعاد الإنسان المستخلف في الأرض.

وقد أصّل الإسلام في ميدان التطبيق لمسألة التنوع هذه فكان مجتمعه الأول في المدينة المنورة مجتمعاً تعددياً، وكانت "الصحيفة" دستور المدينة أول ميثاق وطني وبوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وقد أقرّت هذه الصحيفة "الدستور" حق المواطنة وقبلت التنوع، كيف لا والإسلام أبلغهم قرآناً فيه: "لتعارفوا"- "لا يزالون مختلفين".

إن مجتمع المدينة كان فيه المسلمون من المهاجرين والأنصار وأهل المدينة وفيهم قبائل ومنهم من دخل في

الإسلام ومنهم من بقي على الشرك ومعهم يهود المدينة وبعض الأقليات من المسيحيين والمجوس، وبهذه الصيغة التعددية تحقق الإستقرار وتعاهد أهل المجتمع بكل مكوناته على النصرة وحفظ الأمن والتعاون في كل مشترك بينهم هذا مع مراعاة الخصوصية لكل مكوّن من هذه المكونات.

يبقى أن نشير في هذه العجالة إلى أمر مهم في أساسات الإستقرار هو توافر الأمن وإشباع الحاجات أو إن شئت قل الأمن بكل أبوابه من الغذاء إلى الإجتماع إلى منع العدوان ورفع الظلم. فالأمن والأمان أساس الإستقرار وهما ضرورة إنسانية للفرد والجماعة.

وقد أشار النص القرآني إلى هذا الأمر في سورة قريش حيث جاء قول الله تعالى لأهل قريش وهم يتقلبون في البلاد في محيط مكة المكرمة: "فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف". ولو أن الإنسان اليوم أجال النظر في العالم كله لوجد أن فقدان الأمن بفعل العدوان، والنقص في الحاجات وسبل العيش الكريم بفعل النهب والقرصنة الدولية من قوى الإستكبار والإستدمار ودعاة العولمة، كل هذا الأشياء قد سببت الإضطرابات، ونشرت الرعب والقتل والجرائم الفردية والجماعية، وخلّفت الفقر والعوز، وجعلت آلاف الملايين من البشر يعيشون على خط الفقر أو دونه وقد ولّد هذا العدوان السافر الشقاء والأفعال الشنيعة وردّات الفعل التي لن يكون إستقرار ولا نظام عالمي معها، وإنما المزيد من الفوضى.

**أوروبا ومعطّلات الحوار:**

إن العالم الإسلامي وفي قلبه الوطن العربي على صلة قديمة بالقارة الأوروبية وقد كان ذلك قبل المسيحية والإسلام وقوي الإتصال بعدهما، وقد مرّت محطات فيها حالات من التوتّر والنزاع كما مرّت مراحل من الحروب سواء أبّان الفتح الإسلامي أو حروب الفرنجة التي عرفت بالحروب الصليبية، وتوالت أشكال الصراع في القرنين الأخيرين حيث استعمر الأوروبيون العديد من البلدان وقاوم هذا الإستعمار حركات إستقلال وتنوعت أشكال المواجهة والمقاومة. لكن هذه النزاعات لم تمنع حصول مناخات من الإيجابية في العلاقات في ميدان العلوم والنقل وتبادل الخبرات، وفي ميدان الإقتصاد والإستثمار والتجارة البينية. وقد ترافق مع ذلك مناخ فكري غير صحي تجلّى في كتابات نالت من الإسلام رسالة ورسولاً ومن المسلمين والعرب اجتماعياً وقيمياً إلى أن كانت محطة إيجابية منذ العام ١٩٦٥ عندما انتهت أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني في الكنيسة الكاثوليكية حيث تضمّنت مقررات المجمع موقفاً من الكنيسة باتجاه الإسلام يؤسس للحوار الإيجابي وللعلاقات البنّاءة بحيث أن هذا النص لو تم الإلتزام به لكان أساساً لاستقرار في العلاقات ينعكس على جوانب كثيرة تلغي كل شكل من أشكال النزاع.

وقد ورد في هذا النص ما يلي: "وتنظر الكنيسة أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيّوم الرحمن القدير الذي خلق السماء والأرض وكلّم الناس. إنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله وإن خفيت مقاصده كما سلّم لله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالإنتساب إليه وإنهم على كونهم لا يعترفون بيسوع إلهاً يكرّمونه نبياً ويكرّمون أمه العذراء مريم مبتهلين إليها أحياناً بإيمان. ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يجازي الله فيه جميع الناس بعدما يبعثون أحياء. من أجل هذا يقدّرون الحياة الأدبية ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم خصوصاً. ولئن كان قد وقع في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرّضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم فيما بينهم وأن يحموا ويعززوا كلهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الإجتماعية والقيم الروحية والسلام والحرية".

إن هذا النص لم تتحول مضامينه الإيجابية التي تتجاوب مع الموقف الإسلامي من أهل الكتاب ومن المسيحيين خصوصاً إلى حيّز التطبيق كي تصحح أخطاء سابقة أو تمنع حصول أخطاء تعيد التوتير في العلاقات. ويمكن تحديد هذه الأمور في ما يلي:

١- إن الحقبة الإستعمارية قامت على أساس الأطماع ورافقها سلب حقوق وتجاوزات وتعديات ولم يحصل حتى يومنا هذا أي تصحيح يؤسس لنمط جديد في العلاقات.

٢- إن أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر وحتى أيامنا هذه عملت لإتمام المشروع الصهيوني في إغتصاب فلسطين وقدمت للعدو ولا تزال كل عون ومساعدة ولم يصحح شيء من هذه الخطيئة التاريخية بحق العرب مسلمين ومسيحيين وبحق المسلمين عموماً حتى اليوم.

٣- إن أغلب الدساتير الأوروبية وبشكل خاص فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا وغيرها تصنّف الإسلام بأنه ثقافة ولا تعتبره ديناً، والسؤال هنا أي حوار سيتم وهم لا يقرّون بوجودنا نفسه؟ وكيف يطالبوننا أن نقيم علاقات على أسس إيجابية وهم لا يقرّون بوجود الآخر؟ وبالتالي فإنهم لا يقبلونه وأقصد الآخر المسلم وهذا يقودنا إلى سؤال آخر: أين مفاعيل ما قرره المجمع الفاتيكاني الثاني؟

٤- إن إساءات لا تزال تصدر بين حين وآخر من مستوى نشر كتابات مشبوهة توتّر العلاقات كحالة سلمان رشدي في الثمانينات من القرن الماضي أو كحالة القرار الفرنسي منذ سنتين الذي يمنع ارتداء الحجاب على المسلمات في المدارس والجامعات وهذا اعتداء على حرية المعتقد يخالف نصوص الدستور والقوانين في فرنسا نفسها وكذلك ما قامت به منذ أشهر الصحيفة الدانمركية من إساءات ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه والأسوأ كانت تلك التبريرات التي

صدرت عن مسؤولين تزعم أن الأمر في إطار حرية التعبير. كيف تكون إساءة بهذا المستوى حرية تعبير وفي الوقت عينه يمنعون فتاة مسلمة من الحجاب وهو في أساس شريعتها؟

٥- ومن الأمور التي تؤدي إلى التوتر وتخالف ما عليه الأسس والأصول إتفاقيتان تمتا في العام ١٩٩٣ والعام ١٩٩٧ بين الفاتيكان رأس الكنيسة الكاثوليكية وبين العدو الإسرائيلي تجيزان للعدو الولاية الإدارية على الأوقاف الكاثوليكية في القدس وعموم فلسطين. وهاتان الإتفاقيتان تخالفان القانون الدولي الذي لا يجيز إقرار أي محتل على احتلاله، ولا تتناسبان مع المسيحية التي في أساسها أن لا تقرّ بوجود يهود أو بسيطرة يهودية على القدس بعد مجيء المسيح عليه السلام.

إن هذه الملاحظات وغيرها تشكّل معطّلات للحوار مع أنه ضرورة من أجل الأمن العالمي لأن التوتر بين أوروبا والمسلمين يطال قلب العالم كله في ثلاث قارات هي آسيا وأفريقيا وأوروبا.

**الصهيوأمريكان والخطر وتعطيل الحوار:**

إن الإنتقال من أوروبا إلى الصهيونية وعدوانيتها وعنصريتها في نوعيها: الصهيونية اليهودية والصهيونية الغير يهودية التي تقود الولايات المتحدة الأمريكية هذه الأيام. هذه الصهيونية أو الصهيوأمريكية على وجه أدقّ تمارس عدواناً سافراً ضد الإنسان والشعوب والمقدسات والقيم والإقتصاد والخير والحق والجمال والبيئة وغير ذلك كثير. ولكل هذا فهي خطر حقيقي على السلام العالمي والأمن العالمي والعلاقات الدولية. لا بل هي خطر على البشر والحجر ولا يمكن أن يحصل حوار أو علاقات سوية في ظل تسلطها واحتلالاتها وعنصريتها.

وإذا كنا نسلّم بان الحوار الديني أو الحضاري ضرورة عصرية للأمن العالمي فإنه يستحيل أن يكون حوار مع الصهيونية والعنصرية وإذا أردنا أن نبيّن سبب إستحالة الحوار يكفي أن نورد العوامل التالية:

١- إن المراجع للنصوص اليهودية في العهد القديم أو في التلمود يجدها مشحونة بروح عدائية تدعو إلى العنف والقتل والإستباحة لكل ما هو غير يهودي وفي نصوص التلمود الكثير مما جاء ينال من المسيح عليه السلام ومن المسيحية ومن الإنسان عموماً لأن التلمود وكما هو معلوم انتهت صياغته وشروحاته حوالي أواخر القرن الخامس الميلادي.

٢- إن اغتصاب فلسطين الذي هو استعمار استيطاني إحلالي بشراكة أمريكية كاملة لن يسمح بأي حوار أو استقرار لأن الحوار لا يكون مع قاتل، ولن تستقر علاقات مع غاصب وبالتالي لا حلّ إلا بحلّ الكيان الإسرائيلي وعودة كل فلسطيني إلى بيته وحقوقه.

٣- إن القيادة الأميركية المتصهينة تشترك مع العدو الإسرائيلي في عدوانه وتمدّه بكل أنواع الإمكانات بما في ذلك تسخير المؤسسة الدولية "الأمم المتحدة" والنفوذ الأمريكي فيها من خلال حق

النقض (الفيتو) لهذه الغاية.

٤- إن قيادة الولايات المتحدة الأمريكية تمارس العدوان المباشر ومنه ما هو على المسلمين العرب سواء بالتوصيفات والتصنيفات في محاور، أو باتهام الإسلام بأنه دين الإرهاب، أو بالإحتلال المباشر كما هي الحال في العراق وبنغلادش، أو بالتهديد والوعيد والتأديب الدولي كما هي الحال ضد إيران وسوريا والسودان، أو بالإشتراك مع الإسرائيلي في مشروعات تآمرية توظّف الأموال وأجهزة الإستخبارات لزراعة الفتن العرقية أو الطائفية أو المذهبية لتفتيت الأمة إلى كيانات هزيلة.

٥- إن الصهيوأمريكية تمارس عدواناً سافراً على الإسلام والمسلمين سبق الصحف الدانمركية وذلك من خلال التهجم على المسلمين بإلصاق تهمة الإرهاب بهم أو من خلال الحديث عن صدام الحضارات الذي كان عنواناً لكتاب كتبه صامويل هنتنجتون وبيّن من خلاله بأن العقبة في طريق الهيمنة الأمريكية والعولمة هو الإسلام والكونفوشية في الصين. كما أن عدداً من القساوسة المتصهينين من أمثال جيري فالويل وفرانكلين غراهام وبات روبرتسون وغيرهم كثير قد دأبوا من خلال تلفزيونات مخصصة لهذا الغاية على النيل من الإسلام ومن الرسول صلى الله عليه وسلم وآله صحبه وهذا معلوم لدى كل المتابعين. لذلك كله يستحيل أن يكون الحوار الذي يقود إلى أمن واستقرار.

٦- إن الصهيونية بنوعيها التي تحكم واشنطن وتل أبيب تؤمن بمشروع هو احتلال فلسطين وتهويد القدس وتقويض المسجد الأقصى وبعدها المعركة الفاصلة حسب زعمهم في هرمجدون تمهيداً للعهد الألفي السعيد وأمام هذا العدوان السافر دينياً وفكرياً ووطنياً هل يمكن أن يكون حوار؟

٧- إن الصهيوأمريكان يعملون من أجل الإنفراد بقيادة العالم ضمن نهج تسلطي استعلائي يحاول تنميط العالم كله وفق ما هم عليه وفي كافة المجالات وبالتالي لا وجود للآخر الديني أو الحضاري في قاموسهم وهذا ما ولد ويولّد نزاعات كثيرة في بقاع العالم كله وبالتالي لن يرتاح فرد أو امة ما دام الأمر لهذا الصهيوأمريكي الخطير فهو الشر كله، وإذ كان الشيطان أساس الشر فإنهم شياطين بامتياز.

**خاتمة ومقترحات:**

إن الحوار ضرورة من أجل التواصل والتعاون العالمي تحقيقاً للإستقرار ومن أجل توفير ظروف ملائمة للإنسان كي تحفظ كرامته، وتتأمن حقوقه. وإذا كان الإسلام قد أصّل لهذا الحوار وشرّع قواعد لقبول الآخر ووضع لذلك المعايير فإنه حدد علاقات تقوم على المودة مع المسيحيين، ولذلك ندعو المسيحيين في العالم إلى تشكيل جبهة مع المسلمين من أجل غد أفضل للبشرية كما أن النص القرآني نفسه حذر من يهود وعدوانيتهم والتي تبلورت في الصهيونية بكل مكوّنات

التيارات التابعة لها.

القبول أو عدم القبول أساسه الآية الكريمة: "لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون". (سورة المائدة- ٨٢)

**تأسيساً على ما تقدم نقدم المقترحات التالية:**

١- نحتاج في الموقع الإسلامي إلى حوار فلقاء فاعتصام بحبل الله تعالى يؤكد على الوحدة الإسلامية انطلاقاً من الإيمان بأن الدين واحد وأن المذاهب متنوعة في الفقه وعلم الكلام، وإنه لا يجوز التعصب المذهبي أو الفئوي لحزب أو مؤسسة أو مرجع، وأن لا يذهب أحد باتجاه إحلال المذهب بديلاً من الدين. كما يحتاج الموقع الإسلامي إلى التزام التحديد الإلهي لشخصية الأمة الذي يقوم على الوسطية "وكذلك جعلناكم امة وسطاً". (سورة البقرة-١٤٣)

هذا يعني أن يتصدى علماء الأمة وقادتها لظاهرة الغلو والتطرف والفكر التكفيري عموماً، ومعالجة مدارسه وأشخاصه فكرياً واجتماعياً حتى لا تبقى جماعات الغلو أداة بيد الأعداء تمارس ما تمارسه مما يهدد وحدة الأمة ويؤدي إلى إهلاك الحرث والنسل، وأن تعالج المسائل على أساس مقاصد الشريعة التي أجملها علماء الأصول في الأمور التالية: "حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ الدين، وحفظ المال".

٢- أن تعمل الكنائس المسيحية بكل مذاهبها، والكاثوليكية منها خصوصاً على التزام منطوق ما قرره المجمع الفاتيكاني الثاني لجهة بناء علاقات سليمة مع المسلمين لأن في ذلك مصلحة للإنسانية جمعاء وليس للمسلمين والمسيحيين فقط، ولأن هذا الحوار والتلاقي يبعث منظومات قيمية أخلاقية نابعة من رسالات السماء الخالدة تعالج بكل إيجابية ما يتهدد البشرية والعالم كله من مخاطر على الفرد والمجتمع والتي تتجلى في الحروب وأشكال العدوان وفي التركيز على قيم مادية لا تأخذ بعين الإعتبار سوى الأرقام والكميات ولو على حساب الإنسان، يضاف إلى ذلك ما تطرحه العولمة/الأمركة من مقاصد باسم التطور الإباحي والإجهاض والمثلية في العلاقات الجنسية والعبث بموضوع التكاثر البشري مضافاً إلى ذلك الفنون الهابطة وسائر المفاسد.

كل هذه التحديات تحتاج لمنظومات قيم دينية تشكّل دوراً إنقاذياً ولن يكون ذلك بغير تلاقٍ جدي إسلامياً ومسيحياً.

٣- إن الخطر الصهيوأمريكي يهدد العالم كله، وينذر بعواقب وخيمة وهذا يحتاج من الداخل الأمريكي أن يُعمَل لإسقاط التيار المتصهين من قيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وأن يعمل الغرب كله لإنهاء احتلال فلسطين وأي احتلال في العالم كي يبدأ التكفير عن سوابق وذكريات لا يمكن أن يكون معها حوار ولا علاقات إيجابية، وأن يكون حوار مع القسم الآسيوي الذي يَدين

بديانات وضعية كالكونفوشية والبوذية والهندوسية والشنتوية والسيخية وسواها على قاعدة ما ورد في الحديث النبوي الشريف حين سئل الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه عن المجوس أو الزرادشتيين فأجاب: "سُنّوا بهم سنّة أهل الكتاب".

وأن تترافق هذه المعالجات مع إلتزام المسلمين والعرب خط ومنهج ثقافة المواجهة وفكر المقاومة من أجل تحرير الأرض والمقدسات ورد كيد الأعداء في التهديد والوعيد والتصنيفات الظالمة، وإسقاط العولمة والصهيوأمريكية لننقذ البشرية جمعاء من مخاطرها وتحدياتها التي لا توفر أحداً حتى في القارة الأمريكية نفسها.

٤- نطالب الدول الأوروبية كلها بأن تعالج أوضاع سياساتها وقوانينها حيال الإسلام والمسلمين بأن يقروا النصوص المناسبة للاعتراف بالإسلام ديناً وبالمسلمين وجوداً وحضوراً، وأن يكفّروا عن ماضيهم في إقامة الكيان الصهيوني الغاصب وسائر الممارسات الإستعمارية وان يكفوا عن مماشاة القيادة الأطلسية الأميركية المتصهينة في عدوانها وتجاوزاتها لأن مثل هذه المعالجات تقود العلاقات إلى شاطئ الأمان، وعندها يكون الحوار ويسير العالم باتجاه الأمن بكل وجوهه من الأسرة إلى العلوم إلى الفنون إلى الغذاء... إلخ.

٥- نطالب الكرسي البابوي في الفاتيكان بإعادة النظر في الإتفاقيتين المعقودتين مع العدو الإسرائيلي لأن القدس وفلسطين هي وقف الأمة، ووقف المسلمين والمسيحيين وكما كان ويكون العدوان على المسجد الأقصى وسائر المساجد وعلى العلماء المسلمين فإنه كذلك على كنيسة القيامة وبالأمس كان عدوان إجرامي على كنيسة البشارة في الناصرة وقبله وبعده على أديرة وكنائس وكهنة، ولا بدّ من التعاون الإسلامي- المسيحي لوقف إجراءات العدو في تهويد القدس والمقدسات ولردع عدوانه وجرائمه المغطاة أمريكياً.

ختاماً نقول: الحوار مع أسس عادلة للعلاقات تحقق الأمن للعالم وأما الظلم والعدوان فإنهما سيزيدان الأمور سوءاً ولن يكون ذلك في صالح أحد، فالكل معني بالمعالجة والتصدي لمشروع أمريكا العولمي، وللجرائم الصهيوأمريكية، ولا يراهنن أحد على من في طبعه وشخصيته ومفاهيمه الإجرام وما هو عدواني لا يلتزم عهداً ولا ذمة.

وإذ كان بوش قد قال: "إما أن يكون الواحد مع أمريكا أو مع الإرهاب" فإننا نقول: "إما أن يكون الإنسان مع الإنسان والحق والخير أو أن يسلم للإستكبار والغطرسة والإجرام العولمي الصهيوأمريكي".

# السُهْرَوَردي وحكمة الإشراق

عباس صباغ*

**مقدمة:**

حينما أينع الإسلام حضارة وضحت معالمها بدأ من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وغدا العالم الإسلامي بحر يذخر بشتى أنواع المعارف والعلوم والفنون، وقف حشد من المسلمين متأملاً فيما أنتجته الإنسانية من معارف فلسفية ووقف آخرون موقفاً معادياً وشاجباً السير في هذا المضمار، إلى حد شككوا فيه بعقيدة دارسيها، لا بل أفتوا باستباحة دم كل معتقد بها.

ولم يكن هؤلاء أول من نظر إلى الفلسفة هذه النظرة المضطربة، بل وقفها آخرون في كل الحضارات وعبر العصور، ولقد حفظ لنا التاريخ قصصاً كثيرة تضمنت نهايات مأساوية لفلاسفة وحكماء وعلماء منهم على سبيل المثال لا الحصر (سقراط، غاليله، ....) والسُهْرَوَردي لا يخرج عن هذا النطاق، فقد كان حسب نعت ابن أبي أصيبعة له " كان أوحداً في العلوم الحكمية، جامعاً للعلوم الفلسفية، بارعاً في الأصول الفلكية، مفرط الذكاء، جيد الفطرة، فصيح العبارة، لم يناظر أحداً إلا بزّه، ولم يباحث محصلاً إلا أربى عليه، وكان علمه أكثرَ من عقله"[1]. -ويقصد هنا تعقله-.

نعم لقد اشتغل السُهْرَوَردي بالعلوم الفلسفية، وحينما ظهر نتاجه فكراً جديداً، استنكره الفقهاء، واعتبروه ممن يفسد عقائد الناس، فكان أن انتهت حياته نهاية مأسوية، خرّ على إثرها صريعاً في سبيل فكر نافذ، ما أعطيَ حقه ولو بقليل من الصبر والتأمل والدراية.

لأجل هذا كله كان من الأهمية بمكان أن نقف على ما كان عليه هذا الرجل وعلى بعض ما كان له من فكر،

* رئيس قسم الآثار - جامعة حلب.

كي ما يطويه النسيان، وهو نزيلَ حلبَ الشهباء ودفينُها، هذه المدينة التي جعلت السنة عاصمة للثقافة الإسلامية. وفي هذه الوريقات سألقي بعض الضوء على هذا الفيلسوف النادر، عبر مبحثين سأتناول في الأول حياته وعصره وما كتب عنه، وسأتناول في المبحث الثاني نتاجه، وأخص كتابه حكمة الإشراق الذي يبلور فيه فلسفته.

## أولاً ـ حياته وعصره:

هو يحيى بن حبش بن أميرك، ويلقب بشيخ الاشراق، وسيد الوقت، والمؤيد بالملكوت. ولد بسُهْرَوَرد سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م[٢]. وسُهْرَوَرد من نواحي زنجان في القسم الأوسط من إيران[٣]. وفي صباه سافر إلى مَراغة ودرس فيها الفقه على الشيخ مجد الدين الجبلي أستاذ فخر الدين الرازي[٤]. ثم غادرها إلى أصفهان، ومنها سافر إلى بغداد، ليستقر أخيراً في حلب ٥٧٩هـ/١١٨٣م[٥].

وقد عاصر خلال رحلة حياته هذه من الخلفاء "المقتفي لأمر الله". و"المستنجد بالله" و"المستضيء بالله" و"الناصر لدين الله"[٦]. وعاصر من السلاطين "نور الدين محمود بن زنكي" و"صلاح الدين الأيوبي"، وما ذكرت الخلفاء والسلاطين في هذا المقام، إلا لأدلل إلى أن العالم الإسلامي في هذا الوقت وخصوصاً مصر وبلاد الشام كانت تنوء تحت وطئة الحروب الصليبية، وفيه زالت الخلافة الفاطمية، وأوضاع البلاد إلى حد ما قلقه من الجانبين السياسي والاجتماعي.

هذا وحين استقر السُهْرَوَردي في حلب، كان ملكها إذ ذاك " الظاهر غازي بن صلاح الدين نائباً عن أبيه"[٧]. وتتفق المصادر على أن أول نزوله في حلب كان في المدرسة الحلاوية، وكان مدرسها آنذاك الشريف رئيس الحنفية افتخار الدين، وتذكر المصادر: أنه حينما حضر درس الشريف افتخار الدين لم يكن عليه سوى دلق[٨] كما لم يكون بحوذته سوى إبريق وعكاز من خشب، وما أن علم افتخار الدين فضله، أرسل له مع ابنه ثياباً تليق به وبعلمه، ولما وقف الابن بين يدي السُهْرَوَردي دفع السُهْرَوَردي إليه بفص من الحجر الكريم، وطلب منه أن يثمنه له في السوق، فذهب الابن إلى السوق وعاد إليه وقال أنه يساوي ثلاثين ألفاً، فكان أن أخذ السُهْرَوَردي الفص، ثم فتته بحجر كان قربه، وقال للابن: اذهب إلى والدك وقل له: لو أردت الملبوس لما عجزتُ عنه[٩].

وقد أكد زهده مرة أخرى ابن أبي أصيبعه بوصفه "... كان رث البزة لا يلتف إلى ما يلبسه، ولا له احتفال بأمور الدنيا، ويروي عن سديد الدين ابن عمر قوله: " كنت أنا وإياه نمشي في جامع ميافارقين، وهو لابس جبة قصيرة مضربة زرقاء، وعلى رأسه فوطة مفتولة، وفي رجليه زربول[١٠] ورآني صديق لي فأتى إلى جانبي وقال: ما جئت تماشي إلا هذا الخربنده[١١] فقلت له: اسكت هذا سيد الوقت شهاب الدين السُهْرَوَردي"[١٢].

ورغم ذلك ما أن علم الظاهر غازي بفضله وتميزه عن أقرانه، قربه إليه، واحتفى به، وجعله من خاصته، لكن جمعاً من فقهاء حلب لم يواتهم أن يعلو عليهم أحد، فأخذوا يشنعون به لبعض كلامه، وعقدوا محاضر بكفره، وأرسلوا للسلطان صلاح الدين الأيوبي كتاباً بيّنوا فيه أن السُهْرَوَردي سيُفسد عقيدة الظاهر، وكذلك سيفسد عقائد الناس ما دام حياً، فلم يجد صلاح الدين من بدّ من استصدار أمر بقتله بعد ما أفتى الفقهاء بضرورة هدر دمه[١٣].

وقد اختلف المؤرخون في كيفية قتله، لكن أكثرهم أثبت أنه في أواخر سبع وثمانين وخمسمائة أُخرِجَ السُهْرَوَردي من حبسه ميتاً فتفرق عنه صحبه[١٤]. هذا ولم تنته قصتُه بموته حيث يروي الذهبي أن الملك الظاهر غازي، نقم على الذين أفتوا بقتله من الفقهاء، وحبس جماعة منهم، وأهانهم وصادر أموالهم[١٥]. وذلك حينما أظهر بعض العلماء فضله وشرح ما تعسر على بعض الفقهاء فهمه، وقد اختلف الناس في تبيان سبب هدر دمه، فمنهم من قال: أنه أنكر المعاد، ومنهم من قال أنه من المعطلة. وذكر ابن تغري بردي أن السُهْرَوَردي في مناظرته مع فقهاء حلب، قالوا له: " إنك قلت في بعض تصانيفك إن الله قادر على أن يخلق نبياً، وهذا مستحيل، فقال: وما وجه استحالته؟ فإن الله القادر لا يمتنع عليه شيء فتعصبوا عليه فحبسه الظاهر وجرت بسببه الخطوب"[١٦].

وعلى أية حال حين علم السُهْرَوَردي أن لا مناص من القدر، اختار لنفسه أن يترك في بيت حتى يموت جوعاً، ففعل به[١٧]، وهنا يظهر للمتأمل - إن صح هذا الخبر- أن الرجل استقبل خبر إزهاق روحه دون ممانعة وكأنه يتوقعه، لأنه كثيراً ما كان يبوح بكل ما يجيش بعقله وقلبه، وما يجيش عنده لا يمكن أن يدركه على حقيقته أكثر الناس، وعليه فقد روي أنه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة كان ينشد:

**أرى قدمي أراق دمي**

**وهان دمي فها ندمي**

وقد لاحظ هذه الخصوصية "فخر الدين المارديني" أحد أساتذته بقوله: ".. ما أذكى هذا الشاب وأفصحه... إلا أني أخشى لكثرة تهوره واستهتاره وقلة تحفظه أن يكون سبباً لتلافه"[١٨].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: هل كان للملك الظاهر غازي القدرة على قتله؟ وذلك لعدم اقتناعه بما نسب إليه من جهة، ولضلوع السُهْرَوَردي بعلم السيمياء[١٩]. من جهة أخرى، - وعلمه بالسيمياء أكدته جميع المصادر حتى التي اختصت بشرح العلوم أو التعريف بها -.

والرأي عندي، أن الرجل قال ما كان يريد قوله، ثم أنه دلّ الظاهر بنفسه إلى الطريقة المثلى لقتله مستسلماً لقدره، مسرعاً حسبما أملاه عليه فكرة إلى لقاء ربّه. وفي الأبيات التي قالها قبل

أن تقبض روحه:

**قل لأصحاب رأوني ميتاً**
**فبكوني إذ رأوني حزناً**
**لا تظنوني بأني ميت**
**ليس ذا الميت والله أنا**
**أنا عصفور وهذا قفصي**
**طرت عنه فتخلى رهنا**
**فأنا اليوم أناجي الملأ**
**وأرى الله عيانا بهنا**
**عنصر الأرواح فينا واحد**
**وكذا الأجسام جسم عمّنا**
**ما أرى نفسي إلا أنتم**
**واعتقادي أنكم أنتم أنا**
**من رآني فليقوِ نفسه**
**إنما الدنيا على قرن الفنا**(٢٠)

## ثانياً ـ كتبه وفلسفته:

كثيرة هي الكتب التي أتت على ذكر حياة السُهْرَوَردي، فمنها ما ردّته إلى الفساد والإلحاد، ومنها ما ردّته إلى الحكمة وحسن الاعتقاد، وكثر هم الذين ذكروا كتبه أو عرّفوا بها، لكن القليل منهم وقف أمام نتاجاته وتأملها وقال ما يتوجب عليه قوله، منذ وفاته وحتى يومنا هذا. وسأذكر على سبيل المثال لا الحصر، أسماء مجموعة من المتقدمين وعلى رأسهم "شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري" و "قطب الدين الشيرازي" و "صدر المتألهين الملا صدر الدين الشيرازي" و "هادي سبزواري"(١٦).

أما المتأخرين فهم كثر، فقد اشتغل بنتاجاته إيرانيون وعرب وأجانب، وتميز بعضهم إلى الحد الذي إن ذكر السُهْرَوَردي ذكروا معه ولقد ذكرت المصادر العربية عناوين عدد من كتبه ورسائله، لكن عددها ما تجاوز العشرة، ففي عيون الأنباء في طبقات الأطباء ذكر ابن أبي أصيبعة:

١- التلويحات اللوحية والعرشية.
٢- الألواح العمادية.
٣- هياكل النور.
٤- المطارحات.
٥- اللحمة.
٦- المقاومات.
٧- المعارج.
٨- حكمة الإشراق.

وزاد ابنُ خلّكان عليها:

٩- التنقيحات.
١٠- الغربة الغربية.

والجدير بالذكر أن مجموعة من الباحثين المعاصرين استطاعوا إحصاء كتبه ورسائله التي ربت على الأربعين كتاباً ورسالة باللغتين العربية والفارسية، وسأشير إلى ما هو بالفارسية لعدم ذكرها في الكتب العربية وخاصة المصادر منها، فقد ذكر الباحث الإيراني محمد معين أن له بالفارسية:

١. المبدأ والمعاد.
٢. بستان القلوب.
٣. صفير سيمرغ.
٤. آواز برجبرئيل.
٥. لغت موران.

٦. عقل سرخ.

٧. روزي باجماعت صوفيان

٨. برتو نامه.

٩. رساله درحالة طفوليه.

١٠. رسالة المعراج[٢٢].

ما من شك أنه من خلال استعراض هذه العناوين يمكن أن نتلمس الثقافة العالية التي حصلها السُهْرَوَردي، خلال عمره القصير نسبياً، وقد تأتت له هذه الثقافة بعد أن هضم فلسفة أفلاطون المثالية. واستدلال أرسطو العقلي، وحكمة جاماسب وفرشاد شير وبزركمهر الشرقية، مع تضلع كبير في الفكر الإسلامي[٢٣]، فكان أن جاء نتاجه فكراً جديداً في المنطق والحكمة والتصوف والإلهيات حيث كان في كل كتاب من كتبه يوضح وجهة نظره في حقيقة من الحقائق، لكن مذهبه الفلسفي وما استنبطته من فكر جديد، صبّه في كتابه "حكمة الإشراق" وإلى كتابه هذا ينسب هو، وكذلك كل من سار على خطاه، فقد عرف هو بـ "شيخ الإشراق" و" نوربخش" وعُرف السالكون وفق منهجه بالإشراقيين أو النوربخشيين[٢٣].

وقد قسّم السُهْرَوَردي حكمة الإشراق إلى قسمين:

القسم الأول: جاء بعنوان "ضوابط الفكر، أتى بمثابة تمهيد للقسم الثاني، عبر ثلاث مقالات، اختصت الأولى بالتعريفات والثانية بالحجج والبراهين، واختصت الثالثة بالمغالطات، وفيها انتقد بعض الفلاسفة والحكماء ليقف على صحيح ما قالوه وفق وجهة نظره.

أما القسم الثاني: فقد وضع له عنوان: الأنوار الإلهية، نور الأنوار، ومبادئ الوجود، وذلك عبر خمس مقالات، الأولى: بحث من خلالها بالنور وحقيقته، وفي الثانية بحث في ترتيب الوجود، وفي الثالثة في كيفية فعل نور الأنوار، وفي الرابعة في البرازخ، وفي الخامسة في المعاد والنبوات[٢٤].

وبالعودة إلى القسم الأول من حكمة الإشراق نجد السهر وردي ينتقد كل من أفلاطون وأرسطو وأرسطا طاليس في منطقه، ويعمل على إكمال ما نقص من مقولاتهم، و نجده في الوقت نفسه لا ينكر فضل هؤلاء فيما قدموه لطلاب الحكمة، ولقد شدد على أن طالب الحكمة لابد وأن يرجع إلى هؤلاء فينهل من علومهم في المنطق والفلسفة والتصوف ضمن ثنائية العقل والذوق، فالعقل يفكر والذوق يؤيد. وهنا يمكن تلخيص مذهب السُهْرَوَردي في الحكمة بأنه ازدواج بين الفلسفة والتصوف، أو بين الحكمة البحثية والحكمة الذوقية، أو هي الجمع الجيد بين الحكمتين البحثية والذوقية، وعليه تتأتى الأولى من الرجوع إلى الفلاسفة والمناطقة والحكماء، وتتأتى الثانية من السلوك الصوفي.

ففي الحكمة الذوقية أي التصوف الحق، تصفوا النفس وينقى القلب وتُجلى البصيرة، بحيث يصبح طالب الحكمة أهلاً لتلقي الأنوار وتجلّي الحقائق والأسرار، وفي الحكمة البحثية لا يرى

السُهْرَوَردي بدءاً من التعرف على كل ما أنتجته المعرفة الإنسانية من مقولات في الحكمة سواء كانت هذه المقولات قد صدرت من الغرب أو الشرق[٢٥] .

ولقد اعتنى بشكل ملحوظ بالنور والظلمة على النحو الذي بلوره الزردشتيون أو على النحو الذي أتى في كتابهم المقدس " اوستا ".

وهكذا يمضي في تبيان فلسفته الإشراقية المشبعة بهذا الفكر حتى ليبدو من ظاهر كلماته ورموزها بأنه يؤله النور والظلمة، وهذا ما جعل بعضهم يضعه مع الثنويين من أتباع زردشت.

ومما يجدر التنويه إليه أنه وضع طلاب الحكمة في طبقات فطبقة يسعى طلابها إلى البحث فحسب، وطبقة يسعى طلابها إلى التأله فحسب، وطبقة يسعى طالبها إلى البحث والتأله معاً وهذا ما يجعل الحكماء بالضرورة في مراتب عدة، ففي إحداهما حكيم إلهي متوغل في التأله عديم البحث ومثاله في ذلك الحلاج. وثانيها بحّاث عديم التأله ومثاله في ذلك ابن سينا، وثالثها حكيم إلهي متوغل في التأله والبحث، وهذا هو الحكيم الإشراقي[٢٦] .

وهكذا يمضي السهر وردي في تفصيل وجهة نظره في الحكمة الإلهية التي هي غايته، هذه الحكمة التي تتمحور في ماهية النور فالنور الجوهري على مراتب أعلاها نور الأنوار، ثم تتسلسل الأنوار مع أفلاكها إلى النور التاسع والفلك التاسع الذي جعل منه التراب ونور هذا الفلك في قلب الإنسان وعقله، فلدى إشعاعه يدرك الإنسان المعقولات ما ظهر منها وما بطن.

وفي الختام، هذا ما أمكنني إيجازه في هذا المقام، وليس الموجز كاف لأن فلسفة هذا الرجل وإن استوعبها كتابه حكمة الإشراق، إلا أن هذا الكتاب يحتاج بلا شك إلى شروح وتفصيلات وليس إلى إيجاز كما فعلت، وهذه دعوة مني لكل مهتم أن يصاحب السُهْرَوَردي عبر مؤلفاته التي أشرت إليها والتي غيبتها لضيق الوقت.

**الإحالات والحواشي:**

١- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، لبنان ١٩٦٥، ص ٦٤٦.

٢- خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٩، ص ١٦٩ - ١٧٠.

٣- محمد معين: فرهنك فارسي، ط١٠، تهران ١٣٧٥ هـ.ش، ج٥، ص ٨٣٠.

٤- أحمد بن مصطفى طاش كبري زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق: كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، القاهرة، ج١، ص ٢٩٩.

٥- محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ١٩٢٥، ج٤، ص٢٩٥.

٦- جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: إبراهيم صالح، بيروت، ١٩٩٧، ص ٥١٦، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٣٠.

٧- محمد راغب الطباخ: المرجع السابق، ج٤، ص ٢٩٥.

٨- الدلق: ثوب متسع الأكمام طويلها، مفتوح فوق كتفيه سابل على القدمين.

٩- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان

الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، بيروت ٢٠٠٢، ج٤، ص ٢٦٦.

١٠- الزربول: الحذاء الضخم.

١١- خربنده: المكاري، الحمّار.

١٢- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ٦٤٤.

١٣- جمال الدين يوسف ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٩٩٢، ج٦، ص١٠٤.

١٤- أحمد بن محمد بن خلّكان: وَفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان حقي، بيروت، ج٦، ص٢٧٣.

١٥- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت، ١٩٩٦، ج، ص٢٨٦.

١٦- ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج٦، ص١٠٤.

١٧- ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج٤، ص٢٦٧.

١٨- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص٦٤٢.

١٩- علم السيمياء بالتعريف، يطلق على ما هو غير الحقيقي من السحر، وحاصلة إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس، وقد يطلق على إيجاد تلك المثالات بصورها في الحس، فتظهر بعض الصور في جوهر الهواء، وتزول سريعة لسرعة تغير جوهر الهواء. (محمد صديق بن حسن القنوجي: موسوعة مصطلحات أبجد العلوم، تقديم: رفيق عجم، تحقيق وترجمة: عبد الله الخالدي، بيروت ٢٠٠١، ص٦٣٦).

٢٠- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص٦٤٥-٦٤٦.

٢١- محمد معين: المرجع السابق، ص٨٣٠.

٢٢- محمد معين: المرجع السابق، ص٨٣٠.

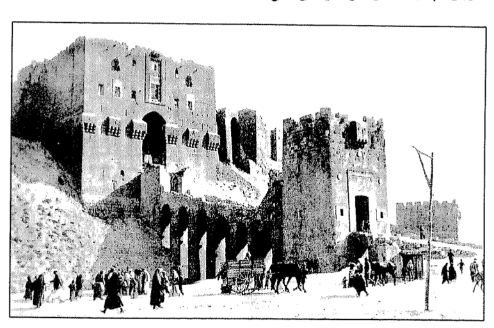
٢٣- عبد الفتاح رواس قلعجي: السُهْرَوَردي بين الأسطورة والإشراق، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد ١٠٠٧ تاريخ ٢٠/٥/٢٠٠٦.

٢٤- محمد مصطفى حلمي: آثار السُهْرَوَردي المقتول وخصائصها التصوفية والفلسفية، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد (١٣)، ج١، مايو ١٩٥١، ص١٦٥-١٧٨.

٢٥- عبد الرحمن بدوي: شخصيات قلقة في الإسلام، الكويت ١٩٧٨، ص١١١-١١٤.

٢٦- محمد مصطفى حلمي: المرجع السابق، ص١٧٠-١٧٨.

٢٧- محمد معين: فرهنك فارسي، ص٨٣١.



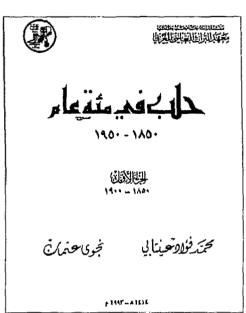
## قراءة في كتاب

# ((حلب في مئة عام ١٨٥٠ - ١٩٥٠))

## للباحثين محمد فؤاد عينتابي والدكتورة نجوى عثمان

محمود محمد أسد *

إن المتابع لحركة مدينة حلب، وما قدم فيها من مؤلفات ومجلدات يعرف مدى عظمتها وثباتها فما أكثر الكتب التي أرّخت لها منذ القديم إلى يومنا هذا.. فهناك عقد نفيس من الكتب التي اقتربت منها، وتعمقت في طباعها وأحيائها وتاريخها أذكر منها، "الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة" و "نهر الذهب في تاريخ حلب للشيخ كامل الغزي"، و"كنوز الذهب في تاريخ حلب لسبط بن العجمي الحلبي"، و"الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شدّاد"، وفيه ذكر واسع عن مدينة حلب. و"كتاب إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ محمد راغب الطباخ". و"الدّر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصري" و"بغية الطلب في تاريخ



حلب لابن العديم" "وزبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم".

و"أقدم ما عرف عن تاريخ حلب لصبحي الصواف" و"حلب الجانب اللغوي من الكلمة لخير الدين الأسدي" إضافة

---

* شاعر وقاصّ.

لموسوعة حلب المقارنة لخير الدين الأسدي وله أيضاً أحياء حلب وأسواقها.

وهناك كتاب "أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسعَ عشرَ" لقسطاكي الحمصي وتضاف كتب كثيرة منها "تحف الأنباء في تاريخ حلب الشهباء" لبيشوف الجرماني و"حلبيات" للشاعر عبد الله يوركي حلاق..

و"الحركة الفكرية في حلب" لعائشة دباغ. وهناك حركة حثيثة تتناول معالم حلب الأثرية والإبداعية، فالأستاذ عبد الله حجار قدم لنا "معالم حلب الأثرية" وجورج خوام ألف كتاب "خصوصية حلب" وصَدَرَ كتاب بعنوان "من أدباء حلب في النصف الثاني من القرن العشرين" وهو جَهْدٌ جماعيٌ للفيف من العاشقين لهذه المدينة. وصدر كتابٌ للفنان محمد هلال دملخي "مسرح حلب في مئة عام" وهو كتاب توثيقيٌ غنيٌ وراءه دأب ودقّة. وهناك كُتّابٌ وأدباء خَصّوا حلب بإبداعهم شعراً وقصّةً وبحثاً.. عملوا بدأب لهذه المدينة كالأستاذ عبد الفتاح قلعجي والأستاذ محمد كمال والباحث محمود فاخوري في مجال التحقيق. والأستاذ حسن بيضة، وعامر مبيض... ومن المهتمين والمندفعين بإخلاص لهذه المدينة مساعي جمعية العاديات والأستاذ محمد قجّة الذي خصّها بأكثر من محاضرة وبحث ودراسة..

هذه المقدّمة أراها مهمّة للدخول إلى عالم الكتاب الذي سأتناوله بالدراسة وهو كتاب "حلب في مئة عام بين عام ١٨٥٠ - ١٩٥٠" من تأليف المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عينتابي والدكتورة نجوى عثمان، والباحثان لهما أثرٌ واضحٌ في حركة المدينة الفكرية.

الكتابُ مؤلّفٌ من ثلاثة أجزاءٍ واستغرق تأليفه وجمعُهُ وتصنيفه خمسً سنواتٍ بحثاً وتصويراً وتدقيقاً.. وعلينا أن ندركً صعوبة هذه المهمّة ونحن أمام كتابٍ يعتمد على التوثيق. ومادّة الكتاب تعكسُ بجلاء مدى الجهد ومدى القدرة على التحملً والبحث. والكتاب يتناول مرحلة هامة، لم تكن فيها أعمال الأرشفة موجودة أو لم تأخذ حقها من الدراية والاهتمام، ولذلك أرى أنّ المؤلّفينِ جَرَيا وراء المكتبات والدوائر والسجلات. وسألا هنا واستفسرا هناك. فالحركة لا تغيب عن الكتاب... وهي حركة الزمن وقد بعثاهُ أمامنا، وأيقظاهُ من سُباتِهِ العميق في مرحلة زمنية فيها الكثيرُ من الجمود والكثيرُ ممَّا يقال في آخر العهد العثماني وأوائل عهد الانتداب مروراً بالانتداب الفرنسي والاستقلال... وهي مرحلةٌ ترافقها متغيّرات دوليّة في أوربا والعالم، وحلب ضمن القلب الكبير /سوريا/ معنيّةٌ بهذه المتغيّرات التي انعكست عليها. فالكتاب وثّق الكثير من الأحداث وأعطى صورةً عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. وهذا يدعونا لتقدير الجهد وعدم استسهال هذا العمل الذي يقدّم وجبات غنية بعيداً عن العناء الذي وفّره المؤلفان لنا. والكتاب من منشورات معهد التراث العلمي العربي عام ألف وتسعمئة وثلاثة وتسعين، ويقدّم نفسه بعد مقدّمة

قصيرة جداً لم تتجاوز الصفحة الواحدة، وفيها إشارة إلى نهجهما في العمل، فقد تركا لغة النصّ كما وردت في المرجع ليتبيّن القارئ تطوُّر اللغة وأسلوب الكتابة والصحافة في حلب خلال مئة عام.. لكنّهما فسرا أحياناً بعض المصطلحات أو الكلمات التي أصبحت غامضة بالنسبة للكثيرين ووضعاها ضمن قوسين. وفي المقدّمة شكرٌ وافرٌ وخالصٌ للأستاذ محمد كمال الذي قام بالتدقيق والاخراج وهو ليس بغريب عليه. واعتمد الكتاب على تناول الأحداث والأخبار حسب العام المحدَّد ثم حوى كلُّ جزء فهرساً للموضوعات وآخر للصور والجزء الثالث حوى ملحقاً لصور وأسماء وخطوط لشخصيات معروفة كالطبّاخ.. وقسطاكي الحمصي... وهناك جدول بالمصادر والمراجع والمجلات والصحف المذكورة في الحواشي...

إنّ وراء أيّ مؤلّف أو بحث غاية وهدفاً يرمي إليه الباحث. ومن المفروض أن يخدم موضوعاً محدّداً مرسوماً في ذهن المؤلف. والكتاب حال صدوره يُصبح وثيقة ومصدراً ومنهلاً للآخرين إذا كان فيه ما يشار إليه من قضايا هامة، وينطبق هذا على الكتاب، فاستعراضُ الكتاب لا يغني عن مطالعته والإبحار فيه. فالكتاب يشكّل حديقة غنية الثمار، ولكنها حديقة حوَتْ ثماراً طريفة جاءت من مختلف الأقاليم والبلدان.. في الكتاب شيءٌ من السياسة وأشياء من التاريخ والأدب والتراجم والاقتصاد والمجتمع. يرصد حركة المدينة، ويستحضر الكثير من أخبارها وأحداثها التي تصلح مواداً للدراسة والبحث. ويقدّم الكتاب صورة منْ صور التقدّم الذي راح يدبُّ في مدينة حلب نظراً لطول المدّة التي تناولها، فتقديم حلب خلال قرن من الزمن أمرٌ شاقٌّ لأنه قرن حافلٌ بالمتغيرّات والصراعات السياسية والابتكارات... في الكتاب ذكرٌ لأحداث قد تمر مرور الكرام ثم يتركنا نبحث عنها ونتأملها. فهو باعثٌ للتفكير والتأمل. بل هو موادٌ أولية لطبخات دسمة نستخلصها من أخباره الخفيفة التي أغنتها الجداول والأرقام والإحصائيات على مستوى عدد المدارس والمعاهد وعدد الطوائف والأحياء والعشائر... فالمتابع لحركة الصحافة وتطوُّرها يرى في الكتاب ما يغنيه فيستخلص كثرة الصحف وتنوُّعها حسب موضوعاتها وحسب مُنْشِئها. فلا تخلومدرسة من صحيفة ولا تَخلو دائرة أو مؤسسة من صحيفة أو دورية، وهذا يدعونا للتساؤل، ويحثنا على قراءة المرحلة بتؤدة، ويدلنا على أهمية الصحافة التي لعبت دوراً كبيراً في نشر الوعي والتوصيل والنضال، فالجزء الأول أورد أخباراً عن جريدة الفرات الرسمية منذ عام ألف وثمانمئة وسبعة وستين بالتركية والعربية وهي اسبوعية وبَدْءاً من العدد الخمسين عام ثمانية وستين وثمانمئة وألف صدرت بثلاث لغات "التركية والعربية والأرمنية" حتى العدد مئة.

ثم عادت إلى اللغتين العربية والتركية. ووجد ظهورها احتفالاً ولقيتْ

تقريظاً من صحيفة غدير الفرات ومن الأديب "سيد شهاب أفندي" فقال ج١: [ص٧٢]

**هي الشهباء عرّجْ عن سواها**
**ولا تخشَ من الفرصِ الفواتا**
**فإنك لست بالمعتاضِ عنها**
**ولو مُلِّكْتَ قيصر والهراتا**
**إليها القلبُ يصبو كلّ وقت**
**ولو بَعُدَتْ ويلتفتُ التفاتا**

ونرى أسماء الكثير من الصحف والمجلات كمجلة الشذور الصادرة عام سبعة وتسعين وثمانمائة وألف لصاحبها عبد المسيح بن عبد الله انطاكي واستهل العدد الأول بمدح السلطان عبد الحميد فقال ج١ ص١٩٥:

**بعصر عبد الحميد الـ**
**ـمولى الهمامِ الغيور**
**قد قامَ كلّ أديب**
**يبدي خفايا الأمورِ**
**فجئتُ أمشي ظليعاً**
**ما بينهم بالشذورِ**

وهذه الصحف كانت تتوقّف سريعاً، وتغلق أبوابها، وذلك لأسباب كثيرة، ولكنّ الإنسان يستطيع أن يجد انتشارها ويلحظ غزارتها ففي عام ألف وتسعمئة وثمانية عشر كان في حلب "جريدة العرب" للدفاع عن استقلال سورية و"جريدة لارناس آراب" بالفرنسية، وجريدة "فرنكوسيريا" وجريدة "هاي تساين" الأرمنية وجريدة "داراكير" (المهاجر) الأرمنية وجريدة "حلب" وجريدة "الصاعقة" وفي سنة ألف وتسعمئة وتسع عشرة صدرت الجرائد التالية:

حقوق البشر والنهضة والراية والمصباح والصباح والبريد السوري ومجلة الشركة الزراعية الحلبية ومجموعة غرفة تجارة حلب. هذه نماذج تبرز مدى إحساس الإنسان في مدينة حلب للثقافة. ومدى اهتمامه بوسائل الإعلام. وهذا لا يكون إلا إذا توافرت له الظروف وهذا يدعو للتساؤل الذي يجرُّ وراءه حبلاً من الأسئلة ولكنه يصلح ليشكّل مادّة مستقلة للبحث لكتابٍ أو محاضرة أو ندوة...

وفي الكتاب ذكرٌ للأحداث المستجدّة والطريفة التي تصلح للتوثيق والجمع والدراسة، ويمكن الاستفادة منها في زوايا صحفية جديدة أو دراسات. فأول استعمال التدخين، وبالسكاير ودخول زيت الكاز في عامِ ألف وثمانمئة وثلاثة وخمسين وهذا موثّق في كتاب نهر الذهب الجزء الثالث ص٣٨٨، وكذلك وَفَدَت إلينا "البندورة" في عام ألف وثمانمئة وأربعة وخمسين بالاعتماد على نهر الذهب - الجزء الثالث ص٣٨٩. فجاء في الجزء الأول من الكتاب ص٢٧ "في هذه السنة ظهَر في حلب بَقْلٌ باسم باذنجان إفرنجي أو باسم بنا دورة أحضَرَ بذرَهَ من مصرَ أحد التجار، وزُرِع في حلب، فأنجبَ وأخْصَبَ، غير أن الحلبيين لم يألفوا أكْلَهُ في أوائل ظهوره بل كان بعضُهم ينفر منه، حتى إنّ بعض البسطاء إذا رآه أو ذكرَ في حضورِهِ ينطق بالشهادتين توهّما منه أنّه من الخضَر المحرّمة التي اخترعها الفرنج..

وفي عام ألف وثمانمئة وستين أمر بوضع ساعة بقلعة حلب بأمر من

السلطان عبد المجيد... على أن تصدر صوتاً مرتفعاً يصل إلى مسافة ساعة ونصف ولكنَّ الفكرة لم ترَ النورَ فأرجئَتْ إلى عام ألف وثمانمئة وثمانية وتسعين فأقيمت في ساحة باب الفرج.. فجاء في الكتاب نقلاً عن إعلام النبلاء ونهر الذهب..

"في الخامس عشرَ من ربيع الأول عام ألف وثلاثمئة وستة عشر للهجرة وعام ألف وثمانمائة وثمانية وتسعين للميلاد احتفل بوضع الحجر الأول في أساس برج ساعة باب الفرج، وكان موضعها قسطل ماء مربع الشكل يسمّى "قسطل السلطان" وهو من آثار السلطان سليمان خان العثماني، وقد بلغ مصروف عمارتها ستمئة ليرة عثمانية جُمعَتْ من ذوي الثروة واليسار وقد أرَّخ بناءها الشيخ أحمد الشهيد مفتي حارم بقوله: ص٢١٠

**أنشا لنا الملك الحميد مآثراً**
**عظُمَتْ صناعتها وأيُّ صناعة**
**حامي حمى الدين المكين ومن له**
**أضْحَتْ سلاطينُ الورى أتباعه**
**مِنْ ذاك في حلبٍ أقام منارة**
**تُثني عليه بساعةٍ سماعه**

وفي هذا العام بني جامع ذكي باشا المدرّس وصدرت مجلة الشهباء.

وفي عام ألف وتسعمئة وستّة وُضِعَ نظام الصيدليات المناوبة وفي هذا العام كان وصول الخط الحديدي من حماة إلى حلب واحتفلَ في تدشينه.

وحضر الاحتفال في مكان المحطة غربي حلب. والي الولاية ومأمور الملكية والعسكرية والكثير من العلماء والوجهاء وآلاف الناس. وألقيت الخطب والكلمات الحافلة بالثناء والشكر للسلطان عبد الحميد خان ثاني وقال فيه الشيخ مسعود أفندي الكواكبي: إعلام النبلاء ٣/٤٠٠، ج٢ ص ٣٦:

**حبَّذا خطٌّ حديد به**
**قَد أعَدْنا شأن شَهْبانا**
**عمّتِ الأفراحُ لّما غدا**
**كاملاً في نصفِ شعبانا**
**ولسان السعد أرّخه**
**وطريق الخير قد بانا**

ومما ذكر في الكتاب أول إحضار للوكس "المصابيح" كان في عام ألف وتسعمئة وسبعة ص٥٤ ج٢: "فقد أحضرت البلدية من مصنع لوكس نحو سبعة مصابيح وركّزتها في أشهر فسحات حلب".

ويذكر الكتاب بالاعتماد على نهر الذهب ج ٣: أن أول طائرة تراءت في سماء حلب كان في شهر ربيع الأول من عام ألف وثلاثمئة واثنين وثلاثين ويصادف كانون الثاني عام ألف وتسعمئة وأربعة عشر... وجاءت من استانبول وعلى متنها شابان تركيان أحدهما صادق والأخر فتحي، وصلت قرب المغرب ونزلت قرب السبيل بعد تمهيد الأرض لها، ولكن أوّل مطار أقيم في حلب عام ألف وتسعمئة وثمانية وعشرين، في عهد الانتداب الفرنسي في قرية النيرب وفي هذا العام استعمل الزفت لتغطية الشوارع بحلب لأول مرة واستعمل في تزفيت شارع الخندق... وقد جاء مجلوباً من أوربا...

وفي الكتاب ذكرٌ لأحداث طريفة ونكبات حلّت على مدينة حلب.. مازالت في ذاكرة المعمّرين الذين تناقلوها فهناك ذكر لحريق هائل في أسواق حلب عام ألف وثمانمائة وثمانية وستين وخبرٌ عن انتشار الكوليرا في عام ألف وثمانمئة وخمسة وسبعين، وخبرٌ عن زلزال عظيم في حلب عام ألف وثمانمائة وأربعة وثمانين، وذكر لسنة الثلج المشهورة عام ألف وتسعمئة وأحد عشر، وكذلك انتشار الحمى الدماغية عام ألف وتسعمئة وخمسة عشر، وفي حوادث عام ألف وتسعمئة واثنين وعشرين خبر عن الأمطار الجارفة وفيضان قويق.. الذي بدأ في السادس من شباط والذي تواصلت فيه الأمطار ليومين ففاض النهر، ودخل إلى بعض البيوت ليلاً وأدّى إلى تهديم عدّة أبنية ونُقِلَ أن جسر الصيرفي قد تهدم وانتقل الناس بواسطة الحيوانات أو العربات... وأدى الفيضان إلى أضرار كبيرة يذكرها الكتاب...

والكتاب يدلنا على الكثيرين ممّنْ وفدوا إلى حلب كالقائد البولوني الجنرال "جوزيف بم" عام ألف وثمانمائة وخمسين، وزيارة الشاعر المستشرق الانكليزي بلانت وزيارة المطران جرمانوس الشمالي، وزيارة الجنرال غورو لحلب والترحيب به وإلقاء الكلمات أمامه.

ولم يُغفل الكتاب ما قيل عن حلب وفي حلبَ وفضلها وما قُدم من محاضرات عن أدبائها ومطربيها وآثارها وما كتب عنها من كتب وما قيل فيها من شعر. وكلّها تصبح مادّةً أساسية للبحث والدراسة... وفي الكتاب ترجمات ودراسة مبسَّطة عن الشخصيات البارزة التي بصمت في مدينة حلب على المستوى الأدبي والسياسي والفكري والفني والديني. فهناك ترجمات عن أبي الهدى الصيّادي والشيخ محمد راغب الطباخ والأستاذ محمد نافع طلس وقد أفادنا الكتاب بأن المعلومات عنه أفاد بها ابنه الأستاذ عبد الله هشام طلس والشيخ جميل العقاد والأديب سامي الكيالي وفاضل السباعي والدكتور أحمد صفا الكاتب وهو أول عربي سوري يحوز على شهادة الدكتوراة في الصيدلة وهو الذي أسّس أوّل نقابة للصيادلة في حلب عام ألف وتسعمئة وثمانية وعشرين وهناك ترجمات للمصلح عبد الرحمن الكواكبي والشاعر عبد الله يوركي حلاق وقسطاكي حمصي وفاتح مرعشي والشاعر عمر أبو ريشة والشيخ كامل الغزي والمهندسة سميرة سلحداروهي ثاني مهندسة بعد بثينة كيالي تتابع دراستها في الجامعة السورية كلية الهندسة بحلب ولكنهما تخرجتا معاً عام ألف وتسعمئة وثلاثة وخمسين فكانتا أول مهندستين في سوريا.

وفي الكتاب سردٌ وتلخيص لبعض المحاضرات والدراسات المتنوعة التي تتناول الجوانب الفنية والاجتماعية والاقتصادية في حلب. وتصبح إحدى المصادر الأساسية للغوص والدراسة في أعماق حلب كمقالة الأسر الحلبية في أواخر القرن التاسع عشر كما عرفهم وعاش معهم علي كمال الكاتب والصحافي

التركي المنشورة في جريدة "بيام الصباح" بعنوان "عمرم" أي حياتي... وذكر فيها بعض العائلات وطباعها وأملاكها ومناصبها كالمدرس والجابري والشريّف والعادلي والسباعي والكيخيا... والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في حلب الواردة في يوميات البخاش ج١٧٢/١ ومقالة الأدب في حلب بين عهدين - الاتجاهات الأدبية في جيل من الشباب وهي مقال كتبه الأديب الناقد الحلبي قدري القلعجي المقيم في بيروت ونشرته جريدة المكشوف لصاحبها فؤا د حبيش بتاريخ ٧/ آب / ١٩٣٥ وفيها ذكر عن الأديب سامي الكيالي والدكتور علي الناصر وعمر أبو ريشة وعمر أبو قوس وفؤاد العنتابي وكثيرين غيرهم وتعتبر المادة غنية وتستحق الدراسة، لما فيها من تحليل دقيق مكثّف. وفي المقالة حكم نقدي انطباعي جاء فيه على لسان الكاتب: "إنّ في حلب نهضة قوية واثبة لا ريب في أنّها تتمخّض بإنتاج راق غزير.ونحن إذا وصفنا هذه النهضة المرجوة بالضعف، وتطرق الشكّ إلى نفوسنا في سموِّ أهدافها وسرعة تطوّرها، فلأننا نأمل ونرجو أن تكون أوفر نشاطاً وأسمى هدفاً وأسرع وثبة، ولأننا نقيس إنتاجها الأدبي بالإنتاج الغربي الراقي الذي نريد أن نتأثره من غير أن نضيّع شخصياتنا الشرقية وطابعنا العربي الأصيل...

أما إذا قسْنا هذا الإنتاج بما تطلع به علينا المدن السورية أو إذا قسْناه على الأصح بالإنتاج الأدبي في دمشق فإننا لنؤمن بعد التدقيق المخلص بأن دمشق لا تتفوق على حلب بإنتاجها إذا هي لم تقصّر عنها ولكن دمشق تعمل في ضجيج، أما حلب فقد كانت وما برحت تعمل في صمت، ولدمشق نواديها وجمعياتها وصحفها ومسارحها تضم الأدباء والفنانين وتلهب حماسهم وتثير نشاطهم وتغريهم بالإنتاج الغزير، أما أدباء حلب وفنانوها، فإن الروح الفردية الانعزالية تطغى عليهم وتدفع بكلٍّ منهم في سبيل... ص١٩٨ الجزء الثالث

وهذه المقالة تحتاج لوقفة وتأنٍّ للاستفادة منها في الوقت الراهن... وفي الكتاب رصْدٌ للكثير من المناسبات ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي كالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في حلب عام ألف وثمانمائة وأربعة وستين كما ذكر توتل معتمداً على يوميات البخاش وكما ورد في نهر الذهب...

و الكتاب يذكر النشاطات والفعاليات السياسية والاقتصادية كعزل قنصل وتعيين آخر وإنشاء معمل واستقبال شخصية وذكر وفاة وتقديم بيوغرافيا عن عدد السكان والطوائف والملل وأسعار العملة وعدد المدارس... والعشائر وحياتهم.

إن الحديث عن مضمونه يطول ولا تفيه مقالة حقه، وتبقى الإشارات المهمة والتي تشكل دليلاً لعمل جاد وغني مستنبط من هذا الكتاب، فالمطالع للكتاب والمتعمق في مواده يجد إمكانية

استنباط موضوعات متفردة تبنى عليها مقدمات ونتائج كالإعلام والصحافة وتطورها. والحديث عن النشاطات الاقتصادية وتطور البنية الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية... والشعر المبثوث في الكتاب يصلح للدراسة مضموناً وفناً وفي الكتاب مواد خام عن مدينة حلب وما قيل فيها.

الكتاب يبسط ظلاله خفيفاً رشيقاً ممتعاً وفيه توثيق وإشارة للمصدر سواء ورد في كتاب أو صحيفة وهذا المبدأ أو المنهج الذي سار عليه الكتاب.

فقد سار سنة بعد سنة ويذكر في كل سنة أهم ما حدث فيها بالاعتماد على الصحافة أو الكتب وتبقى الإشارة ضرورية لأهمية الكتاب الذي يشكل رافداً أساسيا ومنهلاً غنياً للمتابعين، وهو رافد هام وحيوي يرصد حياة مدينة لا تعرف الهدوء والراحة ويعبر عن حب خالص لهذه المدينة التي ارتبط اسمها بالتاريخ ارتباط العاشق بمعشوقته وإن أي كتاب يقدِّم للقارئ لا بد له من تقديم تساؤلات والكتاب الذي استعرَضْتُهُ لم يطرح أسئلة أو أجوبة فكان ناقلاً وجامعاً ويقوم على الاختيار والانتقاء ولذلك يولد فينا الأسئلة ويثيرها وهذا شيء حسن وطبيعي، ويتضح الجهد ولكنه لم يتوج بالتعليل والتفسير والإثارة حول ما ورد فيه من جانب المؤلِّفينِ والأخبار والأحداث والجداول وربما نهج الكتاب لا يسمح بذلك، لأنه اعتمد على عرض الأحداث والتقديم لها، ولكن الأسئلة مثبوتة في حنايا المقالات التي وردت للآخرين وخاصة الإحصائيات وكثرة علاقات الغرب من قناصل وسفراء ورجال سياسة وفكر وترحيب بغورو وغيره... والكتاب قدم حلب مدينة وادعة مسالمة رغم قربها من التخوم وكونها بوابة للعبور فلم يذكر من الحوادث سوى قومة البلد وحوادث الستين وإضراب الحوذيين ومظاهرة احتجاج حوادث ألف وتسعمئة وثمانية وأربعين... وهي التي تشكل مساحة واسعة ونقلاً اقتصادياً وبشرياً والسؤال الآخر أكان الاختيار مزاجياً أم أنه خضع لأسلوب معين وخطة واضحة؟... وكيف عمل فريق العمل في هذا الكتاب؟ وما دور كل واحد منهما؟

يبقى الكتاب درة من تلك الدرر التي يتسابق أبناء الشهباء لنظمها في عقد الزمن. وما هي إلا جهود فردية وراءها سعي ودأب وملاحقة تدفعنا للتقدير والإكبار... والسؤال الذي أود طرحه ويلاحقني باستمرار: ألا تستحق حلب أن تؤسس فيها مؤسسة وهيئة ثقافية توثيقية تسعى لتشجيع العاملين ورعايتهم ومساعدة الباحثين وتقديم الخبرة والزاد لأولئك الذين يكتبون ويبحثون في أعماق حلب لا يدفعهم سوى الحب محتملين ضيق اليد والوقت وصعوبة البحث...؟

حلب بحاجة لفريق عمل جماعي واع غيور يقوم بمهمة التوثيق والتدقيق ويكون عوناً لمن يسعى ويريد ومُفعِّلاً للنشاط الثقافي الذي يُبرِزُ حلب في أبهى صورها ■



# حلب بين الأصالة والمعاصرة

خالد المالك*

[1]لكي أكون صادقا وأمينا معكم فأنا لم أقرأ عن حلب شيئا كثيرا من قبل، ولم أزرها زيارات يمكنني أن أدعي من خلالها بأني وقفت وتعرفت على كنوزها المخبوءة، ولا أعتقد أن أحدا يمكنه أن يفهم حقيقة هذه المدينة ويتعرف على أسرارها، في زيارات خاطفة أو من خلال قراءات سريعة، فهي أشبه ببستان قد تشغلك زهرة أو وردة أو شجرة فيه فينصرف ذهنك لها دون أن تكتحل عيناك برؤية غيرها مما كان ينبغي أن تراه، أو هي كمعرض للجواهر النفيسة التي تجبرك قطعة واحدة من بين آلاف القطع الثمينة والجذابة لتمضية كل الوقت مشدودا أمامها بفعل إعجابك بها وتقديرك لذوق من صممها فلا يكون لبقية قطع المجوهرات الأخرى نصيب من الوقت لتحظى بمثل هذا الاهتمام.

فحلب نالها من العناية الإلهية ثم البشرية، ومن الاهتمام غير المسبوق بما أنجز على أرضها، ما يجعلني أشبهها بمعرض للجواهر أو بحقل زراعي معطاء؛ لما تكتنزه وتختزنه أرضها من معالم وشواهد بوجود كل هذه الإنجازات الحضارية، وكل هذا التراث والإبداع، مع إنجابها لكل هؤلاء الرموز من المفكرين والمثقفين والشعراء والمؤرخين والعلماء والفنانين والفلكيين وكل قادة ألوان الطيف الثقافي والمعماري والاقتصادي الذي ربما خطر اليوم أو ذات يوم في أذهاننا تاريخها، فسعينا إلى هذه الديار نستلهم منها ونتعرف من أرضها على شيء من هذا التاريخ البهي؛.

لقد تقت إلى زيارة حلب حين كنت أقرأ عنها قراءة من يستعرض أوضاعها القديمة وتاريخها الخالد وتجاربها

* رئيس تحرير جريدة الجزيرة السعودية

الثرية، حيث وقفت على معالم كثيرة فيها مما لم يسعدني الحظ برؤيتها من قبل، وتعرفت على كثير مما كنت أجهله عنها، وقادني من كتب عنها -مشكورا- إلى حيث وجدت نفسي كما لو أنني كنت راجلا أتجول بين مساجدها وكنائسها وأسواقها وقلاعها وحماماتها وأسوارها وخاناتها، وكل ما ميز عاصمة الثقافة الإسلامية لهذا العام من مظاهر عمرانية وتراثية، وذلك في رحلات ممتعة كانت تخيم عليها سحب من العطاءات العلمية الجميلة من حين لآخر، بما جعلني ميالا إلى طلب المزيد من المعرفة عن عاصمة الثقافة الإسلامية، دون أن أشعر بالتشبع أو الملل أو الرغبة بالتوقف عند حدود ما قرأته خلال بضعة أيام عنها.

وإننا إذ نأتي إلى حلب الشهباء - غيري وأنا - زائرين لها، إنما نقصد من كل ذلك إشباع عقولنا وإثراء معلوماتنا بما قد لا نجده من ثراء فكري وحضاري وعمراني في غيرها من المدن الأخرى، ولكي نستلهم من معالمها معرفة ما لا نعرفه من تاريخها الموشوم بأصالتها، مستمتعين بتلك المشاهد الجميلة في عمرانها ومفاتنها، وكل ما يثير الانتباه مما تركه لنا أولئك المبدعون من ثراء فكري وثقافي وعمراني ممتع ومتنوع.

وإذ تحتضن حلب كل هذه الأعداد من محبيها وعشاقها والمغرمين بها، مع اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية، إنما لكي يقرأ هؤلاء عنها، ويتجولوا في مساجدها وكنائسها وحماماتها وأسواقها، ويزوروا قلعتها الشهيرة، ويرددوا ما يشاؤون من عيون أشعار قيلت فيها، ويشاركوا في حضور عروضها وفلكلورها الشعبي ومسرحياتها، ويغنوا مع من يغني باقتفاء ومحاكاة للأصيل والعريق من موسيقاها، بينما لا تزال حلب تجود بإهداء زائريها وبكل هذا السخاء أجمل وأروع ما وهب الله لها من جمال في الطبيعة، مع اهتمام من أهلها بالضيف والاحتفاء به وتكريمه بما يستحق.

وفي تصوري أنه لا يليق أن تعامل آثار حلب بغير الحرص على حمايتها من نزعة التغيير التي مست مدناً أخرى في عالمنا العربي والإسلامي، فشوهت صورتها، بأن نزعت منها تلك الجواهر النفيسة التي كان يمكن لها أن تتزين بها، كلما حل ضيفاً عليها، أو زائراً يريد أن يتعرف عليها، أو باحثاً عن مخزون ثقافي تتميز به ولا يوجد في غيرها.

ومن الضروري أن تحافظ مدينة حلب عند أي إحداثات جديدة على شخصيتها ومكانتها، ومن غير أن تنسلخ من هويتها التي تمتلك كل هذا الثراء المعرفي والتراثي والفني الذي لا مثيل له في مدينة أخرى.

ولا أعتقد أنني أجانب الصواب، حين أذهب إلى أكثر من ذلك، فأدعو إلى تكريم الرموز والنوابغ الذين ولدوا أو عاشوا في حلب، من شعراء وأدباء وعلماء ومثقفين ومؤرخين وعلماء تراث وفلكيين وأطباء ومعماريين وغيرهم، ممن قدموا للإنسانية انطلاقاً من حلب ما جادت به عقولهم من فكر وابتكارات وبناء شامخ إلى اليوم، وكذلك ممن كتب عنها وأرخ لها من غير أهلها، وهو تكريم ينبغي ألا ينتهي بانتهاء هذه المناسبة، وإنما يجب أن يكون من نوع ذلك التكريم الذي يبقى خالداً وشاهداً على مكانة حلب وقيمتها في التاريخ، ودليلاً على وفائها مع من ارتبط اسمه وجهده باسمها ومع منجزاتها.




## في الأعداد القادمة:

- ❖ الملف الختامي للاحتفالية
- ❖ حلب في مؤلفات ابن عربي
- ❖ ملف عن محافظة إدلب